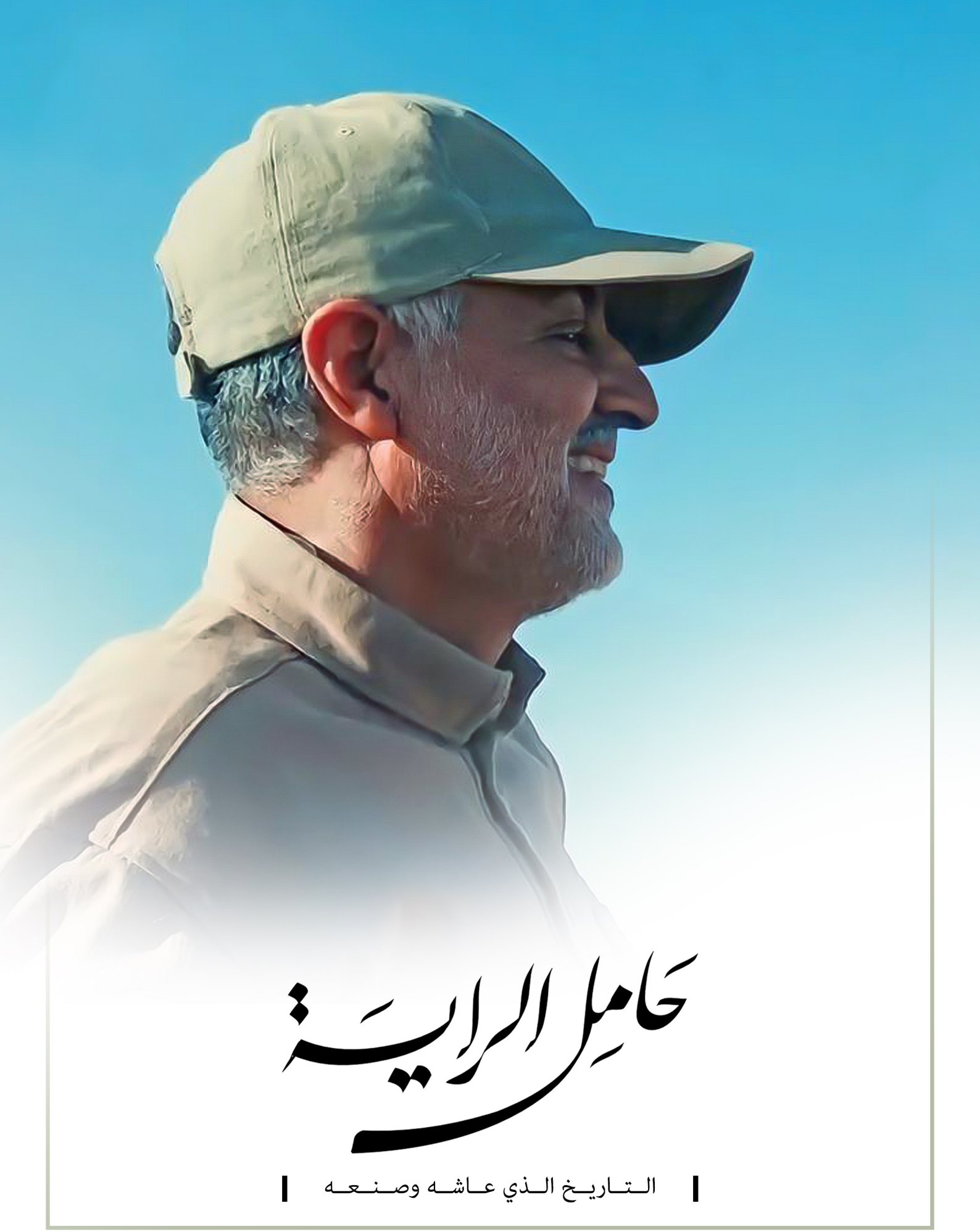

حامل الراية

التاريخ الذي عاشه وصنعه

يوسف محمد الشيخ

حامل الراية

إعداد: يوسف محمد الشيخ

قصة التاريخ الذي عاشه وصنعه قائد قوة «قدس» في حرس الثورة الاسلامية الفريق الشهيد الحاج قاسم سليماني من 10 آذار 1957 وحتى 3 كانون ثاني 2020.

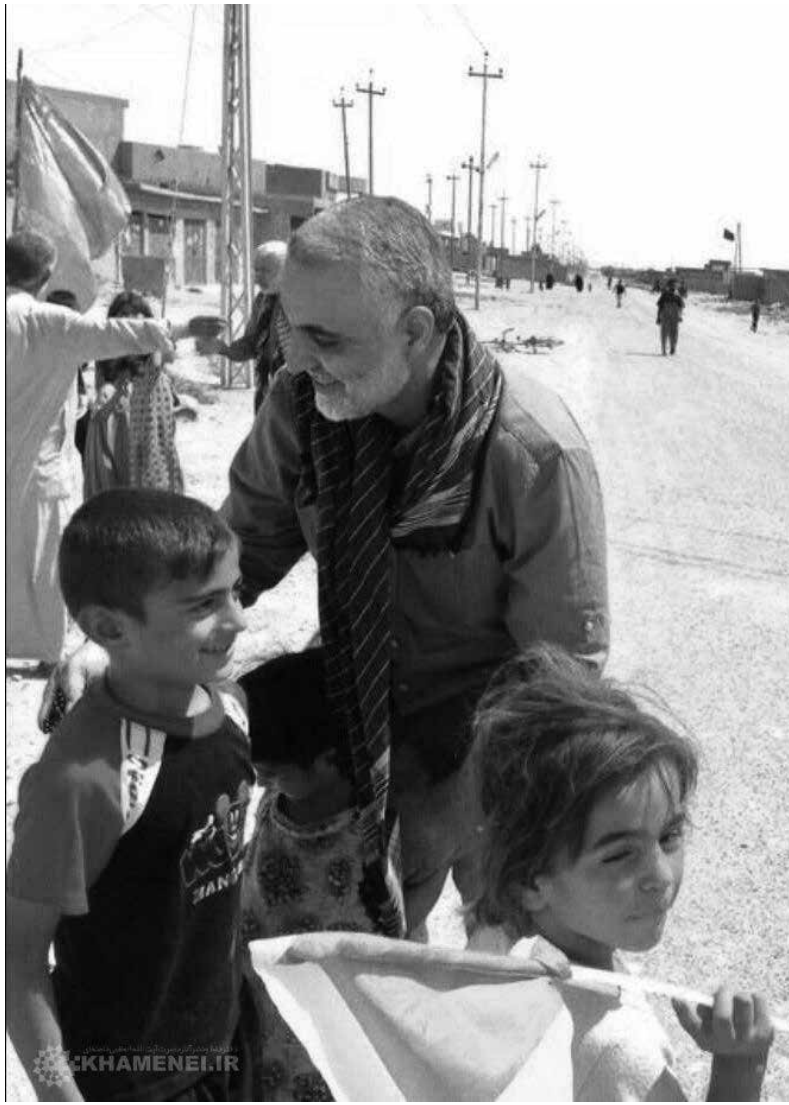
KHAMENEI.IR

فهـرس المحـتـويــات

مفتاح البداية: 7

افتحوا الباب... ولد السردار 11

درب بهشت 14

فتح الفتوح.. 17

على أجنحة الملائكة.................................. 24

عقيدة أسياد النزال 32

في مدرسة الحرب المفروضة 41

ذكريات عمليات «طريق القدسى» و «الفتح المبين» 43

ذكريات عمليات خيبر 58

ذكريات عمليات و«الفجر٨» 60

ذكريات عمليات «كربلاء ٤» 72

ذكريات عمليّات «كربلاء ٥» 76

رفاق السلاح ..نماذج وقدوات 88

الصيد الوفير 100
كرمان (٢)... حراسة إرث الشهداء 105
قائد قوة القدس 109
خطة تحرير 114
دعهم يأتون إلي سأهزمهم 117
لغز للغرب وأجهزة اعلامه 122
شريك انتصار تموز ٢٠٠٦ 127
حارس زينب (ع) والمقام 159
مهمات في خدمة سوريا والعراق 167
الوعد الـ«سليماني» 176
هو الكاريزما بعينها 183
ميثاق مدرسة الحاج قاسم 189
هاكم قاسم سليماني 203
المصادر 207

مفتــاح البدايـــة

أنْ تدخلَ عالمَ الحاج قاسم سليماني فعليك أنْ تُديرَ ظهرك للدنيا وتدبَّ أوِ تَزحفَ إلى الآخرة، فهذا العبد الصالح يحمل في طيّاتِ عُمرهِ همَّاً واحداً وهو الكدح إلى اللهِ في السبيل المهدوي حتى لقائه.

وأَنْ تكتبَ عن الحاج قاسم سليماني فَعليك أنْ تُذَخِّرَ قَلمَك وبيانَك بحبرٍ حيدريٍّ عاشورائيّ مهدويّ فلا يَمكنك أنْ تفهمَ ذوبانَ الحاج قاسمٍ بالإمامين الخمينيّ والخامنئيّ إلّا بعدّ أنْ تَفْقهَ وصفَ الإمام عليّ (ع) إتّباعَه لرسول الله (ص)، حيث قال عليه السلام: «ولقد كنت أتّبعهُ اتّباع الفَصيلِ أثَرِ أمّه، يرفع لي في كلّ يومٍ من أخلاقه عَلَماً ويأمُرني بالاقتداء به».

ولا يُمكنكَ أنْ تَعقِل السباقَ بينَه وبينَ الشّهادةِ إلّا حينَ تُدركَ بقَلْبكَ معنى جَعْلِ الحاج قاسم شعارَ حياتِه آخر مناجاةٍ للإمام الحسين (ع):

«إلهيَ تركت الخَلْقَ طُرّاً في هواك، وأيْتَمْت العيالَ لكي أراك
فلو قَطّعْتَني بالحُبِّ إرباً لَما مَالَ الفؤادُ إلى سواك».

ولا يُمكنكَ فَكُّ شيفرةِ كيفَ جَعَلَ كلَّ طريقِه إلى الله مهدويّاً، إلا

حينَ تسمعَ زفراتِ الحاج قاسم المُحْرِقَة وهي تناجي إمَامها الموعود (عج): »بأبي أنتَ ونفسي لك الوقاءَ والحمى، عزيزٌ عليَّ أن تُحيطَ بك دونيَ البلوى ولا ينالُك منّي ضجيجٌ ولا شكوى».

الحاج قاسم هو خلاصةُ بذرةٍ طاهرةٍ زرَعها الإمامُ الخمينيُّ المقدّسُ في دولةِ الامام المهدي (عج) في ٣ شعبان عام ١٣٩٩ هجرية فَأَنْبَتَتْ كياناً من الملائكةِ الأرضيّين، حَمَلَ اسمَ حرسِ الثورةِ الاسلاميةِ.

حينَ تَلجُ في مسيرةِ جهادِ الحاج قاسم سليماني تتكرَّرُ معك القصصُ وشخوصُها بتَشابُهٍ عجيب، فقد تجد فيه شخصيّةً تجمعُ في طيّاتها قَبَساً من أبي الفضل العباس (ع) وسلمان المحمديّ والمختار الثقفي والأشتر النخعي وعابس ابن شبيب، وفيض من الشهداء المعاصرين الأفذاذ، يبدأ بالشهيد محمد همّت، أو الشهيد مرتضى آويني، ولا ينتهي بالشهيدين المبدعين عماد مغنية ومصطفى بدر الدين .

هذه الأسطرُ ليستْ لمنْح الحاج قاسم حقّه، بل لِمَنْح الشّعوب حقَّها في التّعرف إلى هذا الرّجل الفريد، وهذا العرضُ هو بانوراما ترصُد أهمَّ محطّاتِ التاريخ الذي عاشَه وصَنَعَه الفريق الشهيد الحاج قاسم سليماني، وقد أَسْمَيْتُه «حارس الراية»، لأنّه يحمل معنى مزدوجاً يرتبطُ بالوظيفة التي اعتنقَها وكَدَحَ فيها منذ مطلع شبابه، وهي حراسةُ رايةِ الدين والعقيدة والقيم والثورة والحكومة الاسلامية والقدس، خلال ٤١ عاماً.

وقد نَسَّقْتُ مادَّةَ الكتاب بعدما جمعتُها من مصادرَ إيرانيّةٍ وعربيّةٍ ومن أرشيف الشهيد المنشور، وعَكَفْتُ عليها في اليوم الثاني لاستشهاده، بهدف إنتاج نصٍّ مُخْتَصَرٍ ومُكثّف، قبل ذكرى

اليوم الأربعين لعروجه، يستفيدُ منه القارئُ ويليق بأنْ يكونَ خطوةً تأسيسيّةً في توثيقِ ما أمكنَ من حياةِ وخصائص وأفكارِ هذا القائد الفذ، الذي ما أنْ يتعرّفَ عليه الإنسان الحر حَتى يُدخلَه إلى حَرَمِ قلبه ويُسكنَه فيه.

ولأنّ الكتاب يعرضُ قَبَساً من حياة الحاج قاسم الجهاديّة، ويكشفُ شَذَراتٍ من شخصيَّته وأفكاره وطروحاته ونظريّاته العسكريّة والانسانية، فقد سعيتُ قَدرَ الإمكانِ لأن يكون الحاج قاسم (رض) هو الراوي في المحطات الأساسية، لذا سيجدُ القارئ أنَّ نسبة ٣٠٪ من الكتاب هي بلسانٍ أو بخط الحاج قاسم، من بعض شهاداته الواردة صوتيّاً أو مرئيّاً والتي تمّ تفريغها وترجمتُها من قِبَل بعض المواقع الالكترونيّة الناطقة باللُغتين العربيّة والفارسيّة، دون التدخلَ في إعادة صياغتها لُغويّاً، ممّا جَعَلَها في بعض الأحيان غيرَ متينة أو ضعيفة، فقمت ببعض الجُهد التحريريّ والتصنيفيّ وأدرجتُها حيثُ يلزمُ في الكتاب مع الاشارة إلى المصادر.

وفي ختام هذا التمهيد، و في حضرة الفريق الشهيد الحاج قاسم سليماني، وبحقّ هذا العبدِ الصالح، وبِجاه هذا المفني ذاته من أجل القيم النبيلة أرجو من الله تعالى أنْ يتقبّلَ هذا الجهدَ البسيطَ منّي ومن الفريق الذي اهتمّ بالتصحيح والتنضيد والاخراج والطباعة والنشر والتمويل والترويج ، ولا أنسى زوجتي المكرمة وأولادي الثلاث شركائي في الحث والتشجيع على انجاز هذه البضاعة المزجاة بأفضل ما أمكننا جميعاً ، وأسأله تعالى أن يجعل هذا الجهدَ اليسيرَ بطاقةَ عُبورٍ لنا إلى الجنان أنه ولي حميد .

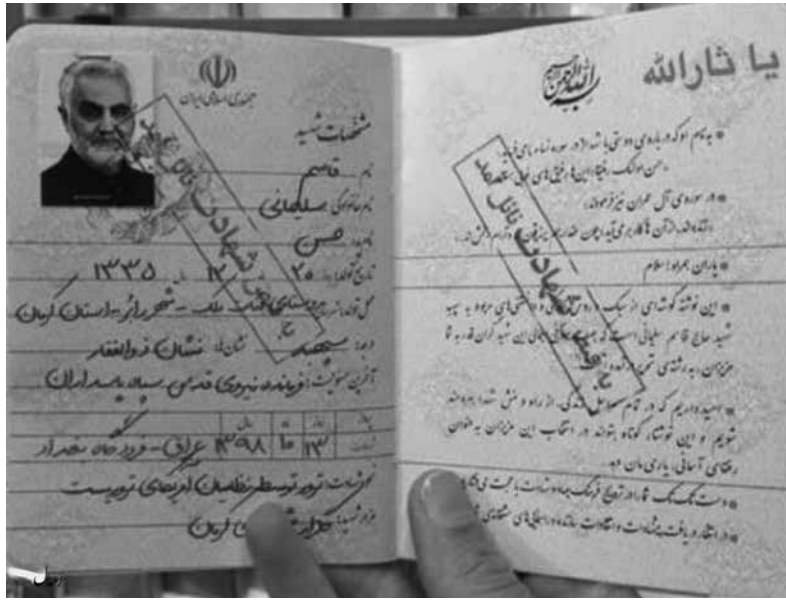

یا ثارالله
مشخصات شهید
قاسم
سلیمانی
حسن
۱۳۳۵

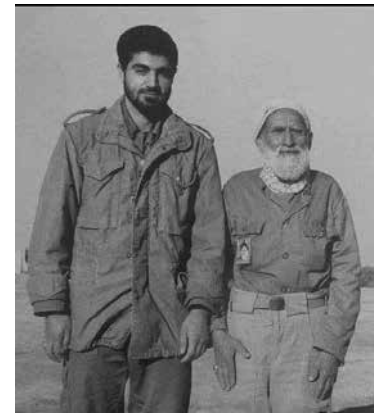

إفتحوا البابَ وُلد السّردار

غُروبَ يوم الاثنين التاسع من شعبان ١٣٧٦ هجري، الموافق ل ١١ آذار ١٩٥٧ ميلادي، وفي قرية «قناة ملك» التابعة لمقاطعة رابور الجبلية في محافظة كرمان، ثغر إيران الجنوبي الشرقي، وُلِدَ لعائلة الحاج حسن سليماني ذات الأصول الهاشميّة صبيٌّ هو السادس مع أربع إناث وذكر ثان. قُدِّرَ لهذا المولود، الذي أسّمَتْه أمُّه قاسماً، أن يصبحَ من الشّخصيّاتِ المحوريّة في أحداث آخر عقدين من القرن العشرين وأوّلِ عقدين من القرن الواحد والعشرين.

قَدّرَتْ المشيئةُ الالهيّةُ أنْ يكونَ يومَ ميلادِ هذه الشخصيّة الفذّةِ في شهر شعبان، متوسِّطاً لعدّة تواريخَ عظيمةٍ، تبدأ بولادة الامام الحسين (ع) في ٣ شعبان وتنتهي بولادة الإمام المهدي (عج) في ١٥ شعبان بعد أن تمرَّ على ذكريات ميلادِ أهم شخصيّات عاشوراء، ٤ شعبان ميلاد أبي الفضل العباس (ع) و٥ شعبان ميلاد الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع).

وكما قَدَّرَتْ المشيئةُ الإلهيَّةُ أنْ تضعَ ذكرى ميلاد الوليد الجديد قاسم بن حسن السليماني بين ذكريات ولادة ثلاثة من أئمته وأبي الفضل العباس (ع) عظيم البيت العلوي، فقد قدّرت هذه المشيئة أيضاً لحياة هذا الوليد الزاخرة بالجهاد أنْ تتأثّرَ بمدرسة هذا الحشد

من القدوات الصالحة، ليصبح قاسم سليماني الشاب والكهل والشيخ والشهيد عاكساً لقبس من فضائلهم، حاملاً قضيّتَهم وقيَمهم ومظلوميّتَهم وحَقَّهُم المسلوب على عاتقه راية ملأت الخافقين، شعارُها الانتظارُ الإيجابيُّ والكدْحُ والتمهيد لمصلح قادمٍ لهذا العالم.

عاش قاسمٍ الطفلُ في بيئةٍ متديّنَةٍ بمحيطٍ ريفيّ في منطقة جبلية قاسية طبيعياً، جمعت بين الفطرةً الصافية والطيبة والتواضع والبساطة وبين الطبيعة القاسية وشظف العيش والعزلة عن العالم، التي زاد من حدّتها الحرمانَ الحكوميّ المزمنُ من الإدارات المتعاقبة التابعة للدكتاتوريّة الشاهنشاهيّة، والذي تمظهرَ بحرمانِ الأرياف في ذلك العهد البائد من أبسط متطلبات العيش، وقد صَقَلَتْ هذه اللّوحةُ الجامعةُ لمجموعةٍ من النقائض شخصيّتَه، (التدين والفطرة الصافية والبَسَاطة الريفيّة مقابل العزلِ والتجاهلِ والحرمان والظلم الحكومي)، وأعطته صفاتٍ إيجابيّةً وثوريّةً ستتبلور في المستقبل وتظهر في تكامل شخصيته وفي ميزة أساسيّة اختصَّ بها الحاج قاسم، بل طبعت شخصيته بشكل عام وصارت ميزته الرئيسية، وهي ملاحقةُ الظلمِ أينما حلّ وإغاثةُ المظلومِ والملهوفِ أينما كان.

بين عامي ١٩٦٠ و١٩٧٠ قضى الحاج قاسم طفولَته وبدايةَ مرحلةِ مراهقتِه في قريتِه الصغيرة الوادعة «قناة ملك» التي لم يكن يتعدّى عددُ سكانِها في ذلك الوقت ٣٠٠ فرد موزّعين على ٧٠ عائلة، فَدَرَسَ القرآنَ الكريمَ وتعلّمَ في مدرسةِ قريتِه المتواضعةِ المرحلتين الابتدائيّةَ والمتوسطة، وعَمِلَ مع أهلِه في الزراعةِ ولَعِبَ مع أقرانه في الجبال المحيطة بقريته، التي راحِ يستكشفها لمطاردة عصفور هنا واستكشاف مغارة أثرية هناك، أو في سباق على تسلّقِ الجبالِ والنزولِ عنها، وقد أعطى هذا المناخُ وهذه الطبيعة الجبليّةَ قدراتٍ

مميّزةٍ للحاج قاسم ظهرت لاحقاً في الحرب المفروضة في دوريات الاستطلاع الصعبة، التي كان يشارك بها الحاج قاسم أو يقودها في مرتفعات «كَمَر سُرْخْ» وسهول سوسنجردْ و«شوش» وشلمجه ونهر آروند، كما أعطته خاصيّة النظر إلى الميدان من فوق، وتفحُّصه في كلّ تفاصيله لدراسة نقاط الضعف والقوة فيه. وزاد من ذلك المَلَكَةُ التي حَبَاهُ إيّاها الله، وهي فَرَاستُه وقدرتُه العجيبةُ على استكشاف الأفراد والمقاتلين، وأصناف البشر، وحتى بعض الشهداء، وما أكثر الروايات التي نُقلت عنه خلال الحرب المفروضة أو في حرب التكفيريين في سوريا والعراق وهو يبشّر ممازحاً بالفارسيّة أو بلَكْنَتِه العربيّة المحبّبة بعض المجاهدين العراقيّين أو الإيرانيّين والسوريّين والأفغان واللبنانيين قائلاً: «أنت أصبحت ثمرة ناضجة تليق بك الشهادة».

لم تسمح الظروفُ الإداريّةُ لمدرسة قريتِه المتوسّطة بأنْ يُكملَ تعليمَه الثانويّ في «قناة ملك»، فَعَقَدَ الحاج قاسم عزمَه على تركِ القريةِ في سنٍّ مبكرٍ، حيث ودّع الأهلَ والأصدقاءَ عام ١٩٧٠ متوجّهاً إلى مدينة كرمان، مركز المحافظة، وفي نيّتِه إكمالُ دراستِه الثانويّة والانخراط: إمّا، في الجامعة ودراسة الهندسة، أو في الحوزة العلمية، ولكنِ المشيئةُ الإلهيّةَ قضتْ بأن يكون مستقبلُ هذا الفتى الأسمر مرتبطاً بمستقبل بلاده والتحوّل الثوريّ الهائل الذي دخلتْ فيه إيران صيف العام ١٩٧٥، والذي مَهَّدَ لقيام دولة الإسلام عام ١٩٧٩.

درب بهشت

كانتْ الطريقُ الوحيدةُ التي تربطُ قريتَه بمدينة كرّمانَ مروراً بمركز القضاء بلدة «رابور»، تُسمّى عموميّاً بجادّة «درب الجنة أو درب بهشت بالفارسية»، وكانت رحلةُ الفتى قاسم سليماني، من «قناة ملك» إلى كرمان، بحقٍّ وبدون مبالغة، بدايةَ طريقه إلى الجنة، التي عَبّدَها بصبره وأخلاقه ودينه وجهاده وكدحه، لتوصله إلى المحطّة الأعظم، محطّة شهادة قلّ نظيرُها في بغدادَ على بعد مئات الكيلومترات.

لم تكُنْ مدينة كرمان، ببيئتِها وتقاليدها ومجتمعها المتديّن والنشيط وأخلاق أبنائها، ببعيدة عن البيئة التي نما فيها وترعرع الحاج قاسم سليماني، وكأن قريته «قناة ملك» كانت قطعةً ريفيّةً اشتُقتْ من كرمان، تماثلُها في السنخية، فعاش الحاج قاسم في بيئةٍ تعشقُ أهلَ البيتِ (ع)، وتُقدّس العمل والعلم والابتكار، وتتميّزُ بإقبالِ أهلها على إكرام الضيف وحُسْنِ وفادَته، ممّا سَهَّل غُربةَ الحاج قاسم الذي اندمج فيها سريعاً، موزّعاً حياتَه بين الدراسة والعمل في ورش البناء والتردّد على مساجدِها وممارسة هواياتِه المحبَّبَةِ، الكاراتيه وكرة القدم والزورخانة، وهي رياضة تجمع بين المصارعة الشعبية الإيرانية وكمال الأجسام.

هذا البرنامجُ اليوميُّ الحافلُ في حياة الشابِّ اليافعِ المغترب

حديثاً عن قريته، صَقَلَ شخصيَّتَه باكراً وجعلها، مع أخلاقه الدَّمِثَة باباً للتعارُف مع العديد من شباب كرمان، ونَسْج صداقات وثيقة تجلّت لاحقاً في بداية الثمانينات، عندما بدأ الحاجَ قاسم باستقطاب آلاف المجاهدين من محافظة كرمان في تشكيل عسكريٍّ، أصبح مع تضحياته وشدّة رجاله ولُحْمَتِهم القويّة، واحداً من أهمِّ تشكيلاتِ الحرسِ الثوريِّ الاسلاميِّ في جبهات الحرب المفروضة، وهو فرقةُ «ثار الله ٤١» التي يرتبط إسمها، من المنبع إلى المصب بأهمّ مؤسّسيها «السرباز = الحارس» ثم «السردار = اللواء» قاسم سليماني.

خلالَ دراسته بكرمان، تأثَّر الحاج قاسم بأخبارِ أحدِ قادةِ الثورةِ التاريخيّين من أبناء المدينة، الشهيد الشيخ محمد جواد باهونار.[1]

تأثّرَ الحاج قاسم كثيراً بالشخصيّةِ الثوريّةِ لباهونار، وبصرخته المدويّة بوَجْهِ الشاه، التي كانت انتقاداً لاذعاً للعلاقات بين نظام محمد رضا بهلوي والكيان الصهيونيّ، عرّى فيها الشهيد باهونار النظامِ الشاهنشاهي وجرائم الصهيونيّة بحقّ الشعب الفلسطيني، كاشفاً مظلوميّة هذا الشعب وإجرامَ الصهيونيّةِ بحقّه، ويمكنُ الجزمُ بأنّ الدروسَ الأوليّةَ التي تلقّاها الحاج قاسم عن الارهاب الصهيونيّ ومظلوميّةِ الشعب الفلسطيني، كانت في مدرسةِ خُطَبِ وبيانات الشهيد باهونار المكتوبةِ والصوتية المسجلة على كاسيتات، والتي

---

١ أصبحَ بعد انتصار الثورةِ رئيساً للوزراء في فترة رئاسة الشهيد السعيد محمد علي رجائي واستُشْهدا سويّاً في ٣٠ آب ١٩٨١، بتفجير وَضَعَتْهُ لهما المخابراتُ المركزيّةُ الأمريكيّةُ، بواسطة أحدِ عُملائها المُجرم مسعود كشميري، أحد أعضاء منظمة «مجاهدي (منافقي) خلق الإرهابية».

كان يتداولُها ثوريّو كرمان بالسَرَ، وبعيداً عن أَعْيُنِ جهازِ الشرطة السرية التابع للشاه والمعروف بالسافاك.

الشابُّ المتديّنُ القادمُ حديثاً من «قناة ملك» قَلَّدَ عنَد بلوغِه سِنَّ التكليف الشرعي، إمامَ الأمة روحَ الله الموسويَّ الخميني (قدس). وبحُكمِ شخصيّته المتعطشةِ للعلم الديني، بدأ الحاج قاسم يتردّدَ على الدروسَ التي تقام في مساجد كرمان، ويشارك في مجالس الدعاء وإحياء الشعائر الحسينية والفاطمية، ويتفرّغُ ليصبحَ شِبْه مُقيمٍ في المسجد خلال شهر رمضان، لما كان يحملُه هذا الشهرُ المباركُ من فيوضات روحيّة وعلميّة، بفعل البرامج التبليغيّة التي أسّسها وخطّط لها، بعناية، الإمامُ الخمينيُّ المنفيٌّ إلى العراق وتلامذتُه، الذين كانوا بمثابة روافده التي تفيض وعياً وثوريّة على كامل مساحة إيران، وعلى رأسهم لجنةٌ مكوَّنَةٌ من الإمام القائد السيد علي الخامنئي والشهداء السيدين محمد حسين بهشتي وعبد الحسين دستغيب والشيخين مرتضى مطهري ومحمد جواد باهونار والراحلين السيد محمد حسين الطبطبائي والشيخ هاشمي رفسنجاني.

فتح الفتوح

قدَّرَ اللهُ أنْ يكونَ شهرُ رمضان في عام ١٩٧٥، فَتْحَ الفتوح للحاج قاسم، حيث قَدِمَ للتبليغ إلى كرمان، من مدينة مشهد، حُجَّةُ الاسلام الشهيد السيد رضا كامياب، أحد خُدَّام العلم في الحضرة الرضوية وأحد المقرّبين من الإمام القائد السيد علي الحسيني الخامنئي.

جرى التعارُف سريعاً بين الشهيد كامياب والشهيد الحاج قاسم، الذي تعلّقَ به كثيراً، والذي رأى فيه كامياب عنصراً ثوريّاً مميّزاً، يتمتّع بشخصيّة قويّة متعطشّةٍ للدين وللثورة، وتَكمُنُ فيه بذور قائد مستقبليّ فذ.

وعلى مدى موسمين تبليغيّين، توطّدت الروابطُ بين الإثنين، وكانَتْ أساسَ العلاقةِ والرابطة القويّة التي عَرَّفَتْ الحاج في العام (١٩٧٦ أو ١٩٧٧) على شخصيّةِ القائد الخامنئي، الركن الأساسيّ في الثورة الاسلاميّة المباركة، والذي أصبحَ منذ ذلك الوقت أحبَّ الناس إليه بعد الإمام الخميني (قده).

هذه المحبّةُ للإمام الخامنئي تحوّلَتْ، لاحقاً بعد التعارُف المباشر، إلى أُخوَّةٍ تَوطّدت في جبهات الحرب المفروضة منذ سَنَتِها الأولى التي شاركَ فيها القائد الخامنئيّ، تنفيذاً لأمر الإمام الخمينيّ (قده)،

بالتعبئة العامّة وحَشْدِ كُلّ الطاقات للمجهود الحربي، لردّ العدوان الصدّامي الذي اجتاح حدودَ البلاد واحتل مساحاتٍ واسعةً من أطرافها الغربيّة.

بعد اندلاع الموجة الثورية الأخيرة وارتفاعها الكبير في منتصف العام ١٩٧٧، انخرط الحاج قاسم بالثورة من خلال ساتِره، كموظّف رسمي في شركة مياه كرمان، وبدأ يشارك بالعملِ السّرّيّ في المدينة واستقطاب الشباب وتزخيم جذوة الثورة، من خلال تسيير المظاهرات وبعض الأعمال الثورية الأخرى في المدينة، ويشاء القديرُ أنْ تكونَ محافظةُ كرمان من أوائل المحافظات التي خرجت من يد الطاغوت، بسبب بُعدها عن العاصمة، وبسبب تركيز النظام الشاهنشاهي على مدن ومحافظات المركز والشمال ويأسه من تشتيت قوّاته القمعية في محافظات نائية ذات مساحات جغرافية واسعة. وحيث إنّ الاكتظاظَ الديموغرافيَّ لمحافظة كرمان كان في المركز، أي مدينة كرمان، فإنّ المناحَ الثوريّ لأبنائها وتركيبتها العشائريّة وارتباطها الشديد بقائد الثورة الإمام الخميني (قده)، جَعَلَ منها قلعةً من قِلاع الثورة، إلى جانب أصفهان وخوزستان وشيراز وتبريز وقم ومشهد.

فجر الاثنين ١١ شباط ١٩٧٩، عَمَّ العالمَ الاسلاميَّ الفرحُ والسرورُ بانتصار أوّل ثورة إسلاميّة في القرن العشرين على الديكتاتورية والطغيان في بلادها، وكان للأيّام العشرة التي سَبَقتْها، والتي يلقّبها الشعب الايراني بعشرة الفجر، أثرٌ في الانقلاب الكبير في حياة الشعب الايراني، حيث حَكَمَ الاسلام بقيادة فقيهٍ عادل أقوى وأغنى دولة في الشرق الأوسط وقُطِعَتْ ذِراعُ أمريكا وإسرائيل القوية في الخليج بالأيّام الأولى لانتصار الثورة.

كان ذلك الانتصار بدايةَ فتح عظيم بالنسبة للشهيد القائد الحاج قاسم سليماني، وحلماً لا يُوصَفُ إلاّ بالدموع، التي كانت تترقرق في عينيه كلما ذُكِرَ الإمام الخمينيّ (قده)، وذكريات أيّام القيام الثوري الهادر الذي اجتاحَ كلّ البلاد. ولأجل ذلك، أصبحت أيّامُ الحاج قاسم قياماً بقيام حتى آخرِ لحظات عمره الشريف، وهو كان يبثّ بعض أحاسيسه تلك جهاراً في جلسات ذِكرِ الشهداء، حيث كان يؤكّد بأنّ المُكَلَّف الذي يتعبّدُ بالتكليف ليسَ إلّا أداة سَخّرَها الله لصالح الناس، وإنّ عَملَ بتكليفه فليس عليه أنّ يفتّشَ عن الجوائز أو يفرح ويحزن بالنتائج، فكلّ شيء مُقَدّرٌ وبيد الله، وليس على العبد إلّا أنْ يتْقِنَ العملَ ويُخْلِصَ النيّة ويُسَلّم للإرادة الرّبانيّة تسليماً مطلقاً.

انتسب الحاج قاسم للجنة الثورية، التي تولت إدارة شؤون مدينة ومحافظة كرمان قبل أسابيع من بلوغه سن ال ٢٢ عاماً. ونتيجةً لتشخيصه المُبكّر بأنّ الثورة تحتاج إلى حُرّاس، فَقَدّ اهتمّ بالمجال الجهادي وتخلّى عن وظيفته الرسميّة في مؤسسة مياه كرمان، مُتفرّغاً لشؤون العمل الثوري، مع بداية بروز فكرة الحرس الثوري الاسلامي كعَضُدٍ للثورة.

خَضَعَ الحاج قاسم لدورة عسكريّة، أظهرت سريعاً بعض مهاراته في فنون القتال اليدوي، التي قد كان اكتسبها في السنوات التي عاشها في كرمان، ممّا جعلَ مدرّبيه ينتخبونه ضمن مجموعة قليلة من شباب المدينة، ليصبح مُدرّباً في التكتيك وفنون القتال الفرديّ. وهنا، ظهرَتْ واحدةٌ من أهمّ مميّزات الحاج قاسم المدرّب، وهي مهارةُ اكتشاف لياقات وقابليّات المتدرّبين وتصنيفهم بعد انتهاء تدريبهم.

ولاحقاً، بعدما اندلعت الحربُ وغزا صدام أرض إيران، تَجلّتْ ميزةُ اكتشافِ المقاتلين بقوّةٍ عند الحاج قاسم، لتحديد الصالح منهم للمشاركة في الخطوط الأولى للجبهة عن الآخرين، الذين كانوا ينقلون إلى اختصاصات أخرى. ولأجل هذه المَلَكة القويّة والصائبة عند الحاج قاسم، نَعَتَهُ بعضُ المتدرّبين اليافعين، الذين كانوا قد أنجزوا دورتَهم التدريبيّةَ الأولى في إحدى المناسبات، بأكثر مُدرّب مَكروه في معسكر ثكنة (٥) بكرمان. وفي هذا المجال، يقول أحدُهم، في كتاب يوثّق ذكرياتِ مجاهدي فرقة ثار الله تحت عنوان «٢٣ فتى»:

كانت كليّة الهندسة في «كرمان» مركزًا لمتطوّعي الجبهة، وكان يتوافد التعبويّون إليها من جميع مدن وأقضية محافظة «كرمان».

حان يوم الانطلاق نحو الجبهة، فأَمَرَ «قاسم سليماني»، الشابّ المليح وقائد لواء «ثار الله»، باجتماع جميع القوّات في ملعب كرة القدم. جَلَسْنا على أرض الملعب الأخضر، في مجموعات من ٥٠ عنصرًا، راح «قاسم سليماني» يَجولُ بين القوّات ويقيّمها، وسار خَلْفَه «ميثم أفغاني» طويل القامة عريض المنكبين، لو أنّه تقدّم «سليماني» بخطوةٍ لاعتقدنا أنّه هو القائد لهيبته وطول قامته.

كان الحاج «قاسم»، «ميثم» وعدد آخر من الحرس يتقدّمون نَحْوَنا، فاضطرب قلبي، لقد جاء لِيُغَرْبِلَ القوّات، وبالطبع فإنّ صغارَ السنّ سُرعان ما يسقطون من غربالِه، كان يُخرجهم من صفوف المقاتلين ويقول لهم: «اذهبوا إلى الثكنة، وإن شاء الله، ستشاركون في البعثة القادمة». كلّما اقترب منّي كُلّما ازداد اضطرابي، فمن القسوة بمكان إخراجي من صفوف المقاتلين لتبقى حسرةُ المشاركة في العمليّات تنغّصُ عليّ أيامي. كم كَرِهْتُ الحاج «سليماني» حينها؟!

فمن أعطاه الحقَّ لِيُقرّرَ عنّي، هل أقاتل أم لا؟ لو كُنّت غيرَ مؤهّل للحرب، فلماذا أرسلونا في اليوم الأول إلى ثكنة «القدس»، لتلقّي التدريبات العسكريّة؟ ولو كان من المقرّر أنْ لا نشارك في المعارك، فلمَ كان «يونس زنكي آبادي»، مسؤول التدريب يُطلق في الساعة الثالثة فجرًا صفّارةَ الاستعداد لنكونَ حاضرين خلال ٤ دقائق، بكامل السلاح والعتاد في باحة الثكنة الّتي لفّها الصقيع؟! ولماذا علّمنا الشيخ «بهائي» فكّ وتركيبَ السلاح مرّات ومرّات؟ ولمَ كلّ ذلك التشدّد من قبل السيد «دامغاني» في حقل الرماية؟ ولمَ يجبرنا السيد «مهرابي» الساعة ١ ظهرًا على البحث عن «خرطوشة» في الصحراء قُرْبَ حَقْل الرماية عند أطراف جبل «صاحب الزمان»، ويهدّدنا، في حال لمَ نجدها، بالحرمان من طعام الغداء، الّذي لم يكن يتعدى ٤ حبّات تمر؟! كنت أودّ أن يعلم الحاج «سليماني» أنّني فقط قصيرُ القامة، وأنّني في السادس عشر من العمر، ولستُ طفلًا صغيرًا كما يظنّ، كنت أودّ لو أمْتَلكَ جُرأةَ الوقوف أمامه لأقولَ له: «هل تعلم، أيّها السيد المحترم أنّني خدمت مُدّةَ شهرَيْن في الجبهة سابقًا؟! وأنّي كنت أحرس على مسافة قريبة أسمع فيها أصواتَ العراقيّين حتى أنّ قذيفة هاون قد انفجرت بالقرب منّي؟» لكنّني لم أجرؤ على قول ذلك.

كان الحاج «قاسم» يرتدي زيّاً أحبّه، وكان ودودًا عَكْسَ غيره من القادة العسكريّين، ينظر إلينا بعطف وتواضُع، لكنّه في الوقت نفسه لم يُعِرْ اهتمامًا لاعتراضات المبعَدين والمخَرَجين من صفوف المقاتلين.

وَصَل الحاج «قاسم» إليّ، فشعرتُ أنّني على حافّة الهاوية، فكرت في نفسي: «ليت لي لحية!»، وحَسَدْتُ الجالسَ بالقُرب منّي

لأنّ لديه لحيةً وشاربًا أيضًا. اللّعنة على هذا السنّ الّذي سيوقعني في المشاكل! لم تنبتْ شعرةٌ واحدةٌ على وجهي بعد، وحتّى اللّون الأخضرُ فوقَ شفتي لن يشفع لي، قرَّرْتُ أن أديرَ وجهي للناحية الأخرى كي لا يُكشف أمري، لكن ماذا عن قدّي؟ كنتُ الأقصرَ في الصفِّ وأشبهَ بسنّ المشط المكسور وسط أسنانه السالمة.

رفعتُ نفسي بصعوبة على ركبتَيّ قليلًا، ليس لدرجة يظنّ معها الحاج أنّني أقف و لدرجة لا تُظهر أنّني جالس، بَلْ بَيْنَ بَيْن، واستعنتُ بحقيبة الظهر لتحقيق هدفي وهو خداع الحاج «قاسم سليماني»، فوضعتها في الجهة الّتي سيمرُّ بها وأدَرْتُ رأسي لِأنظرَ في الجهة المعاكسة وقد ساعَدتْني القُبَّعةُ المعدنيّة على ذلك، حيث إنّ جميعها بحجم ومقاس واحد، أظنّ أنّني في هذه الخطة قد حَلَلْتُ مشكلةَ طوليً ولحيتيً أيضًا، لكن يبقى الأمل بعدم تدقيق الحاج «قاسم»، ولحسن الحظ، لم يفعل ومرّ بي دون أن أسقط من غربالِه، بل بقيت في اللّائحة الّتي خوّلتنا في محطة السكّة الحديديّة ركوب القطار نحو الجبهة.

من زاوية ملعب كرة القدم الأخضر، تعالَتْ أصواتُ استنكار المُبعَدين، بعضُهم كان أكبرَ سنًّا وحجمًا منّي، حينها أدركتُ كَمْ كانت خطّتي عظيمة، وشعرتُ براحة البال لأنّني في هذا الجانب وليس ذاك! كان «سلمان زاد خوش»، أحد المُبعَدين من قرية «خانوك»، كاليائس الّذي لم يَعُدْ يعرفُ الخوفَ أو المهابةَ من أحد يبكي ويصرح بوجه الحاج «قاسم» قائلًا: «من تكون حتّى تمنَعنا من الدفاع عن ديننا ووطننا؟ لقد تدرّبنا وجَهدنا في ذلك كثيرًا، أقسم أنّه ليس من المروءة بمكان منعُنا من الذهاب». في النهاية نطق «قاسم سليماني» وقال: «عندما يقعُ الصبيةُ في الأسر يُرْغِمُهم العراقيّون

على القول إنّهم أجبروا على الذهاب إلى الحرب». تابَعَ «سلمان» وبلهجة قويّة: «في الحقيقةِ، إنّ الصبيةَ أكثرُ شجاعة من الكبار، حتى أنّ كثيرًا من الكبار المدّعين لا يعرفون من القتال والعمليّات سوى الثرثرة والكلام!». لا يملك «قاسم سليماني» كثيرًا من الوقت ليجادل أو يقنع «سلمان» لذا أعرض عنه برِفْقٍ وقد اغرورقت عينا «سلمان» بالدموع، حائرًا مذهولًا قرب الملَعَبِ. مُبعَدٌ آخر هو «علي رضا شيخ حسيني» في ١٦ من العمر، وخلافًا لـ«سلمان»، خرج من الصفّ بكلّ هدوءٍ وصلابةٍ دون أيّ اعتراض، يبدو أنّه غير مصرّ على الذهاب، لكنْ كان لهدوئه هذا سرٌّ آخر! عندما خرج من الصف، حمل حقيبةَ الظهر واتّجه نحو المنامة، وعندما عاد كان يرتدي زيًّا عسكريًا أخضر بلون عينَيْه الخضراوَيْن، كم كان أنيقًا بشعره الأشقر وزيّه الأخضر! وكم مَنَحَه ثقةً بالنفس لا تخفى على أحد! أدركتُ أنّه، وعلى الرغم من صغر سنّه في الحرس الثوري، وبعد أن ارتدى هذا الزيّ عاد وسجّل اسمه في اللّائحة دون أيّ مشكلة تُذكر».

ورغَم أنّ هذه الشهادة تدحضُ دعايةَ الأعداء بأنّ الإيرانيين كانوا يزجّون بالأطفال في «حربهم العبثية»، إلّا أنها تكشفُ بعضاً من مَلَكة خطيرة تمتّع بها الحاج قاسم سليماني حتى آخر عمره الشريف، وهي الفَراسَةُ والخبرة ببعض مواصفات وطبائع الناس من النظرة الأولى.

عموماً كان عمر وخبرة وبنية ولياقات الحاج قاسم الماديّة، وتديّنُه وروحيّتُه العاليةُ المجبولةُ بالتواضع والأخلاق الحسنة، من المميزات التي أهّلته للتطوع في الحرس الثوري الإسلامي.

على أجنحة الملائكة

انتسبَ الحاج قاسم إلى الحرس الثوريّ في ١ أيار ١٩٨٠، ولم يكن تاريخُ انتسابه يوماً عاديّاً، بل كان يوماً حزيناً لإيران ومؤلماً له شخصيّاً وأكّد له صوابَ خيار عمره.

فقد اغتالَتْ، في نفس اليوم، جماعةٌ تَطْلِقَ على نفسها اسمَ «جماعة الفرقان» الشهيد مرتضى مُطَهّري ممثّل الإمام الخميني في مجلس قيادة الثورة.

وشنّت المجموعاتُ الشيوعيّةُ، في نفس اليوم أيضاً، عصياناً مُسلّحاً على الدولة، استهدفت فيه عدداً من المدن، هَدَفُ هذه المجموعات، كما ظهر في التحقيقات تباعاً، كان السيطرة على الحكم.

كان الحاج قاسم من الأفراد الأوائل الذين انخرطوا في الحرس، كما كان من عديد المجموعات الأولى التي كُلّفَتْ، قبل اندلاع الحرب المفروضة، بإجهاض مؤامرة أعداء الثورة الداخليّين في جنوب وشمال غربي البلاد عام ١٩٧٩. وتتحدث الوثائقُ أنّه ذهبَ بمهمّة، لعدّة أشهر، إلى الشمال الغربيّ لحماية المناطق الحدوديّة من المتمرّدين الانفصاليين، الذين دعمهم صدام حسين وزجَّ بهم إلى الداخل الإيراني، بِهَدف اقتطاع جزءٍ عزيزٍ من إيران.

اكتسبَ الحاج قاسم، خلال المهمّة، خبرةً قتاليّةً وقياديّةً ميدانيّةً،

أهّلته لقيادة فصيل ليعود إلى كرمان مكلّفاً بقيادة وتأهيل السرايا الأولى من كتيبة «ثار الله»، التي أسّسها شبابً كرمان، ككيان يجمع أبناءَ المحافظة المجاهدين. ورغم أنه أدار فصيلاً في مهمّته الأولى في الحرب المفروضة، إلّا أنّ قابليّاته ومهاراته أهّلته، خلال أشهر، لقيادة الكتيبة التي جعلها الحاج قاسم تتطوّر خلال سنتين إلى فرقة من أهم الفرق المقاتلة في الحرب المفروضة، يُشار إليها بالبنان باسم «فرقة ثار الله ٤١».

يوم السبت ٢٠ أيلول ١٩٨٠، شَنّ سلاح الجوّ العراقيُّ ضربةً جويّةً شاملةً، استهدفت عدداً من المطارات والمواقع الاستراتيجيّة في إيران، هَدَفُ صدّام كان تعطيلَ الملاحة الجويّةِ المدنيّة والعسكرية الايرانية، وتدمير الطائرات الحربيّةِ في مدارجها على الأرض، في ١٠ مطارات عسكريّة، بهدف شَلّ قدرة إيران الحربيّةِ الجويّةِ، ومنعَ سلاح الجوّ الإيرانيّ من دعم قوّاته والدفاع عن حدوده الغربية. ولكنّ الضربةَ الجويّة العراقيّة، فشلتّ في تحييد سلاح الجو الايراني فشلاً ذريعاً، وكانت هذه واحدةً من إخفاقات صدّام الكبرى في الأيّام الأولى للحرب.

يومها، بدأت رحلة الحاج قاسم في ميادين الجهاد التي استمرّت ل ٤٠ عاماً بدون توقّف، وساح فيها بكلّ الثغور المُمتدّة من أفغانستان إلى البوسنة، مروراً بالعراق وشرقي المتوسّط وفلسطين.

كُلّف الحاج قاسم، في اليوم الأول للحرب، بتنظيم الدفاع عن مطار كرمان وحمايته، حيث سيُمضي هذه الخدمة لأسابيع، قبل أنْ يلتحق، فوراً، بأوّل عمليّة تحرير لمدينة إيرانيّة، هي سوسنجرد، من رجس الاحتلال الصّدّامي،

يوم الاثنين ٢٢ أيلول ١٩٨٠، شَنَّ صدام حسين هجوماً شاملاً على أراضي الجمهوريّة الاسلاميّة من ثلاثة محاور رئيسة، وعلى جبهة طولها ٦٥٠ كيلومتراً، مستخدماً ٦ فرق مشاة و١٢ فيلقاً ميكانيكيّاً مدرّعاً.

هَدَفُ الهجوم الرئيسي كان احتلالَ محافظة خوزستان الايرانيّة، وتأكّد هذا الهدف على الأرض عندما اندفعت ٧٥٪ من قوّات صدام الغازية في عمق المحافظة، واستطاعت التوغّل في الأراضي الإيرانيّة مسافة، وصلت في محافظة خوزستان إلى ٨٠ كيلومتراً.

اعتقد صدام بأنَّ أهالي المحافظة، ذوي الأصول العربية، سيتجاوبون مع إغراء الانفصال الذي عَرَضَهُ عليهم خلال تبريره لغزوه، بعد أن كان جهازُ الدعاية العراقيّة روَّج لذلك على مدى الأشهر التي سبقت الحرب ثم الاحتلال.

دَاسَ أهالي خوزستان على العَرْض الذي قدّمه صدام بإنشاء ما يُسمّى «بجمهورية عربستان»، وكان لهم رأيٌ آخر، فسرعان ما نظّموا مقاومة شعبيّة للاحتلال بمعاونة القوّة الجويّة للجمهوريّة الاسلاميّة، وتسبَّب دفاعُهم المستميتُ بإجهاض النجاح الكامل للهجوم الذي خَطَّطَ صدام وأركانه لإنجازه كاملاً، بمهلة زمنية لا تتجاوز أسبوعين على أكثر التقديرات العراقية تشاؤماً، ولكنّ وقفة أهالي خوزستان اضطرت النظام العراقي مُرّغماً، لإيقاف هجومه الشامل في السابع من شهر كانون الأول ١٩٨٠، أي بعد أقل من ١٠ أسابيع على بدايته، تمكن المدافعون عن حمى الجمهورية الاسلامية بفعل انتظام أهالي خوزستان والحرس الثوريّ الاسلاميّ والجيش وقوات التعبئة العامّة، من انتزاع المُبادأة من الجيش العراقي، في

حرب مقاومة لا متماثلة واستنزاف طويلة، وأدّى هذه المرحلة الافتتاحية من الدفاع المقدّس، إلى استعادة معظم الأراضي المحتلّة بعد سنة ونصف من بداية الحرب .

قام سلاح الجوّ الإيرانيُّ، يوم الثلاثاء ٢٣ أيلول ١٩٨٠، بشَنِّ ضربة جوية استراتيجية للجيش العراقيّ نفّذتها ١٨٠ طائرة مقاتلة ضدّ أهداف ومطارات حربيّة في عمق العراق، شملت بغداد و٨ مدن رئيسية في العراق.

مع استمرار الاندفاعة العسكريّة العراقيّة داخل إيران، وبوجود ١١ ألف جنديّ مشاة إيرانيّ فقط على الحدود، في المنطقة الممتدة من باوة حتى الفاو، وضعف الإمكانات التسليحيّة والعديد، وفي ظل فوضى إداريّة ولوجستيّة وعدم جهوزيّة الصنوف العسكريّة الأخرى، باستثناء القوة الجوية التي برزت كالذراع العسكرية الأقوى في الجيش.

أصدر الإمامُ قراراً بتكليف أحد ممثليه في مجلس الدفاع الأعلى، الشهيد مصطفى شمران، الخبير بالحروب غير النظاميّة بتشكيل فريق من المختصّين في هذا النوع من الحروب وتأسيس غرفة عمليّات للمقاومة، كما كلّف الإمام وكيليّه في مجلس الدّفاع الأعلى، سماحة الإمام السيد علي الخامنئيّ والراحل آية الله الشيخ هاشمي رفسنجاني، بالعمل في القاطعيّن الجنوبيّ والشماليّ للجبهة، الذي كان لا زال يتعرّض للهجوم العراقيّ حيث تمكن العراقيون من احتلال مدينة سوسنجرد مرّتين وطردوا منها مرّتين.

هنا لا بدّ من التنويه إلى أنّ المشيئةَ الالهيّة قضتْ بالتحاق الحاج قاسم من كرمان البعيدة إلى محافظة خوزستان، ضمن عديد القوات

الإيرانية التي كُلّفت بعمليّة تحرير سوسنجرد، في مهمّة مدّتها ١٥ يوماً، ولكنّها أبقتْهُ في الجبهة لمدّة ٨ سنوات.

ويروي الحاج قاسم هذا التفصيل فيقول: « كنتُ مولعًا جدّاً بالخطط والقضايا العسكريّة، وكذلك الجبهة. وبسبب هذه المحبّة، وطِئتُ أرض الجبهة في مهمّة تمتدُّ ١٥ يومًا ولم أرجع إلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها».

وقع العبءُ الأكبر في الأشهر الأولى للحرب على الحرس الثوريّ وعلى المجموعات غير النظاميّة والأهالي، فقد كان الجيش يخضع لعمليّات إعادة هيكلة وتنظيم كبرى لتطهيره من فلول الشاهنشاهيّة، التي أعادت تجميع صفوفها وتحالفت مع الجماعات التخريبيّة التي ناصبت الثورة العداء من الأشهر الأولى، دون أن تعلن ذلك جهاراً، مُستغلّة انشغالَ باقي القوى المسلّحة بِصَدّ العدوان .

وقد سعى هذا التحالف الهَجين من أعداء الثورة إلى مهاجمة المعسكرات النائية والاستيلاء على كمّيّات من السلاح والعتاد الموجود في هذه المعسكرات، وخطّط للقيام بانقلاب عسكري كبير. ففي ٩ / ٢ / ١٩٨١م، وقبيل يومين من الذكرى السنوية الثانية لانتصار الثورة. قام عدد من قادة الجيش والقوات الجويّة بالتعاون مع قوة من عدة مئات من العسكريين والميليشيات التابعة للجماعات التخريبية بالاستيلاء على عدد من الطائرات والأسلحة الفعّالة، كالدبابات وناقلات الجند والمدفعية، التي كان يجب أن تُرسل للجبهة إلا أنّ مماطَلةَ رئيسِ الجمهورية آنذاك أبو الحسن بني صدر(الذي تبين تورطه لاحقاً) رفض مطلقاً تزويد الحرس والتعبئة بالسلاح، وأبقى هذه الأسلحة في المخازن التابعة للجيش،

لتقوم الجماعات التخريبيّةُ والانقلابيّةُ بالاستيلاء عليها بسهولة من هذه المستودعات ، استعداداً للقيام بانقلاب عسكري، ولكنّ معلومات عن هذه الخطّة وصلت إلى مجلس قيادة الثورة، فأسرع بإحباط الانقلاب واعتقال قادته بوقت قياسي ، حيث أوعز المجلس بتشكيل قيادة مشتركة من الجيش وحرس الثورة والقوات الجويّة، للتعامل مع المتآمرين، والقبض على المتورّطين في المخطط الانقلابي، وتعقّب الفارّين منهم، وإجهاض محاولتهم بالكامل، وتحقق ذلك خلال ساعات واعتقل المئات من المتآمرين.

ومع انكشاف دور المخابرات المركزيّة وعملائها في الانقلاب وانفضاح دور التحالف بين رئيس الجمهورية آنذاك، أبو الحسن بني صدر، وجماعة «منافقي» خلق بزعامة مسعود ومريم رجوي، ودور هذا التحالف في تثبيط الهمم بمواجهة العدوان العراقي، وزرع الفوضى والرُّعب في الداخل، والتحضير لثورة مضادّة لصالح الاستخبارات الخارجيّة.

عزل الإمام الخميني (قدس) في ١٠ حزيران ١٩٨١ رئيس الجمهورية المتواطئ أبو الحسن بني صدر من القيادة العامّة للقوات المسلّحة، بانتظار قيام المؤسّسات الدستوريّة بعزل بني صدر من كامل سلطاته، وهذا ما قام به مجلس الشورى خلال أيّام.

وترافق ذلك مع هدوء لافت في الحرب من الجهة المعتدية، التي أوقفت عمليّاتها بشكل شبه كامل، للإفساح بالمجال أمام منظمة «منافقي» خلق لتنشيط خلاياها النائمة، بدعم وتنسيق كامل من المخابرات الأمريكية والصهيونية.

ومع تسارُع الإجراءات الدستوريّة لعزل بني صدر من رئاسة

الجمهورية، تكشّفت بشكل سافر العلاقة العضويّة بينه وبين جماعات التخريب، التي حاولت زرع الفوضى في البلاد، من خلال التفجيرات والاغتيالات وتحريك القوى الانفصاليّة في محافظتي بلوشستان وكردستان، فضلاً عن إطلاق الغوغاء في شوارع عدد من المدن الإيرانيّة الرئيسة لتحضير المناخ لإطلاق ما يشبه «ثورة مضادة» على الثورة الاسلاميّة، التي كان الشعب نصيرها وأفشلَ بنزوله إلى الشارع واصطفافه وراء قيادة إمامه الخميني، كلّ ما كان قد بدأه أعداء الداخل. وخلال أيّام، أجهض حضورُ الشعب في الساحات ويقظته كلّ مخطّطات الشرّ الداخليّة ضد الجمهورية الاسلامية، ففرّ بني صدر ومسعود ومريم رجوي وعدد كبير من فلول النظام الشاهنشاهيّ، الذين كانوا قد أعلنوا، ظاهريّاً ولاءهم للثورة ولكنّهم كانوا يعملون باطنيّاً لصالح القوى الخارجية المعادية وينفذون مخطّطاتها.

إلّا أنّ الشعب الإيرانيّ دفع ثمناً كبيراً، في الأشهر التي تلت، باغتيال المنافقين لعدد كبير من الكوادر المقرّبين من الإمام الخميني (قده)، مثل الشهيد بهشتي ٢٨-٦-١٩٨١ والشهداء مُفَتّح ومَدَني وقُدُّوسي وصَدُوقي ودَسْتغَيْب، ورئيس الجمهورية الذي خلف بني صدر الشهيد رجائي ورئيس وزرائه الشهيد باهونار ٣٠-٨-١٩٨١، وقدّر الله، في نفس هذه الموجة من الاغتيالات، أن ينجوَ الإمامُ السيد علي الخامنئي من محاولة اغتيال في صلاة الجمعة بمسجد أبو ذر في طهران بتاريخ ٢٧-٦-١٩٨١.

كان هدفُ قَتْل هذا الكمّ الكبير من الكوادر إفراغَ إيران من القيادات الثورية التي كانت تمثل الأمل في المستقبل.

استطاعت إيران أن تُلملمَ جراحها وتعوّض الخَلَلَ والثلمة الكبيرة التي نتجت عن اغتيال قادتها سريعاً.

ووضعت الحكومة الاسلاميّة وهياكلُها، لأوّل مرّة منذ انتصار الثورة عام ١٩٧٩، على السكّة الصحيحة، بعد التخلّص من المنافقين ومن الثورة المضادّة، وتحوّلت كلّ الجهود والامكانيّات إلى اتجاهين رئيسيينَ تمثّلا بوضع استراتيجّيتين متوازنتين ومتوازيتين، واحدة للحكم وآليّاته وسياساته، والثانية للدفاع عن الدولة ضدّ الهجوم الصدّامي الغاشم.

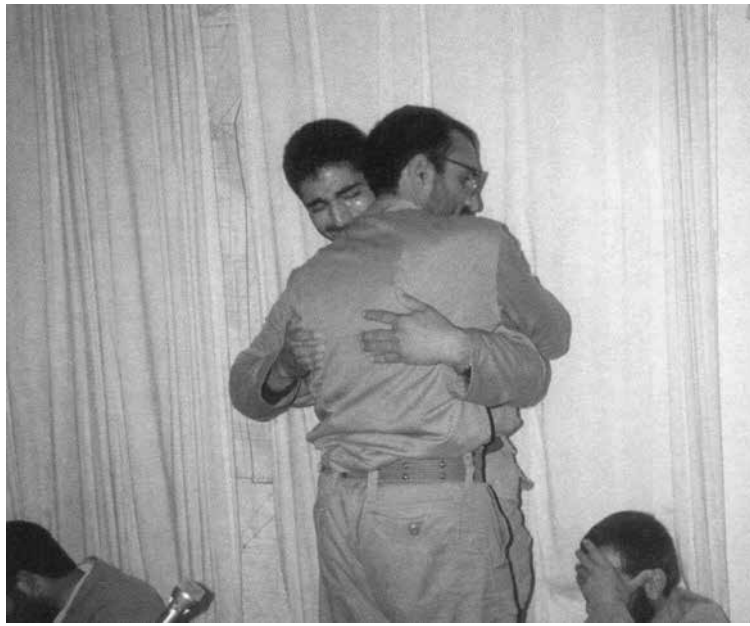

عقيدة أسياد النزال

أقرّ مجلس الدفاع الأعلى، في ٦ تموز ١٩٨١، خطّة للاعتماد على القوات البرّيّة بشكل شبه كامل، واعتماد عقيدة قتالية تدمج بين الحرب الكلاسيكيّة وحرب العصابات، وهو الشكل الذي تطوّر لاحقاً بشكل كبير وأصبح يعرف في كُلّيّات العالم العسكرية باسم «Iranian military doctrine»، أو العقيدة العسكرية الإيرانية، والتي أنتجت النموذج الوحيد المجرب ميدانياً للجيلين الثالث والرابع للحروب، والذي يعرف الآن باسم «الحرب اللامتماثلة».

هذا النهج من الحروب بَرَعَ وتفوّق فيه الإيرانيّون، ويمكن الجزم أنّ الشهيد الحاج قاسم كان واحداً من أهمّ منظّريه، ومن أبرع القادة العسكريين الذين طبّقوه، بعدما تمرّس عليه، لمدّة ثماني سنوات خلال الحرب المفروضة. وللحاج قاسم بصمات في معظم العمليّات الكبرى التي تدرَّس، الآن، في الكلّيّات العسكريّة الكبرى في العالم، والتي شارك الحاج قاسم مع عقول إيرانيّة فذّة أخرى في تخطيطها وقيادتها. وهذه العمليات هي عمليّات (طريق القدس – ثامن الأئمّة (ع) – بيت المقدس – الفتح المبين – كربلاء ٥ – والفجر ٨)، لأسباب تتعلّق بأنّه قاد فرقة هجوميّة وكان يشارك في إعداد وتطبيق الخطط الهجوميّة التي شاركت فيها فرقته «ثار الله ٤١».

تبرز هنا فلسفة ورؤية الحاج قاسم سليماني الحربيّة، التي اكتسبها

في الميادين ومن ذكائه الشديد وبراعته بفنون الحرب اللامتماثلة، التي يعتقد أنّها أفضل عقيدة قتالية لمواجهة القوة الغاشمة للعدوٍ المتمتّع بالتكنولوجيا العالية والمتقدّمة، وبالعديد المتفوق عدديّاً وبالإمكانيّات الماديّة واللوجستيّة الكبيرة.

يحدّد الحاج قاسم، في محاضرة ألقاها في شهر أيلول ٢٠٠٧ في المؤتمر العاشر لإحياء ذكرى شهداء محافظة كرمان، فلسفته للحرب بخمسة عناصر هي، كما وردت على لسانه:

١- الجهاد
٢- الأخلاق
٣- المعنويّات
٤- العبوديّة
٥- الولاية

وهذه الأركانٍ المهمّة الخمسة في الحرب تُمثّل القالب الأساس لوعاء الجبهة:

الركن الأوّل هو الجهاد: فهناك اختلافٌ كبير بين الجهاد والحرب كعملٍ عسكريّ، فللجهاد خصائص وبنية خاصّة به. لهذا، فإنّ جميع الأعمًال التي كانت تُنجز في الجبهة، حتى الأعمال العسكريّة، كانت مبنيّة على الجهاد، فالجهاد هو الذي كان يحطّم السدود. إنّ العمل العسكريّ يصل إلى طريق مسدود بخلاف الجهاد، ففي العمل العسكريّ لا يسمح العقل العسكريّ لنا أنْ نقوم بعمليّات عسكريّة مثل: «بيت المقدس» و«الفتح المبين» و«طريق القدس» «والفجر ٨» و«كربلاء ٥» وو... فنحن كنّا أمام عدوٍّ لا يوجد بيننا وبينه أي

نوع من التكافؤ، وكانت إمكاناتنا، مقارنةً بإمكاناته، بدائيّةً جدًّا. لقد كنّا نقول: إنّ غوّاصينا ينزلون إلى المياه يتحرّكون ويقتحمون الخطوط، فالغوّاص في العرف العسكريّ هو قوةٌ خاصّة تخضع للتعليم والتدريب بحسب الأنظمة التعليميّة في العالم. ففي البداية ينبغي أن يصبح رياضيًّا ثمّ يتأهّل حتى يُطلق عليه اسم الغوّاص، وبعد ذلك فإنّه يتمرّن لعشرات المرّات على العمل الذي يريد أن ينجزه، ونحن اليوم نشاهد هذا الأمر كثيرًا في الكتب التعليميّة العسكريّة، ولكن عندما ننظر إلى كتيبة غوّاصينا نجد ذلك الشيخ العجوز مثل قباد شمس الديني[1]، ونجد أيضًا ذاك الشاب اليافع مثل حسين علي عالي[2] وحسن يزداني والكثيرين غيرهم. انظروا إلى هذه الوجوه وشاهدوا أفلام عمليّات «والفجر ٨» أولئك الذين أبدعوا تلك العمليّات الثقيلة والمعقّدة على الصعيد العسكريّ، كان القسم الأعظم منهم ممّن لم ينبت الشعر بعدُ على وجوههم، كانوا في عمر الناشئة، كان حسن يزداني إمام جماعتنا.

شككنا في إحدى المرّات فيما إذا كان هذا الذي أمّنا طيلة السنتين أو الثلاث الماضية قد بلغ سنّ التكليف أم لا! عندما تحوّل هذا التعبويّ إلى غوّاص وذهب وأنجز تلك العمليّات المسمّاة بـ«والفجر ٨»، وأبدع في تلك الحادثة العظيمة، فهذا أمرٌ مهمٌّ جدًّا، إنّ أساس هذه الشجاعة والعمل الجهادي كان مهمًّا، وهذه الروح الجهاديّة

---

١ كان من مقاتلي فرقة «ثار الله ٤١» الذي استُشهد وله من العمر ٥٦ سنة في عمليات و«الفجر ٨» (شهر بهمن ١٣٦٤ كانون الثاني ١٩٨٦م)

٢ مسؤول الاستطلاع والمعلومات في عمليّات فرقة «ثار الله ٤١» حيث استشهد وله من العمر ١٩ سنة في عمليّات «كربلاء ٥» ١٣٦٥ (١٩٨٧م).

التي حطّمت الموانع والسدود كان يقاوم حتى الرمق الأخير في ساحة الجهاد.

الركن الثاني هو الأخلاق: لقد حصل اجتماعٌ بشريٌّ هائل لمدّة ثلاثة آلاف يوم، أي إنّه عبر ثلاثة آلاف يوم وليلة كان هناك أشخاصٌ متمايزون وبأعمارٍ مختلفة وبمستوياتٍ متعدّدة ومن أماكن جغرافيّة متفاوتة، لقد اجتمعوا وتسلّحوا معًا وأرادوا أن يحاربوا، ولم يحصل بينهم أدنى شجار أو إهانة أو كلام نابٍ أو انزعاج، لم يكن ذلك في أيّ نوع من الرتب العسكريّة، لم يكن هناك شخصٌ قائد وشخصٌ عقيد وشخصٌ عميد وشخصٌ نقيب وأمثال ذلك. لم يكن أي واحد من هؤلاء يفكّر بأيٍّ من هذه الرتب العسكريّة؛ لم يكن هناك سوى كلمة واحدة متداولة، وهي الأخ. لم يكن هناك عالٍ ودانٍ، لم يكن هناك أي نوع من التمرّد، كان الأدب حاكمًا في الجبهات.

الركن الثالث هو المعنويّات: لقد ضَرَبْتُ هذا المثل مرّات ولا بأس في تكراره أيضًا، ففي موسم الحج عندما يُحرم الحجّاج ويذهبون إلى عرفات ومنى والمشعر ورمي الجمرات، فإنّ كلّ هذه أعمالٌ معنويّة والكلّ يكون مشغولًا بذكر الله، لقد كان لجبهاتنا مثل هذه الأجواء، كان هناك حجٌّ حقيقيّ مثل حجّ إبراهيم وإسماعيل، لم يكن هناك أي نوع من مدح الذات والغرور والعجب والتكبّر فيها، لم يكن أيّ واحد يتظاهر بأيّ شيء. في عمليّات «والفجر ٨»، حيث كان الأمل بالانتصار ضعيفًا جدًّا، كان واقع الميدان صعبًا وقد سأل علائي[1] الشهيد الحاج أحمد أميني عند بدء العمليّات: ماذا تفعلون إذا ما

---

١ حسين علائي قائد القوة البحرية في قوّات حرس الثورة الإسلامية في ذلك الوقت.

رآكم العدوّ؟ فشرح له في الجواب، ولكن يبدو أنّ علائي لم يقتنع؛ فقال الشهيد أميني: نقرأ «وجعلنا من بين أيديهم»، وهكذا حصل. أمّا الشهيد صدوقي، فعندما كان بين القصب على شاطئ العدوّ وداس أحد الأعداء بقدمه على يده وفي الوقت الذي كان صفّ من الغوّاصين نائمًا خلفه، آلمه ذلك كثيرًا ولكنّه عضّ على نواجذه ولم يصدر صوتًا، وتحت ذاك الضغط الشديد من قدم العدوّ كان يقرأ آية «وجعلنا»، وكانت هذه الآية تفعل المعجزات، لقد قيل الكثير عن الجانب المعنوي للحرب ويجب أن يُقال أيضًا المزيد.

الركن الرابع هو العبوديّة: العبوديّة المحضة لله، العمل لأجل الله العمل، على طريق الله وغضّ النظر عمّا سوى الله، لقد كان هذا العامل مهمًّا في الحرب.

الركن الخامس هو الولاية: كان أكثر من ٩٠٪ من المقاتلين ممّن لم يروا الإمام عن قرب ولكنّهم كانوا عاشقين له، لقد وضعوا أرواحهم على طَبَق الإخلاص من أجل بسمة الإمام ورضاه وإزالة قلقه، ولم يكن هذا الأمر منحصرًا بالإمام فحسب، بل لأنّهم كانوا يعلمون أنّ قائدهم قد عُيّن من قبل الإمام فقد كانوا يطيعونه كالإمام، سواء كان قائد كتيبة أو سريّة أو فرقة. لم يكن هناك أيّ نوع من التمرّد، إنّني لا أذكر، ولو لمرّةٍ واحدة، في أيّ ليلةٍ من ليالي العمليّات الصعبة أنّه كان يأتي شخصٌ أمامي أو أمام قائد السريّة أو المجموعة أو اللواء ويقف ويقول إنّني لن أذهب إلى العمليّات.

وفي عمليات «كربلاء ٤»، كانت المسافة التي تفصلنا عن العدوّ أقلّ من ٤٠٠ متر، أي ما يساوي مسافة القسم الأقلّ عرضًا من نهر أروند، كُنّا نحن نرى كلّ ما كانوا يقومون به وكانوا هم يرون

كل ما كنّا نقوم به، ولم يكن على شاطئ النهر أي نوع من القصب لكي يغطّي خطوطنا، كنّا قد أحدثنا بعض السواتر الصغيرة على حافّة النهر، وكان الشباب يتموضعون فيها، وكانوا يضعون زعانف الغوص ونتلاصق فيما بيننا. كانت فرق «ثار الله ٤١» و«كربلاء ٢٥» و«الإمام الحسين ١٤» و«النجف الأشرف ٨» و«النصر ٥» وعدّة فرق تشارك أيضًا، ولم يكن هناك أيّ ملاذٍ أو ملجأ يلوذ به أيّ واحدٍ منّا، وبدأت تسيل قنوات رفيعة من الدماء. قال لي قائد الكتيبة: هل أذهبُ؟ قلت: اذهب، فلم يعد هناك مجالٌ للمباغتة. وبصوت «الله أكبر» و«لا إله إلا الله» و«يا زهراء» إقْتَحموا الخطوط، لم يكن مثل هذا العمل بسيطًا، مثل هذا التعبّد يحتاج إلى الإيمان، لقد تحدّثنا كثيرًا عن تلك اللّيلة الإعصاريّة في «والفجر ٨»، التي أسقطت كلّ أنواع الحسابات. عندما نزل الغوّاصون إلى المياه، لم يكن الماء ليسمح لهم بذلك وكان سؤالهم الوحيد هل نذهب؟ من دون أيّ استدلال أو كلام آخر، فذهبوا وحقّقوا تلك الواقعة الكبرى في عمليّات «والفجر ٨».

يضيف الحاج قاسم:

هذه خمسة أركانٍ مهمّة أوجدت وعاء الجبهة تلك، وكل ما قد يوضع في هذا الوعاء يتأثّر بهذه الأركان الخمسة، كانت رؤى الأشخاص في الجبهة مختلفة إلّا أنّ بواطنهم كانت ثمينة كالجوهرة، لقد حوّلتهم الجبهة إلى أساطير ووصل أكثرهم إلى الشهادة.

هذه العوامل الخمسة أدّت إلى بروز خصائص ثلاث من قلب حربنا وجبهتنا:

- الخاصيّة الأولى: خلق المعنويّات: فإنّ معظم المعنويّات التي تحقّقت في مجتمعنا قد فاضت من الحرب، فلا يمكن لأيّ أحد أن يُنكر أنّ أساس التحوّلات المعنويّة الكبرى في مجتمعنا كانت في حرب الدفاع المقدّس، وإن لم يكن ذلك متعمّدًا ولكنّه تبدّل إلى ثورةٍ ثقافيّة في المجتمع.

- **الخاصيّة الثانية**: هي انبعاث التفكّر: لقد كانت حربنا في مجال الحثّ على التفكّر أشبه بالحوزة العلميّة، فكما يتباحث الطلبة في الحوزة فيما بينهم ويتناقشون ليصبحوا جاهزين ومستعدّين للقيام بالمسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتقهم، كانت ساحة الحرب هكذا أيضًا؛ لقد كان المجاهدون يسعون إلى الانقطاع عن الدنيا ويقتدون بالحوزات، ومثل هذا الأمر قد أدّى إلى تحقّق مثل هذه الخبرة وبناء تجربة في شباب الحرب.

لهذا، انظروا إلى حسين يوسف إلهي ومحمد رضا مرادي وأمثالهما، الذين كانوا بعمر الورود وتحمّلوا مسؤولية المعلومات[1]، وكان نادري، قائد كتيبة سرجان، أصغر قادة الكتائب سنًّا يدير أكثر من ٣٥٠ شخصاً، وفي آخر أيّام الحرب هجم لوحده (مع كتيبته) على فرقة مدرّعة للعدوّ، وحطم خطوط مثلث الحسينيّة وكسر الحصار وخلّص أربع فرق كانت تحت حصار العدوّ.

لقد كانت الجبهة مثل فرنٍ يخرج منه الأشخاص ناضجين ومستوين. في الحرب لا يمكن للجبان أن يكون شجاعًا، لكن هناك مجال لشجاعة الشجاع أن تبرز، فالشخص المؤمن يصبح أكثر رسوخًا

١ قد يقصد منها في بعض البلدان: المخابرات.

في إيمانه، أمّا ضعيف الإيمان فلا يمكنه أن يخفي هذا الضعف، فكلّ شيءٍ في الحرب يبرز ويظهر.

كلّ الخصال تبرز في الحرب ولا يبقى شيءٌ مخفيًّا، لم يدرس قادتنا الأعزاء، مثل باكري وهمّت وزنغي آبادي وكازروني ومير حسيني وآخرين في الجامعات، وإنّما تربّوا في ميادين الحرب العمليّة؛ لهذا، فإنّ الذي كان قائد كتيبة وكان يتحمّل أعباء مسؤوليّة أحد المحاور كان اختياره دقيقًا جدًّا. لقد انتسب بعض الإخوة في آخر الحرب في الصفوف التعليميّة لجامعة الحرس أو تدرّبوا في دورات دافوس[1]، وعندما كانوا يرجعون إلى الجبهة كانوا يواجهون الصعوبات، لأنّ ذاك الشيء الذي كانوا قد تعلّموه لم يكن قابلًا للمقارنة مع الشيء الذي يشاهدونه في الواقع العمليّ. ولعلّ هذا الاعتراف ليس جيّدًا، ولكنّنا في آخر الحرب منعنا قادة كتائبنا من الذهاب إلى مثل هذه الصفوف الدراسية، لأنّ شاكلة حربنا لم تكن تتلاءم وهذه التعاليم (والتدريب). لقد كنّا نعيش حربًا غير متكافئة، والحرب غير المتكافئة تتطلّب نوعًا خاصًّا من الآليات والفكر، لهذا كان دفاعنا على مدى هذه الحرب في حالةٍ من عدم التكافؤ.

الخاصيّة الثالثة: العمل الاداريّ تحت الضغط: والتي تشاهدونها اليوم ويوجد عليها نماذج هي أنّ الشباب الذين خاضوا كثيرًا في الحرب أصبحوا اليوم أكثر نجاحًا في الإدارة العامّة للمجتمع، لأنّهم كانوا يمارسون الإدارة في أصعب المراحل.

---

١ دافوس اختصار لجامعة القيادة والأركان. فالضباط العسكريّون إذا أرادوا أن ينالوا رتبةً أعلى من عقيد يجب أن يخضعوا لدورات دافوس التعليميّة التخصُّصيّة.

يجب علينا أن نتعرّف إلى هذه العوامل التي حقّقت مثل هذه التربية والشخصيّات العظيمة في الجبهة، من أجل أن نتمكّن من ترويجها في مجتمع اليوم؛ ذاك الشيء الذي يجعل أعداءنا، اليوم، متردّدين بشكلٍ جادٍّ وأساسيّ في توجيه ضربةٍ إلى بلدنا، ليست تلك الاعتباراتُ السياسيّة أو رعايتهم للعالم، بل إنّ ذاك الشيء الذي أوقف أعداءنا هو الدفاع المقدّس على مدى ثماني سنوات، ومواضيع أخرى يدركها العدوّ جيّدًا. نحن لم نقل يومًا إنّ عدوّنا لن يهاجمنا، من الممكن أن يقوم هذا العدوّ بتحرّكٍ غير مدروس، ولكنّنا نحن على استعدادٍ تامّ لمواجهة أي تحرّكٍ من العدوّ، وأيّ ضربةٍ يريدون إنزالها بالجمهوريّة الإسلاميّة ستفشل وستُمنى بالهزيمة. من الممكن أن يقوموا بعملٍ ما ولكن لا يعلمون ماذا ستكون نتيجته، ليس باستطاعتهم أن يخمّنوا نسبة نجاحهم.

لا يوجد حرب جرّبها العدوّ أصعب وأشد من حرب الـ ٣٣ يومًا في لبنان[١]، ولا يوجد عدوّ أكثر كلاسيكية وتدريبًا من إسرائيل؛ فهؤلاء، بدهشة، رأوا أنّ أقوى جيوش العدوّ في العالم قد هُزم على يد مجموعة صغيرة تسمى «حزب الله» ، وفي إيران، هناك آلاف المنظّمات كحزب الله وملايين الأشخاص كعناصر حزب الله، وفي الحقيقة إنّ هذا الشعب، وبالتوكّل على الله، سبحانه وتعالى، هو شعبٌ لا يُهزم، وبالإيمان بالأئمّة المعصومين، عليهم السلام، والثقة بنصر الله يستمرّ على طريقه.

١ حرب تموز عام ٢٠٠٦.

في مدرسة الحرب المفروضة

لا يخطئ الباحث في دراسة شخصية الحاج قاسم سليماني إذا خلصت نتائج أبحاثه إلى أن المدماك الأول لبناء هذا القائد الجهادي الفذّ أساسه تجربة وخبرة الحرب المفروضة، فالحاج قاسم، الذي كان يملك لياقات كامنة واستعداداً فطريّاً للقيادة والابتكار والتطور، مزج هاتين الخصوصيّتين بالتجربة وحبّ التعلّم والعشق الفطريّ للاطلاع، ويمكن الجزم بأنّ عمل وأفكار وقدرات الحاج قاسم فرضت نفسها بسلاسة بدون سعي شخصيٍّ منه مثل معظم أفراد وقادة الحرس الثوري الاسلامي الذّين اشتهروا بنكرانهم الشديد للذات وابتعادهم عن التفاخر ،ومنهم الحاج قاسم الذي بقي يردّد حتى آخر أيام عمره الشريف مقولته الصادقة : «أنّني حارس صغير للثورة والاسلام وجنديٌّ للقائد» .

لذا، وللأمانة التاريخيّة، سنترك الحاج قاسم يتحدث بنفسه عن ذكرياته الخاصّة بالحرب المفروضة، والتي وثّقها بنفسه للأجيال بدون تدخّل، وسيجد القارئ في طيّات هذه الذكريات مفردات كثيرة تُعرّف عن الحاج قاسم المجاهد والعسكري والإنسان مع التنويه بأن هذه المقابلات والذكريات فرضتهما على الحاج قاسم ضرورة نقل التجربة والدروس المستفادة وليس التفاخر أو السمعة.

ذكريات عمليات «طريق القدس»[1] و«الفتح المبين»

انطلقت عمليّات «طريق القدس» مباشرة بعد انتهاء عمليّات «ثامن الأئمة»، التي كسرت الحصار عن منطقة عبادان. استمرت عمليّات «ثامن الأئمة» ثلاثة أشهر، وأرهقت خلالها القوّات. ومع ذلك، أرسلنا كتيبتنا للمشاركة بهذه العمليّات بعد إعطاء إجازة قصيرة لكلّ الإخوة تقريبًا، ما عدا ثلاثة أو أربعة، كان من بينهم «حميد إيرانمنش» المعروف بـ«حميد الفدائي»، الذي رغم استحقاقه للإجازة انتقل على الفور من ساحة العمليّات في عبادان إلى سوسنكرد.

مع انطلاق عمليّات «طريق القدس» عام ١٣٦٠ه.ش (١٩٨١م)، توجَّهَت كتيبة من فيلق كرمان -وقد تسلّمتُ قيادتها- إلى منطقة الجنوب؛ كان ميدان «ولي العصر» نقطة الانطلاق، حيث هناك ذهبنا إلى سوسنكرد والتحقنا بالمقرّ الخاص بشباب كرمان، وقبيل بدء العمليّات، كنّا نمضي الليالي بالدعاء والعبادة.

---

١ بدأت عمليّات «طريق القدس» في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٨١م في منطقة بستان وغرب سوسنكرد وانتهت بعد ١٥ يومًا بتحقيق جميع الأهداف.
أيلول ١٩٨١م.

أمّا حميد الفدائي الذي كان معروفًا، قبلًا، بـ«حميد الرَشَقي»[1]، فالتحق بنا في منطقة «ديلم»، حيث إنّه، ولشدّة عشقه للعمليّات، لم يذهب في إجازة أصلًا. وهناك، التحق بـ«أكبر محمد حسيني» في الكتيبة الأولى التي كان من المقرّر أن تقوم باقتحام خط التماس مع العدو.

امتاز حميد بقدرته على توجيه وإدارة القوّات، وكان له دور ريادي في تدريب وتجهيز الكتيبتين اللتين أتينا بهما من كرمان، فالشباب كانوا يصغون إليه لدرايته الجيّدة بساحة الحرب وإنجازاته الاستثنائية فيها، كانت لديه خبرة أربع أو خمس عمليّات في كردستان، وهذا شيء ليس بقليل.

دخلنا، ليلة العمليّات، قناة كانت عرضة لنيران العدوّ، من بداية الخطّ وصولًا إلى الخط الخلفيّ للجبهة، إذ تساقطت قذائف الهاون من عيار ١٢٠ و١٦٠ مم بكثافة، كذلك أمطرت مدافع الدبّابات القناة بقذائفها.

في البدء، ركّز العدو قصفه العنيف في هذه العمليّات عند هذا الخط؛ وبعد مضي ساعة على انكشاف أمر الهجوم، كانت نيران العدو تغطّي كامل المسافة الفاصلة بين خطّ انطلاقنا وخطّ تحصيناته، حتى معابر الانتقال انكشف أمرها وغطّتها النيران. كان حميد لا يزال مع السريّة الأولى؛ أما نحن، فكنّا ننتظر اقتحام شباب الأهواز خطّ التحصينات الأول حتى نندفع خلفهم باتجاه الخطّ الثاني، لنصل إلى حافة جسر «سابله».

---

١ مصطلح عسكري: رشقي الوضعية التي يكون فيها السلاح الفردي بوضع رشقي بعكس الطلقي.

كانت تفصلنا مسافة مئة متر فقط لبلوغ سواتر العدو الترابية، لكنّ النيرانِ كانت تنهمر على رؤوسنا بكثافة، وفي هذه اللحظات، قَدِمَ حميد من سريّته وقال لي: «بهذه الطريقة لن نفلح، سيستشهد جميع الشباب دعني أقترب مع سريّتي باتّجاه الأسلاك الشائكة هناك، حتى أشغل العدو». وافقت على طرحه، فتحرّك على الفور مع سريّته ليقترب من الأسلاك. في هذه الأثناء، أُصِبْتُ بجروح، كما اضطر «أكبر محمد حسيني» إلى التراجع مع السريّتين، حتى أنّ شباب الأهواز لم يوفّقوا في اقتحام الخط. نزفتُ بكثرة وخارَتْ قواي، لكن لم أشأ القول إنّني جريح حتى لا تضعف معنويات الشباب، عاد «حميد» وأصرّ عليّ كي أنتقل بسرعة إلى طرف المعبر وأشرف على عمل القوّات، فأجبته: «لا أستطيع الانتقال اذهب أنت وقم بما تقدر عليه». أدركَ أنّني لست على ما يرام، فهزّ رأسه وودّعني منطلقًا باتجاه الخطّ مجدّدًا.

لم تطل فترة المحادثة مع حميد أكثر من عشر ثوانٍ، بعدها، وفي أقل من ربع ساعة، كان حميد قد سيطر على الخطّ الأول لقوّات صدام، فتوقّفتْ الرمايات الرشاشة وقذائف الهاون، وباشر الشباب بعمليّة التطهير، وعلت في أرجاء الميدان هتافات التكبير.

اتّصل أكبر حسيني وأخذ على عاتقه توجيه السريّتين الأخيرتين، وتحرّكوا بسرعة إلى المتاريس وتابعوا تقدّمهم إلى الأمام.

في هذه الأثناء، فَقَدْتُ الوعي ونُقلتُ إلى الخطّ الخلفي، وهناك، سمعت أخبار «حميد» وكيف أنّه سبق جميع القوّات حاملًا حزامًا فيه الكثير من القنابل اليدوية وصار يرمي بها دشم العدو من مسافات قريبة، كانت كل دشمة تبعد عن الأخرى مسافة ٥ إلى

٢٠ مترًا فيدمّرها، وكم كان محظوظًا عندما انتبه بسرعة أنّ قنبلته التي رماها إلى داخل إحدى دشم العدو قد عاد ورماها العدو باتجاهه فانبطح على الفور ونجا من شظاياها القاتلة، غير أنّ شظية قذيفة هاون أصابته ولم تنل منه وواصل التقدم!

لاحقًا، نُقلتُ إلى المستشفى؛ وبعد أن تعافيت وعدت إلى الجبهة، شرعتُ بتشكيل لواء «ثار الله». كان «حميد الفدائي» أحد الإخوة الذين خطر في بالي أن أستعين بهم كنواة أساسيّة في تشكيل هذا اللواء.

ونظرًا لدوره الكبير في عمليّات «طريق القدس» وعلاقته المميزة بالشهيد «مهدي كازروني»[1]، أولياه دورًا أساسًا في عمليّات «الفتح المبين». لقد كانت هذه العمليّات أولى تجارب لوائنا.

قبل بدء الهجوم، أَجرَيتُ أنا وحميد عمليّتي استطلاع واحدة في الجهة اليمنى من منطقة «كمر سرح» وأخرى في الجهة اليسرى.

كانت المسافة بين المنحدرات بعيدة، فيما تموضع العدو في أعلى المرتفعات، وتراوح عددنا في دوريّة الاستطلاع من عشرة إلى اثني عشر فردًا، وكنا ننجز مهامنا خلال النهار. كنا أنا وحميد وكازروني نتسلّل إلى الأمام، فيما يتمركز البقية خلفنا ليقوموا بمهام التأمين.

عبرنا التلال والهضاب حتى وصلنا إلى حافة مرتَفع بالقرب من «كمر سرح»، الذي لم يفصله عن موقع قوّات العدوّ في أعلى التلّة

---

١ الشهيد مهدي كازروني كان مسؤول التخطيط والعمليّات في فرقة «٤١ ثار الله» وقد ارتقى شهيدًا في شهر آبان عام ١٣٦٢ ه.ش (١٩٨٣م) خلال عمليّات «والفجر ٤».

سوى نهر، لكن انحدار سفح التلّة من جهة النهر كان حادًّا جدًا، ما مكّن قوّات العدو من الإشراف الكامل على ضفّتيه. انبطحْنا مستترين ببعض الشجيرات وبدأنا بالمراقبة، لكن لم نتمكّن من استطلاع النهر عن قرب، كنّا بحاجة إلى تحديد المواضع القليلة العمق فيه ليسهل على قوّاتنا العبور منها إلى الضفة الأخر، لكن مع الأسف، كنّا في فصل الشتاء، حيث مياه النهر تتدفّق بقوّة، الأمر الذي حال دون التشخيص الدقيق.

قضت خطّة العمليّات أن نتحرّك من اتجاهَين للإطباق على منطقة «كمر سرح» ومباغتة العراقيين من الخلف. عندما وصلنا، بقينا مستترين وكنّا حائرين ماذا نفعل لكي نستطلع النهر، فدشم العدو مشرفة بشكل كامل على مجراه!؟ ولقربنا منها كنّا قادرين، على تشخيص حركة الأفراد بداخلها، حتى أنّنا كنّا نسمع صوت قرقعة الملعقة بالصحن، فعطسةٌ واحدةٌ من أحدنا تكفي لينكشف أمرنا. حرصنا على التشاور همسًا، خوفًا من أن يصل صوتنا إليهم، ثمّ قرّرنا أنّ ينزل أحدنا باتّجاه ضفة النهر، وكان حميد أوّل متطوّع؛ كان النزول يستصحب ضجة وجلبة فيما الصعود مكشوفًا للعراقيّين، ولم يكن أمامنا أيّ خيار آخر. تقدم حميد نزولًا حتّى توارى عن الأنظار، ورصدنا حركته فقط عبر آذاننا فيما عيوننا مسمّرة باتجاه دشم العدو، ورغم شدة الانحدار، إلا أنّ حميد تحرّك بخفّة ورشاقة خوفًا من أن يحدث صوتَ تَدَحْرُج أيّ حجرٍ وينكشف أمره، وصل إلى مقربة من ضفة النهر واستتر في حفرة صغيرة، ثمّ رأيته ينهض بكلّ اطمئنان ويستطلع كلّ ما نريده بدقّة.

أنهى استطلاعه وهمّ بالإياب، وإذا بأحد جنود العدو يراه لكنّه لم يطلق النار باتّجاهه على الفور، لم نعرف ما إذا كان الأمر كمينًا أم

شيئًا آخر، شاهدناه يركض نحو مسؤوله ليدلّه على حميد، وبحمد الله، فإنّ الأمر لم يطل لأنّ حميد برشاقته العالية انسحب نحونا بسرعة. بقينا مستترين نرقب ردّ فعل قوّات العدو، كانوا حوالي خمسة عشر فردًا، يقفون عند التلة ويُشيرون لبعضهم البعض إلى هذا الاتجاه ويتساءلون عمّا إذا كان الشخص الذي شاهدوه من أهل المنطقة أم عسكريًا! في نهاية الأمر، عادوا إلى موقعهم وعدنا أدراجنا.

كان الاستطلاع الثاني الذي قمت به مع «حميد» ليلة عيد النوروز أو ما قبلها بليلة، وكان معنا أيضًا «رحيمي» و«تهامي» والحاج مهدي كازروني. كان يوجد في منطقة «إمام زاده عباس»، عند الجهة اليسرى من مرتفعات «كمر سرح»، عدة قرى، وكانت هناك شجرة وحيدة أظنّ أنّها شجرة بلوط، نفيئ إليها نهارًا لنحتمي بجذعها الضخم ونرصد من هناك خط قوّات العدو.

في تلك الليلة، تناولنا عند جذع الشجرة شيئًا من الطعام وجلسنا نكمل مخطّط المهمة، وكان برفقتنا أحد أبناء المنطقة ويُدعى «الشيخ عيسى»، وهو حفيد «الشيخ قيوم»، كبير وجهاء بلدة «قيوم»؛ تقرّر أن يتوجّه هو، مع الحاج رحيمي وتهامي برفقة أحد شباب الاستخبارات ويُدعى «عرب»، باتّجاه الطريق المعبّد، وذلك من خلال عبور المنخفضات وخطّ العدو، فإذا ما وجدوا الفرصة سانحة أمامهم ينتقلون إلى طرف منطقة الـ ٢٠٢، وبعد الانتهاء من عملية الاستطلاع، يعودون إلى خطّنا.

وبالفعل، بدأ الشباب بالزحف على صدورهم من المنخفضات نحو الأعلى حتى وصلوا إلى منخفض آخر أكثر عمقًا، أما أنا ومهدي وحميد فبقينا عند الشجرة وغالَبَنا النُعاس من شدّة التّعب. في تلك

الفترة، لم نكن نحتاط كثيرًا كما في أواخر الحرب. وعندما انتبهنا من نومنا، أَحْسَسْنا بالخطر وقد أحدق بنا، كانت قوّات العدوّ قريبة منّا، ولطالما اصطدمنا بالعراقيين. تحرّكنا نحن من هذه الجهة وهم كانوا في الجهة الأخرى، كاد أن يفوتنا وقت الصلاة إلى أن تمكنّا من النزول بسرعة، ومن دون أن ننتبه للعراقيين صلّينا في منخفض ثم عدنا إلى خطّنا.

بعد عودتنا، التقينا الأح «أشجع» قائد حرس المنطقة (٦) وكان يبحث عنا ليُرينا رسالة بخطّ يد الأح محسن رضائي، الذي عُيّن للتو القائد الأعلى لقوّات الحرس، وتبيّن أنّ العدوّ قد هاجم شباب قُمّ الموجودين في منطقة «شوش»، وأنّ ذخيرتهم قد نَفَدت، كما لم يكن مستبعدًا أيضًا أن يهاجم العدو مناطق جديدة. لذا، كان من الأفضل أن تبدأ العمليّات في نفس تلك الليلة، وأن يتحرّك الجميع باتجاه المحاور المحدّدة لهم، شعرنا بالراحة لأنّنا كنّا قد أنجزنا عمليّات استطلاعنا.

تقرّر إرسال سريّة مشكّلة من قوّات الحرس والجيش حتى تصل إلى منطقة الـ ٢٠٢، وأن تأتي السريّة التي يقودها حميد الفدائي ومهدي كازروني والأح «خوشى» من الجهة اليسرى، لتعبُر مع قوة من الجيش بقيادة «شادكام» الجهة اليمنى لنهر «جيخواب». أرْسلنا القادة الأساسين إلى الجهة اليسرى، لأنّ أملنا بتحقيق اختراق من الجهة اليمنى كان ضعيفًا أصلًا، لم يكن هناك إمكانيّة لتأمين الدّعم والمساعدة للقوّات من تلك الجهة.

كان يوجد هناك طريق يربط بين خطّ تموضعنا ومنطقة «إمام زاده عباس»، ويمكّننا من الالتفاف على «كمرسرح» وإيصال الذخائر

لقوّاتنا عند الجهة اليسرى، كلّ أملنا بالنجاح كان معقودًا هناك. لذا، عَمَدْنا إلى دعم قوّاتنا بكلّ ما أمكن.

تحرّك حميد سريعًا نحو كتيبته، ولحسن الحظ، لم يكن السيد رحيمي قد ذهب بعد، وسرعان ما عاد «حميد» فأعدنا تنظيم القوّات. عند المغيب، نزلت الكتيبة من المرتفعات وتمّ تجهيزها وشرعت بالتحرك باتجاه خط العدو، عند الساعة ١٢:٠٠ ليلا، وصلت إلى نقطة بدء الاشتباك.

كان حميد قد التفّ مع رحيمي والحاج مهدي على منطقة كمرسرح وتموضعوا خلف قوّات العدو في بلدة الشيخ «قيوم»، وهناك انتظروا حتى انطلقت أنا من الجهة اليمنى ليصبح الجميع جاهزين لبدء العمليّات.

لكن عند الساعة ١٢:٠٠، اتّصلوا بنا وأبلغونا بتأجيل العمليّة وضرورة إعادة القوّات، فاتصلت بالحاج مهدي وأبلغته بواسطة الشيفرة أن يرجع.

في تلك الليلة، لم يفتح أحد بطاقة «المنشأ»[1]، إذ لم يحتمل أحد مع كلّ هذه الجهوزية أمر تأجيل العملية. وهنا، سمعنا أول رشق ناري يُطلق من جهة حميد الفدائي الذي كان الأكثر جهوزية، وبذلك، وقع عدم التنسيق عندما وصل حميد مع قوّاته إلى القناة، سأله شباب السريّة: «متى ستسلّمنا الذخيرة؟» فأجابهم «اسْتَخْدِموا ما لديكم في مخزن السلاح، ولاحقًا، نرى ما نفعل». فردّوا عليه: «حسناً، أَعْطِنا طلقاتٍ لنملأ مخازن السلاح». فيما بعد، أخبرَنا حميد أنّ

١ أو الشيفرة العسكرية.

أحدًا من بين جميع عناصر السريّة البالغ عددهم ٦٠ أو ٧٠ شخصًا لم يكن بحوزته مخزن سلاح واحد مكتمل الطلقات... لقد كان إلغاء العمليّات تدبيرًا إلهيًا!

كان الشباب قد انطلقوا لتنفيذ العمليّات عند الساعة ٦:٠٠ مساءً وعادوا عند الساعة ٦:٠٠ صباحاً، أي إنّهم أمضوا اثنتي عشرة ساعة مشيًا على الأقدام، حاملين حقائبَهم العسكريّة على ظهورهم، استغرق مسير الالتفاف للعودة وقتًا طويلًا، وكان على القوّات أن تستريح في نقطتي «كناره» و»هتيت». ورغم أنّهم كانوا معرّضين لخطر الانكشاف من دوريات العدو المزوّدة بكلاب حراسة، إلّا أنّهم، ومن شدّة التّعب، استلقوا على السواتر الترابية من دون استتار.

في ظلّ هذا الوضع، قال لي حميد، الذي كان لا يزال في أوج نشاطه: «إذا أكملنا المسير بهذا الشكل سيرانا العدو وستُمزّقنا نيرانه أشلاء». قلت له: «ألا ترى كم هم متعبون، لم يعد بالإمكان فعل شيء»؛ فهزّ رأسه وقال: «لا يصحّ أن تسير الأمور هكذا»، ثمّ ذهب وأحضر صهريج ماء -الله وحده يعلم من أين أتى به-، وبدأ برش المياه على الشباب، كان أغلبهم فرحًا بذلك، فصحيح أنّنا كنّا في فصل الشتاء، إلّا أنّ شتاء خوزستان ليس باردًا، ففي النهار تستمرّ الحرارة مرتفعة، وفي الليل يتحوّل الطقس ربيعيًا. وبالطبع، لم يُعْجِب الأمر بعض الشباب إلّا أنّ أكثرهم كان يضحك وهو يتبلّل بالماء وبهذه الحيلة، استطاع حميد أن يُنزل الشباب إلى خلف السواتر.

وصلنا بسلام إلى خطّ الانطلاق، إلّا أنّهم عادوا وأبلغونا أنّ العمليّات ستبدأ هذه الليلة، فأعدنا تجهيز الشباب؛ كان تأجيل العمليّة

لصالحنا، فالشباب أصبحوا أكثر دراية ومعرفة بالمسير الذي عبروه حتى إنّهم وضعوا علامات في بعض النقاط، ففي طريق العودة، ترك بعضهم حقيبة عسكرية أو قذيفة أر بي جي أو بعض الأمور الصغيرة، وأصبح المسير محدّد المعالم.

راقبنا العدو بدقّة، ولم نلحظ له أيّ ردّ فعل أو حركة غير عادية على المرتفعات، لكن الطائرات العراقية حلّقت على ارتفاع منخفض، ومشّطت خطّنا والخطوط العسكرية الأخرى في الجبهة ثم غادرت الأجواء.

تحرّكنا مجدّدًا، وبنفس العتاد، باتجاه خطوط العدو، إلّا أنّ قوّاتنا التي تحرّكت من الجهة اليمنى اصطدمت بحقل ألغام ولم يكن معها عنصر هندسة[1]، فكان هذا العائق أحد الأسباب التي أجبرتنا على تغيير مسيرنا والالتفاف على العدو. كان لدينا ثلاثة عناصر هندسة فقط وكنّا نرسل لكلّ حقل ألغام عنصرًا واحدًا، التفّت سريّة حميد على المنطقة، فتحرّكت من فوق طريق قوّات العدو. وفتحت النار عليه، سرعان ما استطاعت إسكات النيران من جهة «كمرسرح»، فتقدّم الإخوة إلى قرب المرتفعات من دون أي مواجهة تُذكر. بعد سماع الشيفرة مباشرة، تمّت مهاجمة المرتفعات والسيطرة الكاملة على قممها، كانت أطراف كمرسرح مغلقة بالكامل وقد سقطت منطقة الـ ٢٠٢، وانقسمت منطقة «كمرسرح» إلى محورين: محور قاده حميد الفدائي والمحور الآخر قاده «خوشي» قائد الكتيبة وكان حميد نائبه. كان الشهيد «منصوري» رسول (بريد) حميد الخاصّ،

---

١ «سلاح الهندسة» وحدة عسكرية مهمتها الكشف عن العبوات والمتفجرات وتفكيكها إلخ.

وإلى جانبه «مصطفى هندوزاده»، أما الشهيد «طاهري» فكان عامل الإشارة[1] في محوره. انطلق حميد من وسط المرتفعات، والتفّ القائد خوشي من الجهة الشمالية للمرتفعات انطلقا من المحورين وأحكما السيطرة عليها. أوصل حميد قوّاته بسرعة إلى الأهداف التي ينبغي السيطرة عليها، تميّز حميد بالخفة والسرعة في إنجاز العمل، وقد انتقلت هذه السرعة إلى القوّات التي يترأسها، الأمر الذي شلّ قدرة العدو على التحرّك وأسقط من يده زمام المبادرة.

في هذه العمليّات، استُشهد الأح طاهري، مسؤول اللاسلكي لدى حميد، وانطلق الأخير والقائد خوشي لاستعادة جثمانه. كانت بطاقة الشيفرا بحوزته وكان من الممكن أن ينكشف أمرها، لكن الشهيد مزّقها وهمّ ببلعها عند استشهاده وكان فتات الورق لا يزال في فمه.

رغم وجود الموانع، اقتحم حميد خطّ العدو. ومع انبلاج الصباح، كانت قد أُحكمت السيطرة على المرتفعات، ما خلا منطقة واحدة. توجّه القائد خوشي وحميد نحو تلك النقطة، حيث جُرح هناك الحاج «حسن رشيدي» وشخصان آخران، ولم يكن ممكنًا الاقتراب من القرية.

ومجدّدًا أعاد حميد والقائد خوشي تنظيم الصفوف وتوجّه الحاج مهدي كازروني بالقوّات نحو القرية وبدأت الاشتباكات، ارتفع عدد من الشهداء من بينهم على ما أذكر الشهيد «مؤذن زاده»، وتم تنظيم المشاة بهدف الالتفاف على القرية، بتنا على مسافة ٥٠م من العدو ولم يصدر أي ردّ فعل. كان من المحتمل أن يرمونا بقذائف

---

١ الاتصالات اللاسلكية.

الـ ار بي جي. وفجأة، بدأ إطلاق نيران البنادق والـ آر بي جي من الجهات الأربع، وجرح عدد من الإخوة واستشهد أحُ واحدٌ. وبعد نصف ساعة، انسحبوا ودكّوا القرية بقذائف الدبّابات، وبما امتلكوا من أسلحة وسيطرت قوّة المشاة على المنطقة. حينها، لم أعرف شيئًا عن أخبار حميد الذي كنت أبحث عنه، ظننت أنه استشهد؛ كانت المرتفعات شاسعة، وكنا نبحث عنه منذ الصباح. وعند الساعة العاشرة، جاء حميد إلى ناحية قوّاته وارتفعت الأصوات بالصلاة على النبي وآله ودبّت الحماسة في نفوسهم، أُصيب حميد بقدمه، تعانقنا عند قدومه ثم شرح لي مجريات فتح المرتفعات، قائلًا «لقد أسرنا عددًا ممّن كانوا في أعالي القمم»، وبيّن لي كيف أنّ عناصر العدو تسمّروا في الأعالي وأُلقي في قلوبهم الرعب، فالتلة قد حوصرت وعلموا أنّهم سيُقتلون جميعًا إن فتحوا النار، استغلّ حميد حيرتهم واضطرابهم فاستولى على سلاح أحدهم وأسرهم بأجمعهم. وحين نزل إلينا، كان قد كلّف عددًا من الإخوة بمراقبتهم، تبيّن فيما بعد أنّ الأسرى كانوا حوالي ٧٠ أو ٨٠ جنديًا عراقيًا، وهكذا انتهت العمليّات في اليوم الأول مكلّلة بالنجاح.

في اليوم الثاني، انتشر خبر هجوم لواء «المدرعات ١٠» العراقي على «سهل عباس»، وحاصر قوّاتنا في منطقة الـ٢٠٢، فاصلًا بيننا وبين منطقة «كمرسرح». أما جنودنا في لواء الإمام الحسين، عليه السلام، فتابعوا العمليّات في قرية تقع بيننا وبين «شيخ مزبور» و»عين خوش». كان عدد المقاتلين في «شيخ مزبور» كثيرًا جدًا، بحيث لم نَعُد نعرف ما إذا كانوا من أفراد لواء الإمام الحسين، عليه السلام، أم من عناصرنا أم أنّهم جنود عراقيّون. ورغم أنّ لون آليات نقل الجنود العراقيين كانت تختلف عن لون ناقلات جنودنا،

لكن ذلك لم يكن كافيًا للحسم، لأنّ شباب أصفهان كانوا قد غنموا خلال عمليّات طريق القدس في عبادان وغيرها آليّات عراقية.

أرسَلْتُ حميد، الذي لم تُصِبْ روحيته بالوهن قطّ، بقدمه المصابة مع مجموعة من الإخوة إلى منطقة شيخ مزبور، وحافظنا على تواصلنا مع الجميع خلال كل تلك الفترة، وتحرّك فريق منهم باتّجاه الهدف. التجأ إلى قرية شيخ مزبور حوالي ٦٠٠ جنديّ عراقيّ بعد مواجهات عين خوش والـ٢٠٢ ليتمكّنوا من الفرار عبر نهر «جيخواب»، ولكنّهم حوصروا في شيخ مزبور. لم يكن لديهم تشكيل قتاليّ، كانوا خائفين. ومع ذلك، كان احتمال الخطر والمواجهة لا زال قائمًا بنحو جدّي، لكنّ حميدًا استطاع بأدنى حدّ من المواجهات والخسائر أن يأسر جميع هؤلاء الـ٦٠٠ ويأتي بهم إلى منطقتنا.

استمرّت عمليّات «الفتح المبين» عشرة أيام، خضنا فيها مواجهات مع العراقيّين في سهل عباس، كانت كمرسرح تحت سيطرتنا وأحكمنا الطوق على المنطقة من خلال المتاريس التي شيّدناها بالقرب من إمام زاده، تراجع العراقيّون نحو مضيق «أبو غريب»، وبقي من قوّاتنا سريّة واحدة، كان أكثر الإخوة إمّا جرحى وإمّا شهداء.

عند الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، جاء إليّ الشهيد «حسن باقري» و«محمد علي إيرانمنش»، كانا يحملان رسالة من الأخ محسن (رضائي) ومخطّطًا لإغلاق مضيق «أبو غريب» ومنع العدو من التقدّم نحو منطقة الفتح المبين، فعبور العراقيّين من ناحية نهر «دبويدج» عن طريق سهل «جمسري» وتقدّمهم باتجاه مرتفعات «تينو» و«الرقابيه» وعين خوش أمر محتمل، حينها،

ستذهب كل جهودنا هدرًا، إذ أنّه حتى تلك الساعة لم نكن قد رأينا مضيق «أبو غريب».

عقدنا جلسة، وتقرّر أولًا أن تتحرك ١٠ أو ١٢ شاحنة قلّابة بمصابيح مضاءة باتجاه العراقيّين، لإيهامهم أنه تمّ تزويدنا بالقوّات والتجهيزات، فيلقي ذلك في قلوبهم الرعب ويدفعهم إمّا إلى الفرار أو الاستسلام.

وتقرّر، ثانيًا، أن يتقدّمنا الشهيد «حميد عرب نجاد» بجرافة؛ فيبتدئ هو المواجهة الأولى، كان بحوزة الجنود العراقيّين مدافع وآر بي جي وأسلحة ثقيلة، وكانت مهمّة «عرب نجاد» في غاية الخطورة، وتقرّر، كذلك أن يسير حميد الفدائي وتهامي بالسريّة خلف حميد عرب نجاد.

في تلك الليلة سرنا رتلًا مع فاصلة مسافة ٢٠ مترًا تقريبًا، وبدأنا التحرّك باتجاه العراقيّين عند الثامنة والنصف صباحًا، ولكن لم يظهر لهم أيّ أثر. توجّهت مع تهامي و«حسين دانايي» بسيارة ستايشن إلى مضيق «أبو غريب» لنستطلع مواقع العدو هناك، حيث حدث انفجار السيارة وانتهت عمليّات الفتح المبين.

ظلّ حميد مفقودًا لمدة في أواخر عمليّات «الفتح المبين»، أَخْبَرَنا لاحقًا أنّه وقع في الأسر، وعلى حدّ قوله، فَقَد أنقذه إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، نتيجة صفقة كان قد عقدها معه.

كان يقول: «لقد جرحت جراء إصابتي بشظية قذيفة مدفعية أو صاروخية وغبت عن الوعي، استيقظت في اليوم التالي عند الحادية عشرة ظهرًا، فوجدتني محاصرًا من قبل عشرة أو عشرين جنديًّا عراقيًّا، تظاهرت بالموت ودعوت: يا إمام الزمان! كلّ ما قمت

به كان في سبيل الله ولأجل إعلاء دين الإسلام، أنقذني! تقدّم الجنود العراقيّون نحوي وركلوني بأقدامهم لكنّهم ظنّوا أنني متّ فتركوني وانصرفوا. بعد عشر دقائق، اقترب منّي جنديّان عراقيان آخران فتظاهرت بالموت مجدّدًا، لكنّ هذين الجنديّين خاطبوني بغصّة باسم جندي الإمام الخميني. وحينما فتشوا جيوبي وأخرجوا قرص السجود ونسخة من القرآن وصورة للإمام، راحوا يلعنون صدّام ويقولون: هذا جندي عليّ ومحمد، قلت في نفسي: إنّ إمام الزمان قد تلطّف بي، وتحرّكت بمقدار ما يلزم لينتبها أنني ما زلت حيًا، حملوني إلى خندقهم وأطعموني. هناك، أخبرني بعض الجنود العراقيّين الذين يجيدون اللغة الفارسية أنهم أُرغموا على المجيء إلى الجبهة ،عايناني طبيبهم وضمّدني، كانت الشظايا تملأ جسدي وتؤلمني، أركبوني دبّابةً، أرادوا الرجوع بها لكنّني كنت قد سألت الله الشهادة لا الأسر. ولهذا حالما ترجّلوا من الدبّابة وابتعدوا قليلًا عنها، اغتنمت الفرصة ورحتُ أزحف حينًا وأركض ما أمكنني حينًا باتجاه معسكرنا. وعندما رأيت شبابَنا، هَوَيْتُ ساجدًا على الفور وشكرت الله، نقلوني بعدها بالمروحية إلى مستشفى الأهواز»[1].

١ نال «حميد الفدائي» مقام الشهادة العالي في المرحلة الأولى من عمليّات «بيت المقدس»، وقد استقرّت في جسده عشرون رصاصة. بعد تسعة أيام من بقاء جسده مطروحًا على رمال خوزستان الحارقة، نقل جثمانه الطاهر في المرحلة الثانية للعمليّات إلى الجبهة الخلفية.

ذكريات عمليّات خيبر

الوجه المشرق للشهيد «مهدي زين الدين»1

كان ضغط المهام والمسؤوليّات هائلًا على الشهيد زين الدين وشباب فرقة «١٧ عليّ بن أبي طالب» في عمليّات خيبر، حيث كانوا داخل الضلع المركزيّ لجزيرة «مجنون الجنوبية»[٢].

في ذلك الوقت، لم يكن هناك أيّة متاريس أو سواتر أو سدود، ولم يكن هناك حتّى خندق واحد، إذ إنّ تساقط نيران العدو المستمرّ لم يسمح لنا ببناء شيء! كان الشباب يدافعون في المواجهات وهم غارقون في الطين والوحل... صدّقوا أنّ الدم والطين قد امتزجا في هذه القنوات وسالا معًا، ومن الخلف لم يكن هناك جسر ولا طريق، لم يكن باستطاعة أيّة سيّارة أن تصل إلينا، كان الجميع يأتون إلى هذه النقطة بالزورق وبواسطة تجهيزات بدائيّة، كان في أسفل المنشآت النفطيّة العراقيّة، في جزيرة مجنون الجنوبيّة، خندق صغير لا تتجاوز مساحته (١٥×٢). ولعلّه لا يوجد له مثيل عبر التاريخ،

---

١ خاص ببرنامج «عمليّات خيبر» إنتاج مجموعة «رواية فتح».

٢ جزر مجنون: جزر صناعية (مستحدثة)، تقع في المستنقعات على الحدود العراقية – الإيرانية شمال شرق مدينة البصرة، كانت مسرحاً للعديد من العمليات العسكرية خلال الحرب المفروضة على إيران.

كان فيه أربعة أو خمسة قادة من بينهم الشهيد زين الدين والشهيد همّت والشهيد باكري. أما الباقون، لا يزالون أحياء.

كانت النيران كثيفة وغزيرة لدرجة أنّ كلّ من كان يخرج من الخندق كان إمّا سيستشهد أو يصاب، كانت الخنادق تنهار فوق رؤوس المجاهدين فيستشهدون، والحقيقة أنّنا طوال الحرب التي خضناها والعمليّات التي نفذناها ظلّت جزيرة مجنون والمقاومة التي تجلّت فيها تعدّ من بطولات حربنا.

هناك شاهدتُ زين الدين وقد أطلّ بوجهه وعنقه تغطّيه سدفة من الدخان والبارود، ولو أنّك مسحت بإصبعك على وجه الشهيد زين الدين أو جبهته أو عنقه لطُلي بالسواد جراء دخان البارود والنيران، لكن في نفس هذه الحال ووسط كلّ هذه الضغوط، كانت روحيّته هي التي تثير دهشتي.

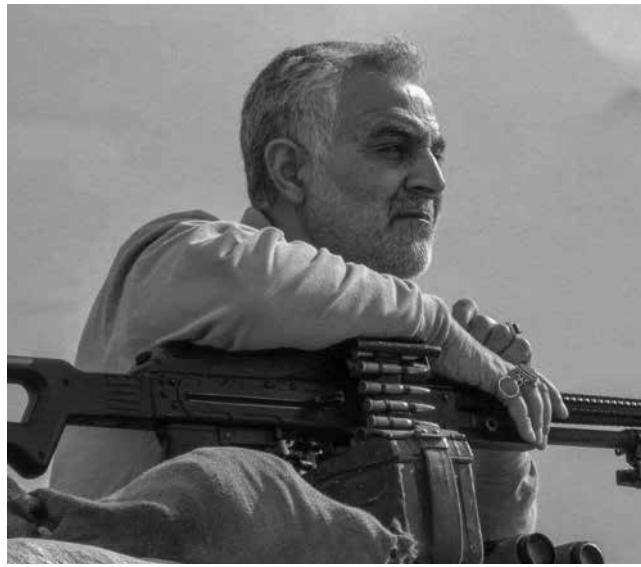

ذكريات عمليات «والفجر8»[1]
ها هنـا اقـرأوا ﴿وجعلنـا﴾[2]

يوجد لبعض العمليّات مفاتيح رئيسة تكون بمثابة مفاتيح النصر، ولكلّ باب مفتاحه الخاص. وبرأيي، فقد تسجّلت كلّ عمليّة باسم شخص كان هو فاتح بابها، والشهيد أميني هو فاتح باب عمليّات (والفجر٨)، ولاقى شهادته فيها أيضًا.

أنقل لكم قصة عن شهيد كان له بالغ الأثر في الحرب، نقرأ في سيرة الشهيد الحاج «أحمد أميني»[3] أنّ مرحلة الثانوية في حياته اختلفت كثيرًا عن مرحلة الحرب، فقد اختصّه الله بالشجاعة كما أنّه يختصّ كلّ شهيد بميزة ما. كانت شجاعة البعض استثنائيّة، لدرجة أنّ تأثيرهم كان بحجم تأثير جيش بكامله، وميزة الشهيد أميني كانت في أنّ روحانيّته كانت بمقدار شجاعته أيضًا، كان يتميّز بأمرين بارزين:

---

١ بدأت عمليّات «والفجر٨» بتاريخ ٩ شباط ١٩٨٦ بنداء «يا فاطمة الزهراء» وانتهت بعد ٧٥ يومًا بتثبيت مواقع القوّات الإيرانية والسيطرة على شبه جزيرة «الفاو» العراقية.

٢ كلامه خلال تفقده لمركز توثيق الدفاع المقدس في كرمان عام ٢٠١٠م.

٣ قائد كتيبة «الغوص ٤١٠» في «فرقة ٤١ ثار الله» والذي نال فيض الشهادة في عمليّات «والفجر٨» (١٩٨٥).

في إحدى الليالي قبل بدء العمليّات، اجتمع كلّ قادة الكتائب وأركان الجيش: بهرام سعيدي وحسين فَتّاحي وأميني وتاجيك وبينا وزنجي آبادي ونصراللهي ويوسف إلهي وراجي ومشايخي وسائر القادة. طرح القادة أسئلتهم على المجاهدين، كانت بعض تلك الأسئلة تحيّر المجاهدين ولكنّهم كانوا يجيبون عليها بإحكام. ولكن حين سأل أحدهم «لو أنّنا حوصرنا، ها هنا، ماذا نفعل؟» لم يَحُرْ أحدٌ منهم جوابًا، فقال الشهيد أميني: «ها هنا اقرأوا ﴿وجعلنا﴾». لقد سخّر الله الأمواج لهذا الشهيد وتمّت العمليّات في عمليّات (والفجر٨)، كان لهذا الشاب دين في أعناقنا جميعًا.

شعرتُ أنّني أرى السيّدة الزهراء، عليها السلام[1]،

قبل عمليّات «والفجر٨»[2]، قمنا بعدّة إجراءات بالغة الأهميّة ومؤثّرة في خططنا العسكرية قبل بدء الهجوم، أحد هذه الإجراءات كان دراسة حركة الجَزْر والمدّ في جميع الأنهار المتشعّبة من نهر أروند.

وفي الواقع، فإنّ لجَزْر الماء ومدّه جدولًا محدّداً، وهو جدول ثابت أيضاً، أنتم تستطيعون أن تشخّصوا حركة الجَزْرِ والمدّ لسنة كاملة، ولا يعدّ هذا الأمر معقّدًا من الناحية العلمية.

---

١ وصف عملية استطلاع مياه نهر «اروند»، قبل عمليّات (والفجر٨)، وحماس الغواصين المقتحمين في فرقة «٤١ ثار الله»، في البرنامج الخاص لعمليّات (والفجر٨)، إنتاج «مجموعة شاهد التلفزيونية».

٢ بدأت عمليّات «والفجر٨»، بتاريخ ٩ شباط ١٩٨٦، بنداء «يا فاطمة الزهراء»، وانتهت بعد ٧٥ يومًا بتثبيت مواقع القوّات الإيرانية والسيطرة على شبه جزيرة «الفاو» العراقيّة.

لكنّنا اكتشفنا مسألة دقيقة في نهر أروند، كانت بالنسبة لنا مهمّة جدًّا من الناحية التكتيكيّة من الطبيعي عندما يصطدم النهر بالبحر ترتدّ مياهه –وهذا الارتداد يحصل في زمن المدّ.– والنهر في الواقع لا يحصل فيه جَزْر ومدّ، إنما يحدثان في البحر فقط، وعندما يصطدم مدّ البحر بالنهر فإنّ مياه هذا النهر ترتد، يحصل في النهر تراجع على خلاف مسيره الطبيعي. وحيث إنّ هذا الماء يكون محصورًا في تجويف ونطاق جغرافي محدّد، ومن الناحية الأخرى يصطدم بالبحر أيضاً، بمعنى أنّ ضغط مدّ البحر يطوّقه، تمرّ أوقات على هذا الماء يكون فيها ساكنًا بالكامل، لا يجري فيه مدّ ولا جَزْر ولا حركة، وهذا السكون جعل نهر أروند وكأنّه مسبح ممكن العبور. هذا السكون الطويل كان يمتدّ في بعضٍ أيّام الشهر، ففي بعض الأيّام، كان يمتدّ لساعتين أو لأربع ساعات، مثلاً، وبطبيعة الحال، كان أروند يتمتّع بسكون أكثر في أوقات أخرى، كنّا نراقب هذه الأزمنة لنحدّد أفضل الظروف من الناحية الزمانية خلال الليل، وخلال أيام الأسبوع وعلى مدار الشهر والساعات من أجل العبور، وأفضل الأوقات كان وقت سكون الماء هذا.

وهكذا، على أثر الأعمال المُجْهِدَة جدًّا التي قام بها شبابنا في جهاز المعلومات والاستطلاع، ليلاً ونهاراً، اكتشفنا زمانًا هو يوم في شهر وساعة في يوم وليلة، يمكن أن يكون أفضل وقت لعمليّاتنا، هذا الأمر كان ثمرة السعي المتواصل لشبابنا في جهاز الاستطلاع.

والملاحظة الأخرى هي أنّه قبل تنفيذ العمليّات، وعلى الرغم من توافر استطلاع معلوماتيّ لدينا، خصّصنا لكل محور تقريبًا فريقَ استطلاع، وقسّمنا المحاور على الأنهر المتفرّعة، ولكلّ نهر هدف محدّد في طرفه المقابل داخل أرض العدو، إضافةً إلى ذلك، كان هناك فريق استطلاع يقوم باستطلاع شاطئ العدوّ ومتاريسه.

فِرَقُ الاستطلاع هذه كانت مؤلّفة عمومًا من فتية في مقتبل العمر، كحسين عالي وحسين يزداني وشبّان في هذه الأعمار، ممّن كانوا عمومًا تحت سن ١٨ و١٩ سنة لكنّهم كانوا ذوي بأس شديد لقد وُفّقوا في عبور نهر أروند أكثر من ١٥ مرّة، ووصلوا إلى شاطئ العدو، كانوا يمضون أوقاتًا في وسط أنهار العدوّ ويستطلعون حتّى خطوطه الخلفيّة ومن ثم يعودون.

قبل ليلتين من تنفيذ العمليّات، طلبنا من كلّ قادة الكتائب والسرايا عبور النهر برفقة فِرَقِ الاستطلاع، وذلك لاستطلاع أهدافهم عن قرب، ومن ثَمَّ العودة، ولقد كانت هذه الخطوة نقطة قوّة كبيرة جدّاً لنا.

كنّا قد أنجزنا، خلال ٤٠ يوماً تقريباً، أعمالاً صعبة أخرى، حيث شققنا في هذا المستنقع طريقًا بطول ١٥٠٠ متر وبعرض يكاد يتّسع لسيارة واحدة، وأوصلنا الطريق إلى حافة النهر، عند مشارف حقول القصب العالية، التي كانت موجودة عند شواطئنا، ثُمَّ حفرنا متاريس هناك، وقد استخدمنا في عمليّة شقّ الطريق هذه شاحنات (قلّابة) التي كانت وحدها تستطيع السير إلى الخلف حتى قلب المستنقع.

حفرنا هذه المتاريس لتأتي الدبّابات وتستقرّ عندها، فإنْ واجه غوّاصونا مشكلة في اقتحام خطوط العدوّ، ليلة الهجوم، أو حالت متاريس العدو دون متابعتنا للهجوم، أو ظهرت مشكلة ما، فإنّ هذه المنصّات التي تموضعت فوقها الدبّابات تستطيع تدمير المتاريس عند حافّة النهر وتساعدنا في اقتحام خطوط العدوّ.

لقد أحضرنا كلّ عتادنا ووضعناه في ذلك المستنقع نفسه، بنينا منشآت (قواعد) إسمنتية وبما أنّه كان مستنقعًا، فإنّه لولا المنشآت الاسمنتية لكانت مدافع الهاون بعد عدّة رميات تغرق فيه حتى الفوّهات.

وإذا غرقت المدافع في المستنقع لم يعد لقذائفها أي تأثير. رحم الله الشهيد زندي الذي جهّز على مسافة كبيرة، وسط بساتين النخيل، قواعد لاستقرار وتثبيت مدافع الهاون، حيث يشغل الواحد منها مساحة ٢٠ قذيفة هاون، وذلك بصبّ الإسمنت فوق الصفحات الخرسانيّة المتبقّية من قبل.

أمّا فيما يتعلق بإيجاد المقرّات والملاجئ التي كُنّا نريد أن نستفيد منها لمصلحة قوّات الدعم، فقد جئنا إلى القرى، إلى البيوت التي كانت موجودة هناك، ومن دون أن يتمّ بناء أيّة متاريس جديدة، قمنا بإنشاء متاريس في قلب هذه البيوت. في الواقع، كان السقف في الأعلى هو سقف البيت الطينيّ، لكنّ أسفل منه، كان هناك متراس أضحى مقرّاً أو مركز إسعاف أو ملجأ كتيبة أو محلّاً لإخفاء تجهيزات أو ذخائر كانت قد استترت في ذلك الوادي.

أودّ الإشارة إلى هذه الملاحظة، وذلك لإنصاف الإخوة وعملُهُم فإلى جانب التدريبات التي أشرتُ إلى قسم منها، وجرّاء شغل الشباب بالجَزْر والمَدّ أو بماء البحر المالح، أصيبت الأمكنة الحسّاسة من أبدانهم بالثآليل.

كان الإخوة يُجرون تدريباتهم في فصل الشتاء القارس، في قلب هذه المستنقعات الباردة، من الليل حتى الصباح، لا أظنّ أنّ أحدًا من غوّاصي عمليّات «والفجر٨» و»كربلاء ٥» و»كربلاء ٤»، الذين لا يزالون أحياء حتى الآن، لم يُصب بأيّ جراح خلال الحرب، فحتى أولئك الذين لم يصابوا خلال المعارك لا تقلّ نسبة جراحاتهم عن ٥٠ بالمئة، فقد كان جهدهم في شَحْن الذخائر وإطلاق النيران من قلب هذا النطاق المائي وحربهم مع المَدّ يتلف أبدانهم، ولكنّ روحيّة

الإخوة ومعنويّاتهم العالية، في خضمّ هذه التدريبات تركت أثرًا كبيرًا على الجميع وقد تأثرتُ إلى حدّ كبير بروحيّتهم هذه.

كان كلّ فرد في فرقة الغوص هذه، والذين كانوا فتية وشباباً صغاراً بالإجمال، بمنزلة عارف حقيقيّ يحمل تجربة ٧٠ سنة في السير والسلوك والعمل؛ وأما ما يتعلق بالإيمان والاهتمام بالنوافل، فإنّ نغمات تهجّدهم ونحيبهم التي طالما علت في هدأة الليل كانت كفيلة بأنْ تقلب حياة كلّ من تطأ قدماه تلك البقعة، روحانيّتهم تلك وآهاتهم وأدعيتهم ومناجاتهم التي تشهدها فيهم، وهم مُرْتَدون بدلات غوصهم المبلّلة بالماء في زاوية من بستان النخيل ذاك، جعلت الواحد منهم يبدو كالسِقاء، وكأنّهم يعيشون داخل أسقية الماء كانت بدلات غوصهم كالأسقية المملوءة ماء، كان واحدهم قرب النخلة يتلوّى وينتحب كما لم يُر مثله «مضطرّ إذا دعا».

كانت ليلة عمليّات (والفجر٨) وفق حساباتنا أفضل ليلة من حيث الزمان للبدء بتنفيذ العملية، أوصلت الإخوة إلى حافّة الماء وارتدوا بدلات غوصهم قرب حقل القصب، وعند حلول الظلام، توجّهوا نحو حافّة النهر، كان خندقنا هو تلك الحافّة نفسها، وهي النقطة التي يليها المستنقع مباشرة، وقد رافق كتائب الغوص شباب فرقة الاستطلاع الذين كانوا ينزلونهم في الماء، حيث مَدَدْنا أسلاكًا إلى جانبهم.

كانت تلك الليلة ليلة عجيبة، فمنذ العصر، تبدّل حال الطقس بالكامل وصار عاصفًا. طوال الأشهر الثلاثة، حين تفحّصنا كلّ مكان في نهر أروند، لم نشهد أمواج أروند على الحال التي كانت عليه عصر ذلك اليوم، كانت أمواجًا عاتية تقذف الماء بعيدًا على الشاطئ وتُصدر أصواتًا مخيفة، كادت المراكب الكبيرة وحتى السفن لتختفي

في تلاطم هذه الأمواج! وبطبيعة الحال، فإنّ مجموعة الغوص اختفت في طيّات هذه الأمواج. عندما رأيت هذا الوضع تملّكني اليأس، فمن بين كلّ الإجراءات والتدابير التي اتخذناها شعرت حقيقةً أنّ أي تدبير عسكري لا فعالية له ولا تأثير.

أكّد لي شباب الاستطلاع الذين حدّثتهم وشباب كتائب الغوص الذين عبروا أروند قبلًا عدم إمكانيّة عبورهم لأروند في ظرف كهذا «هذه الأمواج لا تسمح لنا بالتقدّم أساساً، ستقذفنا إلى الخلف جميعنا».

حسناً، كان، بطبيعة الحال، عملًا منسّقًا ولا بدّ من القيام به، قلت للإخوة الأعزاء الذين كانوا يحملون نفس القناعة: إنّ نقطة أملنا الوحيدة معقودة على هذا الأمر، لم يكن أيّ شيء قادرًا على أن يمنحني قوّة القلب والأمل بالاستمرار ويلهمني السكينة ويرفع عنّي الاضطراب غير هذا الكلام، قلت للإخوة: علينا بالتوسّل بالسيدة الزهراء، عليها السلام.

في مثل هذه الأوضاع علينا أن نناديها ونتوسّل بها، وهذا ما حصل. في الواقع، ما حصل كان أمرًا عجيبًا، توجّه جميع الإخوة إلى طرف المستنقع وبدأوا بقراءة دعاء التوسّل بالزهراء، عليها السلام، المعروف واتّحد نداء «يا وجيهةً عند الله، اشفعي لنا عند الله» مع أصوات تلاطم أمواج أروند حتى بات الصوتان صوتًا واحدًا. في تلك الحال، شعرت بكامل وجودي أنّني أنظر إلى السيدة الزهراء، عليها السلام، أصلًا منذ اللحظة التي ألهمني الله ذلك وأخبرت الإخوة به، تملّكني إيمان غريب وسكينة عجيبة بأنّنا منتصرون. وبالفعل، في تلك الليلة اقتحم الإخوة جوف الماء.

«بالتوكل على الله مئة بالمئة»[1]

حسن يزداني شابّ في أواخر سنّ السادسة عشرة من عمره، حمل على عاتقه مسؤوليّة كبيرة وثقيلة جدًّا[2]، وأصرّ على أداء أمانته في عمليات «والفجر٨»، تقرّر أن يعثر على مكان آمن ليعبر منه آلاف المجاهدين.

من الأمور التي توجّب عليهم الانتباه إليها هو أنْ لا يتركوا خلفهم أي أثر، لا أثر قدم ولا يد ولا ركبة ولا أي شيء آخر.

خلال هذه الأيّام العشرة الأخيرة، الأيام الاستطلاعية التي تنتهي ببدء عمليّات «والفجر٨»، لا أظن أنّ أفراد قوات الاستطلاع في وحدة المعلومات والعمليّات قد ناموا على نحو جيّد، ولو لليلة واحدة، طوال هذه الليالي، كانوا يذهبون إلى شاطئ العدو ثم يعودون، وقد تكثّف ذهابهم وإيابهم في هذه الأيّام العشرة.

بعد انتهاء عمليّات الاستطلاع، راجعت التقارير وددتُ أنْ أعلم مقدار ثقتهم بعملهم، فأدْنى شكّ أو تردّد في معنويّاتهم سينتقل إلى عمق الفرقة، وبمقدار ما يتحدّثون بقوّة وشجاعة، سيؤثّرون، بنفس المقدار، في قدرتنا على اتّخاذ القرارات.

عندما تحدّثت مع حسن قلت له: «حسن! كم هي درجة ثقتك بعدم انكشاف هذا المعبر وبقدرتك على إيصال الإخوة كما ينبغي؟» قال

---

١ قصة الشهيد «حسن يزداني زاده» في الفيلم الوثائقي «أمير اروند» إخراج «معين ايرانبور كرماني».

٢ حسن يزداني زاده من قوّات وحدة الاستطلاع في عمليّات فرقة «٤١ ثار الله».

«بالتوكل على الله مئة بالمئة». سألته: «هل أنت مطمئنّ؟» فأجاب «أنا مطمئنّ». لقد سدّ أمامي جميع أبواب الشكّ، لم يبقَ أيّ احتمال للتردّد، ثم رمقني بنظرة استطلع فيها حالتي عندما أراد التحرّك، بثّ الأمل في كلّ أفراد هذه المجموعة، لأنّه كان في مقدّمتها. لقد كان حسن يزداني على رأس الرتل مفتاح تشغيل وعلى أثره، انطلقت المجموعة[1].

لقد كان حسن بطلًا وفاتحًا في عمليّات «والفجر٨»،.. حسن ذاك الطالب الحوزويّ النحيل وصاحب الروح القويّة الذي كان أوّل من تقدّم وتطوّع لعبور نهر أروند،.. حسن ذلك الطالب الشجاع والبطل الذي عبر نهر أروند ثلاثين مرّة من أجل الرصد والاستطلاع،.. حسن ذاك الشخص الرياضيّ الشجاع والعاشق للشهادة والمخلص.. حسن الذي كان إمام صلاة جماعة فرقتنا.

عَامِلا النجاح والنصر في عمليات «والفجر٨»

هناك عاملان حقّقا النجاح والنصر في عمليّات «والفجر ٨»:

- **العامل الأوّل**: الشفاعة والتوسّل بالسيّدة الزهراء، عليها السلام،

بسبب الجو العاصف والسيّء الذي كان سيتسبّب بفشل العملية، قمنا في الساعة الأخيرة قبل الهجوم بالتوسّل بالسيّدة الزهراء، عليها السلام، وصرخنا باسمها وسط تلك الأمواج الصاخبة لنهر

---

١ في اليوم الثاني لعمليّات «والفجر ٨»، وبعد الهجوم الجوي الكيميائي لقوّات العدوّ، نزع «حسن يزداني زاده» قناعه وقدّمه لمجاهد آخر ليمنع عنه الإصابة بالكيميائيّ، وبات هو جريحًا كيميائيًا على أثر استنشاق الغازات الكيميائية، وتم نقله إلى المستشفى في مشهد. ثم استشهد بعد عدّة أيّام من شدّة الإصابة بالكيميائيّ.

أروند بصوتٍ واحد «يا زهراء»، فتلطّفت بنا ومسحت بيدها الحانية على رؤوسنا، وبعثت بإبنها المهديّ (عج) من أجل نجدتنا؛ في خضم تلك الأمواج العاتية وفي تلك الليلة العاصفة والحالكة الظلمة.

- العامل الثاني الذي أدّى إلى نجاحنا في هذه العمليّات: هو تلك الدموع الممتزجة بمظلوميّة التعبويّين

اللهمّ! إنك شاهدٌ على أنّ عيون التعبويّين لم تجفّ من الدموع على مدى خمسة أيّام قبل بدء العمليّات، فقد كانوا يبكون بشكلٍ متواصل، وكانت رقابهم محنيّة، خاضعة، وهم يصرخون: اللهمّ! لا تسوِّد وجوهنا، اللهمّ لا تفضحنا على رؤوس الأشهاد، هذه الدموع قد تحوّلت إلى عصا موسى وفَلَقَتْ النيل، لقد فَلَقَتْ نهر أروند وعبَره التعبويّون المظلومون، وهذا ما شهدناه، فنحن في تلك الليلة المهيبة ووسط الظلمات الحالكة للعمليّات، وعندما فَقَدْنا أيّ أملٍ بالنصر، رأينا كلّ هذا، كنّا قبل بدء الهجوم ننظر إلى ميدان القتال ونغرق في بحر البكاء.

كنّا نقول: اللهمّ! اعبر بنا كما عبرت بموسى في النيل، كنا نقول: اللهمّ! وأنت القائل: ﴿وَالَّذينَ جاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾ اللهمّ أنت القائل تحرّكوا وسيروا وأنا أهديكم. اللهمّ، أعنّا. وفي ليلة الهجوم تلك، أنزل الله نصره، وأقسم بالله، أيّها الناس، إنّنا كنّا نشاهد كلّ شيءٍ في هذه العمليّات مجهّزاً، فنحن طيلة الحرب لم نشهد أيّ عمليّات تكون فيها جميع الإمكانات والخطط جاهزةً وحاضرة كما نريد. خلال هذه الحرب، لم تخلُ أيّ خطّة من النقص سوى عمليّات «والفجر ٨». ففي ليلة العمليّات، نزلت القوّات إلى الماء، ووفق عمليّات الاستطلاع التي أجريناها، والتي عبر حسن يزداني نهر أروند ثلاثين مرّة من أجلها، ما كنّا لنستطيع أبدًا أن نرسل

قوّاتنا إلى تلك النقطة المحدّدة التي كنّا نريد أن نبدأ منها الهجوم، فما حدث من مدٍّ وجَزْرٍ شديدَيْن ومن أحوالٍ جويّة ووضع المياه، كلّ هذا لم يسمح لنا أنْ نُنزل قوّاتنا في تلك النقطة وفق الحسابات العسكريّة، ولكن في ليلة العمليّات تغيّر الوضع تمامًا.

وإذا بالنهر تتلاطم أمواجه وتحوّل الماء إلى أمواجٍ عاتية، فسكون الماء الذي كنّا نبتغيه قد تبدّل إلى شيءٍ معاكس ومَلأ قلوبنا رعباً. الله يعلم كيف كان حالتي مع الله عندما جلستُ على ضفة ذلك النهر، وأنا أقول: إلهي! في مثل هذا الطوفان يستحيل على الشباب أن يصلوا إلى الضفّة الأخرى وداخل المياه، كانت كلّ الصفوف الماثلة للعيان تحت رحمة النهر، تقلّبها المياه من أعلى إلى أسفل، وكانت نداءات «يا زهراء!» التي تصدح بها حناجر الشباب وسط الماء تُسمع من الضفّة.

حينها، لم ندرك سرّ هذه العاصفة وتلاطم الأمواج هكذا، لقد كنّا نتوقّع أنّنا سنعبر النهر في غضون ساعةٍ واحدة، وكانت خطّتنا أن نعبر بواسطة وسائل الغوص والسباحة نهر أروند الذي كان عرضه كيلومترًا واحدًا، ولكن هذه الأمواج العاتية التي ظهرت فجأةً أوصلت شبابنا إلى تلك الضفّة من النهر في غضون نصف ساعة، وهكذا وصل الشباب سريعًا.

وفي أوّل اتّصالٍ أجراه الحاج أحمد أميني، صاحب راية فرقتنا والاقتحاميّ فيها، الحاج أحمد المخلص الذي لا يوجد في قلبه ذرّة خوفٍ من العدوّ، كان يقول في أوّل اتصال له: «(هاشم - أحمد) لقد وصلت إلى خطوط العدوّ، لقد وصلت إلى تحصينات العدوّ».

فعند وصول أولى قوّاتنا إلى هذه التحصينات، شَكَرْنا الله وسَجَدْنا

له، وبعدها توالى وصول القوّات إلى هذه التحصينات، وكان العدوّ في تلك الليلة مشغولًا داخل دشمه، كانت كلّ القوّات العراقيّة في الداخل، وكان شبابنا نائمين داخل الأسلاك الشائكة. عندما خرج العراقيّون من التحصينات، فانحنى أحد العراقيّين ورأى شبابنا وراح يعدّهم: واحد اثنان ثلاثة أربعة حتّى العشرين صفًّا، فعدّهم واحدًا واحدًا بينما هم مُسْتَلْقون، لقد انكشف الخطّ الدفاعيّ من الناحية العسكريّة وتغيّر الوضع دفعة واحدة، هذا العراقيّ الذي رآنا نادى على بعض زملائه من داخل التحصينات وجلبهم، ومن دون أن يبلّغ أحدًا ركبوا سيّارتهم وفرّوا.

وفي موضع آخر شاهد أحد العراقيّين شبابنا، وما أنْ همّ بالمناداة: «جاء الإيرانيّون» حتى خرج خنزيرٌ من بين تلك التحصينات وفرّ من أمامه، فقال هذا العراقيّ باللغة العربيّة: «كلا إنّه خنزير لم يكن هناك أحد».

لقد ظَلَّلَتْ ألطافُ الربّ المتعال رؤوس الشباب، فعبروا تلك التحصينات والدفاعات، واستقرّوا خلف العدوّ. لقد كان العبور من نهر أروند من أصعب العمليّات العسكريّة، فحتّى ذاك الوقت، لم يكن أيّ شخص عسكريّ قد عبر ذاك النهر، ولم يكن قد جرى أيّ تحرّك عسكريٍّ أو تجلّت أيّة بسالة عسكريّة لعبور هذا النهر، ولكن في أقلّ من ساعة وفي أقلّ وقت ممكن، تمّ تحطيم هذا الدفاع وعَبَرَ الشباب وأحاطوا بالعدوّ ونالوا منه على حين غِرّة.

ذكريات عمليات «كربلاء 4»

قاسم[1] كان كبير فرقة «٤١ ثار الله»، وهو الشخص الذي ما زلتُ لحدّ الآن أشعر بغيابه في كلّ مهمّة. فالشهيد «قاسم مير حسيني» هو، بحدّ ذاته، أمّة في كلّ ساحاتٍ وميادين الحرب، وكل ما يمكن قوله: إنّ شأنَ الشهيد مير حسيني بلغ من العظمة بحيث إنّني أشعر بالعجز التام عن أداء حقّه من الوصف! لقد كان صاحب روح عظيمة، كان بمنزلة مالك الأشتر بكلّ ما للكلمة من معنًى، أنا لا أعرف إن كان مالك قد حوصر بشدّة في الحرب مثل الشهيد مير حسيني أم لا! لقد كان الشهيد مير حسيني قائدًا بكلّ أبعاد القائد الإسلامي، وفق التعريف الأصيل لأمير المؤمنين، عليه السلام، لقد كان أكثر شخصيّة معنويّة في فرقة «ثار الله». وكل من كان يستمع إلى تلاوته القرآنيّة العذبة أصابه الذهول عن نفسه، كان خطيبًا، وإذا شرع بالكلام كان -بحسب تعبير الإخوة- يسحر القلوب، وكانت كلّ كلماته مصحوبةً بشواهد الآيات والروايات، كُنتُ أشعر، حقًّا، أنّه لا يوجد أيُّ عالم دين يمكن أن يصل إلى ما وصل إليه في مثل سنّه. أما في البعد القياديّ، فينبغي القول إنّه صاحب الرأي الأكثر صوابيّةً في الاجتماعات بشكلٍ دائم، فقد كان رأي الشهيد مير حسيني

---

١ قاسم مير حسيني: نائب قائد فرقة «٤١ ثار الله»، وقد استُشهد أثناء عمليّات «كربلاء ٤» ١٣٦٥ (١٩٨٦) في منطقة عمليّات شلمجة.

أفضل الآراء. وفي ميدان العمل، كان يحصل ما كان يقوله فعلًا.

أُشهد الله أنّني لم أشاهد في وجه الشهيد مير حسيني أيَّ نوع من الخوف، وفي أصعب الظروف، وكأنّ كلمات الخوف والرعب والتردّد والاضطراب لم تكن موجودة في قاموسه، فكان حديثه وهو تحت الحصار كحديثه عندما يكون في المقرّ والمعسكر. وعندما كانت أمطار القذائف تتساقط عليه من كلّ جهة، وكان الكلّ يحتمون في الملاجئ والدّشم أو خلف السواتر والتلال حتى لا تصيبهم نيران العدو، كان هذا الشهيد العظيم يقف ثابت القدم، وكنا جميعًا نُذهل ونندهش من تحرّكاته؟ كنت إذا نظرت إليه وجدته مثل أولئك الذين كانوا يرتجزون الأشعار في الحروب القديمة عند مقابلة العدوّ، كان يعبّئ الشباب ويحرّكهم ويمازحهم في تلك اللحظات الحسّاسة.

لقد منّ الله تعالى علينا بهذا التوفيق أن كنّا في خدمته خلال عملية «والفجر ١»[1] تقريبًا، وحتى اللحظات الأخيرة التي كانت مليئةً بالأحداث.

وحقّا أقول رغم أنّه كان لديّ الكثير من الأصدقاء من بين شهداء الحرب المفروضة وفي مختلف العمليّات، إلا أنّني لم أشاهد أحدًا مثله، فطوال تلك الفترة التي كنت فيها إلى جانبه لم أشاهده يومًا يترك نافلة الليل، كما إنّني لم أشاهده ينهي نافلة ليل من دون بكاء، والله شاهدٌ أنّنا كنا نستيقظ على بكاء هذا الشهيد العظيم، لقد كان رجلًا عجيبًا، كان عالمًا لا حدّ له من العرفان.

---

١ فروردين ١٣٦٢ه.ش. (آذار ١٩٨٣).

كنت أشاهد أفراد الكتيبة وهم يتحلّقون حوله عندما يلقي خطبةً ما، ومن اللحظة التي كان يبدأ فيها ببسم الله وحتى نهاية كلمته، كان الجميع يبدون كالفراح الجائعة التي تريد من أمّها أن تطعمها، فتتوجّه بكلّ حواسّها إلى فم الأمّ، كانت الكتيبة كلّها تُسحر به وتذوب وتفنى فيه، لقد كان منقذ كلّ العمليّات. ففي ساحة الحرب، وعندما كان العراقيّون ينفّذون هجمات مضادّة ويضغطون بشدّة عليها، أقسم بالله، أنّ مجيء مير حسيني عند اشتداد وتعقّد وضع الجبهة كان كمجيء فرقة بأكملها! لقد كان تأثيره في كلّ الجبهة كبيرًا إلى هذا الحدّ؛ أذكر في عمليّات بدر عندما شنّ العراقيّون هجومًا مضادًّا، اقتحم الشهيد مير حسيني هذا الهجوم وفي أحلك الظروف. وعند اشتداد الوطيس عندما كان الكلّ يحدّث نفسه بالتراجع، كان الشهيد مير حسيني أوّل من يتقدّم وآخر من يرجع؛ إنّني قطعًا أعتبر الشهيد مير حسيني منقذ كلّ العمليّات، فقد كان دوره في كفّةٍ من الميزان ودور ما بقي من كتائب في كفّةٍ أخرى.

إنّني لم أشاهد الشهيد في أيّ وقتٍ يتحدّث عن نفسه أنّه منقذ العمليّات الفلانيّة ووو... لقد كان جنديًّا مجهولًا. واليوم، فإنّ قبر الشهيد مير حسيني واقعٌ في مكانٍ ناءٍ كأي قبرٍ عاديّ[1]، لم يكن أحد يعلم أنّ شخصيّةً بهذه العظمة كانت تعيش في زابل[2]، حيث كان هذا حال يومه وليلته.

---

١ دُفن الشهيد «قاسم مير حسيني» في مسقط رأسه «صفدر مير بيك» إحدى قرى منطقة جزينك محافظة «زهك» الواقعة في منطقة سيستان.

٢ زابل: إحدى مدن محافظة سيستان وبلوشستان.

وفي عمليّات «كربلاء ٤»، كان الشباب قلقين جدًّا عليه، إذ إنّ الشهيد مير حسيني لم يخرج من أيّة عمليّة من العمليّات من دون جراح، فقد حمل من جميع العمليّات جراحًا وندوبًا ملأت جسده، وقد قال للشباب: لا تخافوا، فإنّني لن أستشهد في عمليّات «كربلاء ٤».

قبل عمليّات «كربلاء ٥»، كنّا في إحدى الليالي داخل الخندق نتبادل أطراف الحديث، فقال: «سوف أُصاب برصاصة هنا»، ووضع إصبعه على جبهته. وهذا ما حصل، وافتقد عاملو اللاسلكي في فرقة «ثار الله» صوت مير حسيني العذب والعرفانيّ حتى آخر الحرب، ذاك الصوت الذي كان يمنح الأمل لجميع الشباب، سواء كانوا من الكرمانيين أو الرفسنجانيين أو الزرنديين أو السيرجانيين أو الهرمزكانيين أو البلوشستانيين. لقد كان صوتًا عذبًا ومحبوبًا، وقد خمد. بالطبع، لم أستطع تصديق ذلك في البداية، لم يخبرني الشباب وقد أطلعوني على ما جرى بحذرٍ تامّ، ولا أنسى أبدًا نبأ شهادته، لقد كنتُ أسأل الله، حينها، أن ينهي حياتي في كل عمليّة، في عمليّات عدّة، وكانت إحدى هذه العمليّات «كربلاء ٥»، خصوصًا عندما سمعتُ خبر استشهاد الشهيد مير حسيني. لقد شعرت أنّ فرقة «ثار الله» قد تضعضعت، والأهم من كلّ ذلك هو أنّني كنت أتصوّر أنّ شهادته ستؤثّر تأثيرًا عميقًا جدًّا في فشل عمليّات «كربلاء ٥»، فلا خبر يمكنه أن يترك أثرًا عميقًا من الحزن في فرقة «ثار الله» مثل هذا الخبر. وحتى ذلك الوقت، لم يكن هناك من حادثةٍ بالغة الصعوبة كشهادة الحاج قاسم مير حسيني بالنسبة لشباب فرقة «ثار الله»، حتى ذاك الشخص الذي كان مشاركًا في العمليّات وقد فقد أخاه أو ابنه كان قد غاص في حزن فراق الشهيد مير حسيني.

ذكريات عمليّات «كربلاء 5»[1]

كانت عمليّات «كربلاء»[2] تجري في أوج اعتداد العدوّ بنفسه وزهوّ وتفاخره ففي ذلك الوقت زاد العدو من حجم تشكيلاته العسكريّة لتصبح عشرة أضعاف ممّا كانت عليه وطوّر من قدراته النوعيّة بشكلٍ كبير حتى وصل حجم القوّات العراقيّة المسلّحة إلى ما يعادل خمسةً جنود لكلّ خمسين نسمة من عدد سكان العراق ومن ناحية المعدّات العسكريّة والإمكانات كان قد وُضع بتصرّف العدوّ ومنذ عمليّات خيبر[3] وحتّى ذلك الوقت قسم كبير جدًّا من المعدّات المتطوّرة والمهمّة على مستوى العالم كان تعداد دبّابات العدوّ قد بلغ خمسة آلاف قطعة وكذلك جُهّز بأربعة آلاف ناقلة جند أمّا على مستوى القوّة الجويّة فقد تسلّم العدوّ أحدث التكنولوجيا في العالم، لهذا كان على مستوى الإمكانات قد أحدث نقلة نوعيّة، وما يشبه الطفرة. أمّا من جانبنا، فقد كانت إمكاناتنا محدودةً ومتواضعة جدًّا.

---

١ كلمته في مراسم تكريم شهداء عمليّات «كربلاء ٤» شهر دي ١٣٨١.

٢ بدأت عمليّات «كربلاء ٤» بـ «يا زهراء» وكان هدفها احتلال شلمجة والتقدم باتّجاه البصرة في ليل ١٩/١٠/١٣٦٥ [٩-١-١٩٨٧] وقد استمرّت لمدة ٤٥ يومًا حتى ٠٢/١٢/١٣٦٥.

٣ انطلقت عمليّات خيبر بنداء «يا رسول الله» في منطقة هور الهويزة وجزر مجنون بتاريخ ٠٣/١٢/١٣٦٢ [٢٢-٢-١٩٨٤] واستمرّت ١٩ يومًا.

لقد وصل العدوّ من الناحية المعلوماتيّة إلى مرحلةٍ متقدّمة جدًّا، وكانت طائرات الأواكس والرادارات وآلات الكشف تُستخدم لتحسّس أنفاسنا وحرارة أجسادنا، وأصبح من السهل جدّا للعدوّ أن يكتشف تحرّكاتنا. أما من جانبنا، فقد أصبح إخفاء عمليّاتنا باهظًا للغاية.

مثال على ذلك، في عمليّات «والفجر ٨» ولأجل إعادة السيطرة على الفاو ومباغتة العدوّ، قمنا بتحرّكاتٍ واسعة جدًّا في منطقةٍ أخرى توحي بوجود هجوم كبير. وعندما كنّا نريد أن نهيّئ أنفسنا ونتجهّز لعمليّات «والفجر ٨»، كان لدينا خطٌّ دفاعيٌّ في الهور، حيث جئنا بألواح الألياف الزجاجيّة وأدخلناها إلى عمق الهور، وكانت الأوضاع سيّئة جدًّا وشديدة الاضطراب، ما زال وجه الشهيد نصر اللهي ماثلًا أمامي، حيث تساقطت كلّ بشرة وجهه.

في منطقة الهور، جرى العمل على قَدَم وساق، ولمدّةٍ طويلة، من أجل توجيه أنظار العدوّ إلى تلك المنطقة لكي نتمكّن بهذه الطريقة من تجهيز أنفسنا لعمليّات «والفجر ٨».

المشكلة التالية التي واجهتنا ونشأت بعد عمليّات «والفجر ٨» أنّ العدوّ، وبمساعدة مجموعات المنافقين، بدأ يدير مشروعًا دفاعيًّا مشتركًا في تلك الجبهات، التي لم نكن قادرين على إدارتها بشكلٍ تامّ، وكنّا نديرها عن طريق مراكز شرطة، كما حصل في إيلام ومهران وحتّى دهلاويّة. كان يشخّص نقاط ضعفنا، ويبدأ من خلالها بالهجمات وقد احتلّ جادّة مهران – دهلران، وأذاع ذلك بصورةٍ واسعة إعلاميًّا.

قبل عمليّات «كربلاء١»، قَدِمَ الشيخ هاشمي رفسنجاني، الذي كان ممثل الإمام في الحرب، إلى الجبهة وقال: إنّ الإمام أمَرَنا أنْ نقول للشباب إنّ عليهم استرجاع مهران، وهذا الأمر هو الذي

أدّى إلى تنفيذ عمليّات «كربلاء١» وما نجم عنها، من تحرير مهران ومرتفعات «قلاويزان» ومناطق واسعة أخرى. أطلقنا عمليّات «كربلاء ٤» قبل عمليّات «كربلاء ٥» بخمسة عشر يومًا، وقد أخفقنا في تلك العمليّات بالكامل. بالطبع، لم يكن وضعنا كما نحن عليه الآن، ولم يكن لدينا صناعات عسكرية فعّالة. ولهذا، كان سعينا ينصبّ على تأمين الذخيرة والتجهيزات للعمليّات.

إنّ فشل عمليّات «كربلاء ٤» صار سببًا لإطلاق العدوّ حملة دعايات واسعة، ليخفي هزائمه في عمليّات «كربلاء١» وفي منطقة الفاو، وليعلن عن أرقام وهميّة لحجم خسائرنا. إنّ تجربة حياتنا هي تجربة عجيبة ومدهشة، وهي مليئة بالدروس بالنسبة لنا.

كان كلّ من يُعادي الإمام يخسر ويخزى، كان مصير كلّ من وقف في وجه هذا الرجل الإلهي العظيم، أي هذا الإمام «قدس سرّه»، الذي لا يهمه سوى الله تعالى، الخزي والعار، سواء كان المعادي حكومةً أو أشخاصًا أو جماعات. لقد وصل الأمر بصدّام أنّ أهين على مستوى عالمي، لأنّه تأخّر خمس عشرة ثانية على موعد فتح باب قصره أمام مفتّشي الأمم المتحدة. هذا ما آل إليه صدّام من الذلّ والهوان، وكل هذا بسبب تلك الدماء المقدّسة التي أريقت، وبسبب محاربته لإنسان إلهي. ترك إخفاقُنا في «كربلاء ٤» آثارًا نفسيّة كبيرة في جبهتنا؛ بالطبع، كنا نقوم بتقديم تفسيرات واسعة لما جرى. فعندما يحصل أيّ فشل، فهذا له تأثير كبير على المستوى النفسيّ. وفي الأيام التي تَلَتْ رجوعنا من «كربلاء ٤»، وعندما كُنت تدخل إلى أيّ معسكر، نادرًا ما كنت ترى بسمة على وجه أحد من المجاهدين، فقد خيّم حزن عميق على جميع أنحاء الجبهات.

ومن المسائل المهمّة الأخرى التي كانت موجودة، هي، ما كان يتعلّق بنقل القوّات وتهيئتها، فقد كُنّا نواجه الصعوبات في هذا الأمر، وكنّا نحتاج في أيّة عمليّة إلى ما يقارب ستة أشهر من التحضيرات، لقد قمنا بعقد الكثير من الاجتماعات، وكان الشيخ رفسنجاني يشارك فيها جميعًا، وكان على رأس اهتماماتنا ضرورة الاستعداد للعمليّات التي نعوّض من خلالها الفشل السابق.

بالطبع، كان ينبغي أن نخطّط. لهذا عُقدتْ اجتماعات مكثّفة واتّفق الجميع على منطقة شلمجة، وكان هناك عدّة مؤشّرات مهمّة في هذا الاختيار، ومنها أنّنا لا نحتاج إلى إعادة تموضع بأيّ شكل، فالقوّات كانت مستعدّة وجاهزة، وكان العدوّ في غفلة تامّة، لكنّ المنطقة التي تمّ اختيارها تُعتبر الأشدّ صعوبة بالمقارنة مع كلّ ما جرى في الحرب، وذلك بسبب قربها من البصرة، حيث أعمل العدوّ كلّ طاقاته الفكريّة وحوّل كلّ هذه المنطقة إلى خنادق وسواتر وحصون مختلفة وكان له اليد الطولى على كلّ هذه المساحة الجغرافية، وقد قام بإغراق كلّ ميادين الألغام بالمياه وتلويث منطقة واسعة. ويمكن القول إنّ ٦٠٪ من القدرة العسكريّة للعدوّ كانت مستقرّةً في ضواحي البصرة. المشكلة الأخرى التي كنّا نواجهها هي أنّ وقت الهجوم كان في ليلة الحادي عشر من الشهر القمريّ، بينما كنّا في العادة نختار أن يكون بدء العمليّات والهجوم على نقاط العدو وقت الظلام الحالك، لكن الليلة الحادية عشرة كانت ليلةً مضيئة بسبب اكتمال البدر تقريبًا، وكان هذا يشكّل لنا عائقًا.

قبل ثلاث أو أربع ليالٍ من بدء العمليات، ذهبت بصحبة عدد من شباب الاستطلاع إلى أحد الحصون لكي نرى مستوى رؤية العدوّ وهيمنته على المنطقة. غاص الشباب في المياه، وقبل الوصول

إلى النقطة المحدّدة، شاهدنا عدّة إوزّات فقلت: فلنرجع، لا حاجة للذهاب، لكنّ الأح سخي صعد إلى حصن العدوّ وأجرى استطلاعات دقيقة هناك.

تمّ إنجاز الاجتماعات التوجيهيّة، ومحّص الشباب كلّ أفكارهم، وتحرّكوا وانطلقوا لإعداد وتجهيز القوّات والقيام بالعمليّات.

عندما أعود إلى تلك الفترة الزمنيّة أشعر أنّه لا شيء من تلك الشجاعة وتلك الأفكار وأولئك الأشخاص يرتبط بهذه الدنيا الترابيّة، فتلك الميادين قد أوجدها الله، وإرادتُه هي التي كانت مهيمنة، وهي التي أوجدت تلك الأجواء.

تلك الجبهة التي كانت قبل ذلك كأنها موات ومهجورة بالكامل، تبدّلت فجأةً، ففي ذلك الوقت مباشرةً، انتشر الضباب الكثيف وغطّى المنطقة برمّتها، بحيث إنّ كلّ الرادارات والأقمار الصناعيّة فَقَدَت قدرتها على العمل، وقد استمرّ هذا الضباب الكثيف لمدّة ١٢ يومًا. وخلال هذه المدّة، وجدنا الفرصة لاستكمال استعداداتنا المطلوبة، في حين أنّ العدوّ لم يكن يتصوّر أنّنا سنتمكّن، بعد مدّة لا تعدو أسبوعين من العمليّات السابقة، من القيام بأعظم العمليّات في تاريخ الحرب.

وفي عصر يوم العمليّات، خَطَرَ على بالنا القيام بتدابير مختلفة. على سبيل المثال، قمنا بحفر نهرٍ، بحيث ينساب الماء من الحصن إلى داخله، وأخفينا في ذلك النهر حوالي مئة قارب سريع.

وفي ليلة تنفيذ العمليّات، وفي ذلك الحصن، كانت قيامة الإنسان! ولا يمكن مقارنته بأي مكان آخر.

تلك الوجوه التي قبعت في ذلك الخندق انشغلت إمّا بتلاوة القرآن، إما بالصلاة، أو بكتابة الوصايا. وبالطبع، أولئك الذين كانوا قد عزموا على استقبال الموت، لاذوا بذلك الحصن.

قبل الغروب، حصل أمرٌ ألقى الرّعب في قلوبنا وشعرنا أنّ العمليّة قد انكشف أمرها، فقد قام العدوّ بإطلاق صلية من صواريخ الكاتيوشا ودمّر مجموعة من القوارب وإحدى ناقلات الجند عندنا، وقد كان هذا تحذيرًا.

قام الشباب في بداية الليل بركوب القوارب وتحرّكوا نحو خطوط العدوّ، وكان أبعد محورٍ يقع على مسافة خمسة أو ستة كيلومترات عبر المياه، وكان أشدّ المحاور صعوبةً في هذه العمليّات هو محور فرقة «٤١ ثار الله»، التي كان لها دور مصيريّ في عمليات «كربلاء ٥»، وكان عليها أن تقطع أبعد مسافة داخل المياه، وأنتم تعلمون كيف يكون صقيع خوزستان في تلك الأيّام، فهو يلسع بشدّة. أمّا من حيث الجدولة الزمنيّة، فقد كان علينا أن نتحرّك بحيث تصل جميع القوّات من الخطوط المختلفة إلى المحور في الساعة ١٢:٠٠.

كان أكبر عائق أمامنا هو اختيار كتيبة الاقتحام، فقد كانت عمليّاتنا استشهاديّة بالكامل، وقد كان لدينا قوّات استشهاديّة على مدى الجبهة كلها.

كان سعينا أن تُنجز العمليّات بدقّةٍ عالية، وقد تمّ وضع علامات مشخّصة على طول المسير الذي يجب على الشباب أن يسلكوه وصولًا إلى حصن (تحصينات) العدوّ، وكان لدينا تواصل لاسلكيّ (مع الإخوة) في الأماكن التي تقع خلف ميادين الألغام التي نصبها العدوّ.

نزل الشباب إلى المياه وتحرّكت ثلاثة صفوف من الغوّاصين باتّجاه العدوّ، كنّا نتوقّع أنّنا سوف نقطع المسار الفلانيّ بساعتين، ولكن عندما نزلنا إلى الماء، تحقّق هذا المسير قبل نصف ساعة من الموعد المحدّد، واتّجهنا نحو خطوط العدوّ. أمّا المحور الآخر الذي كان يوجد

فيه شباب فرقة «١٠ سيّد الشهداء»، فقد التحموا مع العدوّ أسرع من الباقين عندما امتلأت السماء بالقنابل المضيئة، وبدأت المعارك، كنّا ما زلنا على بعد مئتي متر من الأسلاك الشائكة، كان العدوّ قد صنع الكثير من الحواجز وأوجد الكثير من التحصينات، لكنّنا اقتحمنا الخطوط لقد كانت هذه المسألة من النقاط البارزة في حربنا، وهي أنّه لم يتمكّن أيّ خطٍّ دفاعيّ من الحؤول دون نفوذ قوّاتنا إلى مناطق العدوّ. عندما انهارت الصفوف الأولى للعدوّ على يد الشهيد عابديني[١] والشهيد الحاج علي محمدي بور[٢]، وبدأت قوّات الكتيبة الثانية بالتقدّم، كان العدوّ ما زال في حال مواجهة، وعندما كان الشهيد طيّاري[٣] يتحدّث عبر اللاسلكي، لم يكن أحد ليتصوّر أنّ كلامه هذا يأتي من قلب مواقع العدوّ (ما زالت تسجيلات محادثة الشهيد طياري موجودةً)، لقد كانت مبادرة الشهيد طيّاري في هذه العمليّات مهمّةً في الواقع ومؤثّرة، فعندما أعلن الشهيد طيّاري أنّه قد عَبَرَ قناة صيد السمك وأبلغت السيد محسن رضائي[٤] بهذه الرسالة لم يصدّق نفسه.

---

١ علي عابديني قائد كتيبة الاقتحام ٤١٠ للغواصين في فرقة «٤١ ثار الله» الذي استُشهد في عمليّات «كربلاء ٥».

٢ علي محمدي بور دقوق آبادي قائد الكتيبة ٤١٢ في فرقة «٤١ ثار الله» الذي استُشهد في عمليّات «كربلاء ٥».

٣ مهدي طياري قائد كتيبة ٤١٩ في فرقة «٤١ ثار الله» نال شرف الشهادة خلال عمليات بيت المقدس ٧ في خرداد (١٩٨٨) ١٣٦٧هـ.ش.

٤ قائد قوّات حرس الثورة الإسلامية في ذلك الوقت.

كان ميدان المعركة لافتًا يستحقّ المشاهدة، لقد كانت مجموعة من الشباب، لا تتجاوز ستين شابًا، تطارد جيش الدبّابات والمشاة العراقيّ بأيدٍ عارية.

أما في غرب قناة صيد السمك، فقد وقعت مقاومة عجيبة، لقد وقف أحد القادة العراقيّين الأقوياء ويُدعى «عدنان خير الله»[1]، الذي كان قد جُرح عدّة مرّات لِيَصُدّ هجومنا .

في اليوم الأوّل، استطعنا تحرير منطقةٍ واسعة، وبنينا مجموعة من الخطوط الدفاعيّة، بالاستفادة من إمكانات العدوّ؛ وفي اليوم الثاني، دَخَلَ العدوّ بقوة عسكريّة واسعة، وبدأ هجومًا مضادًّا. وفي اليوم الثالث، كان يضرب كلّ متحرّكٍ يعبر القناة.

كانت المعارك معارك جنديّ لجنديّ، ومعارك القنابل والدبّابات، كان العدوّ قد استعاد نصف خطوطنا، فأتت إحدى الكتائب لنجدتنا، وفوق الجسر تحوّل الوضع إلى ما يشبه الجحيم، فقد كان العدوّ يرمي بحمم نيرانه فوق هذا الجسر من أوله إلى آخره، وهو جسر لا يزيد طوله عن كيلومتر واحد، وقد أوصل تاجيك[2] نفسه إلى غرب قناة السمك، وأنقذ الخطّ. أمّا الشهيد طيّاري فقد راح يركض فوق الجسر جريحًا، ومع كلّ خطوة يقوم بها، كانت عدّة دبّابات تستهدفه دفعة واحدة.

---

١ عدنان خير الله طلفاح ابن خال صدّام ووزير دفاعه الذي قُتل عام ١٩٨٩ عندما سقطت طائرته المروحيّة.

٢ «حسن تاجيك» قائد كتيبة ٤١٥ في فرقة «٤١ ثار الله» نال الشهادة في بهمن ١٣٦٥ خلال عمليّات «كربلاء ٤».

إنّ نتائج عمليّات «كربلاء ٥» هي السبب الذي جعل كلّ دول العالم تتعبّأ لإصدار القرار ٥٩٨، لقد اندهش كلّ الأعداء من مستوى المقاومة وحجم التضحية، فعمليّات «كربلاء ٥» قد أُنجزت في قمّة هذه المصائب ونقص الإمكانات والتنظيم.

إنّ هذا الانتصار العظيم والمهمّ والمتألّق كان له تأثيرٌ أساس جدًّا في مصير كلّ الحرب، حيث فرض على العالم التراجع وإصدار القرار ٥٩٨.

لم يتبقّ أحد[1]

لو قلت إنّ واقعة أخرى لكربلاء قد وقعت في عمليّات «كربلاء ٥» إلى جانب كربلاء الإمام الحسين، عليه السلام، بكلّ تلك التضحية والإيثار والقيم التي تجلّت في مواقف أنصار الإمام الحسين فيها، لما كان كلامي جُزافًا. لقد كان بيننا وجوهٌ متلألئة وعظيمة، بحيث كُنّا نشهد ذلك الفراغ الذي لا يمكن لأحد أن يسدّه بسبب غيابهم. واليوم، أرى في اللوحة المعروضة أمام ناظريّ قاماتهم الشامخة، وكأنّهم جميعًا قد شعروا أنّ هذه العمليّات ستكون آخر عمليّات الحرب، وأنّ عليهم أن يوصلوا أنفسهم بتلك القافلة التي انتموا إليها ويلتحقوا بها؛ فقبل وصول فرقة «ثار الله» إلى شلمجة، جرى اجتماعٌ لافت عابقٌ بالذكريات، كانت ليلة وداع أبناء فرقة «ثار الله»: زندي بينا، مشايخي، طياري، عابديني، محمدي بور، مير حسيني، لاريجاني، تهامي وكلّ هؤلاء كانوا موجودين، أطفئت

---

١ كلمته في مراسم تكريم شهداء عمليّات «كربلاء ٥» شهر دي ١٣٨١ (ك٢ ٢٠٠٣).

المصابيح وتعانق الكلّ والكلّ. كان يودّع الكل قال الشهيد مشايخي: إنّه إلى جوار منزلي، من جهة اليمين، يوجد أيتام، ومن جهة اليسار، يوجد أيتام، وأخجل من أن أعود إلى جيرفت. لقد عزمتُ على أنّ أقيّد قدميّ حتّى لا أنسحب، إنّني عازمٌ على الشهادة، وذلك اليوم قد انقضى.

وفي صباح اليوم التالي، وفوق السواتر، وداخل الأسلاك الشائكة، لفَت نظري مشهدٌ ينبض بالعشق، كان تمامًا مثل كربلاء، لعلّه اليوم أصبح مطموسًا أمام أنظار زائري شلمجة، ففوق الأسلاك الشائكة كانت الأيدي المقطوعة وأجساد الشهداء المطهّرة العائمة فوق المياه، كان جسدا الحاج محمّدي بور وعلي عابديني ملقيّين على الأرض إلى جانب الحصن، تحت نيران العدوّ. ومن بعد ذلك رحل الواحد تلو الآخر، عندما رجعت من منطقة قناة «صيد السمك»، لم يبقَ أحدٌ، وكأنّ الجميع كانوا يسعون بكلّ وجودهم للذهاب والرحيل.

دبّابتان مقابل مئات[1]

في اليوم الثالث من عمليّات «كربلاء ٥»، صار الوضع صعبًا جدًّا، لقد ضغط العراقيّون بشدّة، وكانوا يصبّون كلّ نيرانهم: الكاتيوشا والمدفعيّات والدبّابات وأيّ شيءٍ يمتلكونه، وقد شرعوا بهجوم مضادٍ من العيار الثقيل وبشكل متواصل، من الصباح الباكر وحتى السّاعة الثالثة تقريبًا، كانوا قد سيطروا على قسم من الخطوط الأماميّة، وأصبحوا على تماس مع قسمٍ آخر. كانت الطّائرات المروحيّة العراقيّة

١ حكاية عن عمليّات «كربلاء ٤» في البرنامج الخاص لمجموعة رواية فتح.

تأتي وترمي حممها من الخلف، وتُطلق نيرانها فوق القناة لتدمير مقرّ الإخوة في الاتّصالات اللاسلكيّة. أتذكر في ذلك الوقت الأح مرتضى قرباني[1]، الذي شرع بكتابة وصيّته، كنّا نشعر أنّ الأمر قد انتهى تمامًا، لأنّهم قضوا على كلّ سيارات الإسعاف، ومنعوا إخلاء الجرحى، وقصفوا سيارة اللاندكروزر التي أرسلناها، وكذلك حصل مع قوّاتنا قوّات المشاة التي كانت تريد العبور، لقد كان الجسر يشهد جحيمًا من النيران غطّته بالكامل، ولعلّه يمكن القول: إنّ ما يقارب مئة قطعة مدفعيّة عراقيّة كانت قد احتشدت لضرب هذا الجسر، بحيث لا يتمكّن أيّ شيء من عبوره، لقد أغلقوه بالكامل، استمرّ العدوّ بهجماته المضادّة بنحو مكثّف لمدّة سبعة أيّام تقريبًا، وقد صَدَرَتْ مهمّة استرجاع بحيرةً السمك إلى عدنان خير الله نفسه، الذي كان من الضبّاط المهمّين في الجيش العراقي، وهو، بنظرنا، من أكثر القادة العراقيّين كفاءةً، ولهذا وضعوه في مواجهتنا لأجل استرجاعها.

وفي ذلك الجانب، احتشدت مئات الدبابات ومئات القطع المدفعيّة وعشرات منصّات الكاتيوشا، بالإضافة إلى المعدّات الخفيفة التي كانت بحوزتهم، وكانت جميعها تطلق النيران. وفي المقابل، كان إلى جانب هؤلاء التعبويّين ربُّ التعبويّين، ومقدار قليل من قبضات الأر بي جي.

في قناة صيد السمك، كان العراقيون يمتلكون حوالي ٣٠٠ قطعة مدفعيّة وعشرات منصّات الكاتيوشا. أمّا مجموع مدفعيّتنا ومجموعة مرتضى قرباني، فلم تكن تزيد على العشرين قطعة، وكان أكثرها

---

١ قائد فرقة «٢٥ كربلاء».

من دون ذخيرة، وكان في مواجهتنا أيضًا مئات الدبابات العراقية، بينما كان لدينا دبّابتان. فإن حَلَّلْنا، يومًا، مجريات حربنا بعمق، سنجد أنّ قسمًا أساسيًّا من مواجهتنا لهذه الفئة الكبيرة ستكون أسوة وقدوة لمستقبل شعبنا وحربنا، وهو كيف استطعنا مواجهة مثل هذا الحجم من النيران؟!

في الجهة المقابلة، كان «عدنان خير الله» مع ثلاثة فيالق ومئات الدبابات[1] حاضرين في الميدان. وذلك لأنّ الأرض لم تكن تتّسع لأكثر من ذلك، وإلّا لكان لديهم عدد أكبر من هذه الدبّابات، و٣٠٠ بطارية مدفعيّة. كتب عدنان خير الله نفسه في تقريره لصدّام: قد قمت بذاك الأمر الذي جعلهم يتوسّلون ويتضرّعون؛ أمّا نحن، فكّنا نتواصل مع مرتضى قرباني في بعض الأوقات عبر اللاسلكي، نطلق الدعابات وننشد وندعو ونتمازح ونرفع من معنويّات بعضنا البعض، أمّا هو فقد كان يتصوّر أنّنا كنّا نتوسل فزعًا.

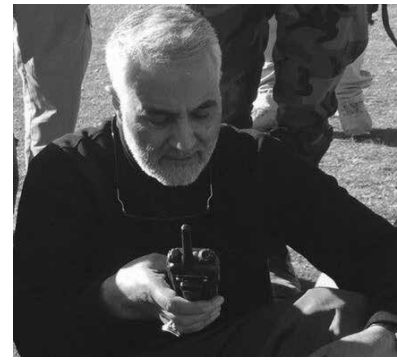

١ قال ما حرفيته: ٥٠٠ دبابة. ربما كناية عن الأعداد الكبيرة والضخمة منها.

رفاق السلاح نماذجٌ وقدوات

ليلة الوداع وليلة البيعة إسمان كنّا نطلقهما على الليلة التي تسبق ليلة العمليات. في منتصف تلك الليلة التي استمرّت حتّى الساعة الرابعة صباحًا، أضاء (محمد)[1] المصباح وقال: «أريد أن أتحدّث في الضوء»، لعلّ تسجيله ما زال موجودًا، وإذا لم يكن فهو في القلوب»، قال: «أبايع وأتعهّد وقد كتبتُ وأعلنتُ في جيراني لستة أيتام في الناحية اليُمنى ولستة أيتام آخرين في الناحية اليسرى، لقد كتبت لهم: إمّا أن أنتصر وأرجعَ، وإمّا أن أصبح شهيدًا». ثمّ توجّه إلى قادة الفرقة معلنًا أنّه: إذا تراجعتُ وانسحبتُ فأطلقوا عليّ النيران، قال: «أريد أن أعلن في الضوء لتكونوا جميعًا شاهدين أنّني على عهدي».

الشهيد زندي والحاج مهدي العزيز، أنا بلساني القاصر، قد عرّفت عن الإخوة الحرس النموذجيّين في الفرقة بعد عمليّات «والفجر ٨»، وبمجرّد أن أعلنتُ اسمه أقسم أنّ فرائصه قد ارتعدت وصار يبكي مثل طفلٍ فقد أمّه، فأمسكتُ به من تحت إبطيه ورفعتُه.

إخواني، أعزّيكم وأبارك لكم. أمّا عزائي، فمن باب أنّه قد كان

---

١ محمد مشايخي (رودباري) القائد الهندسي لفرقة «٤١ ثار الله»، الذي استُشهد في عمليّات «كربلاء ٥» ١٣٦٥ (١٥ ك٢ ١٩٨٧).

لكم خدّام جيّدون، وكان لديكم جمعٌ حسينيّ، وكان لكم أصدقاء أعزّاء: الشهيد رشيدي والشهيد قربان زاده وشهداء آخرون، وأنتم تتّبعون رسالتهم وملتزمون بها، فهم لم يكونوا يقولون ذلك، ولكن أنا أقوله بالنيابة عنهم:

قولوا لكلّ الناس، لأمّهات الشهداء ولآباء الشهداء، وللأسرى وللمفقودين ولحزب الله، إنّ خدّامكم وأبناءكم قد قاتلوا كالحسين، عليه السلام، وكانوا أبطال القتال. قولوا لهم لا تقلقوا، فهناك جمعٌ كانوا في خدمتهم، كانوا مسافرين، وقد التحقوا بالقافلة. قولوا لهم وأوصلوا لهم هذه الرسالة من الجبهة: لعلّه لم يكن في أدعيتهم سوى مطلب أو مطلبين دنيويّين، أقسم بالله أنّهم جميعًا كانوا ببكائهم يطلبون ذلك أن يا الله، إنّنا نفضّل الجنّة على هذه الدّنيا، وإنّنا نبذل دماءنا لكي نذهب ويكون هذا الشعب فرحًا في انتصاره وفي الفتح الذي سوف يتحقّق. كانوا يقولون إنّ رحيلنا وعدم بقائنا هو من أجل ألّا يقلق الإمام أو ينزعج لا سمح الله، هكذا كانت أمانيهم الدنيويّة، وهي أن يصبح شعب إيران فرحًا وسعيداً وأن يكون الإمام مسرورًا، ولعلّهم كانوا يحملون أمنيةً دنيويّةً أخرى، وهي تقبيل قبر المظلوم المغبرّ والمحاصر قبر أبي عبد الله الحسين، حتمًا إنّ هذه أيضًا كانت أمنيتهم وبالطبع فقد نالوا تلك الأمنية.

هذه الدماء النفيسة هي ثأر عظيم، فالفتح الذي تحقّق والأرض التي فُتحت هذا الفتح يساوي كلّ سنوات قتالنا وكلّ سنوات حربنا. صحيحٌ أنّنا قد فقدنا أعزّاء عظامًا! صحيحٌ أنّ هناك صفوفًا من الحرب قد هُزمت! ولكنّ الفتح الذي حصل على أثر إقدام هؤلاء ودمائهم وملحمتهم وشجاعتكم، أيّها الأعزّاء المعظّمون، عظيمٌ جدًّا وكلّ واحدٍ منكم جديرٌ بالشكر.

لست أنا أو الإمام من يشكر، بل الله هو الذي يشكر، فإنّه يشكركم أنتم، عباده، لأنّكم وقفتم بشجاعة وحاربتم بشجاعة، وهذا الفتح هو فتحٌ عظيم هو فتحٌ حتمًا، وإن شاء الله هو خاتمة الحرب وخاتمة عمر الكفر وجميع الكفّار أيضًا، أنتم لا تستطيعون ولا أيّ نظام يمكنه أن يقارن ويشبّه العمليّات الملحميّة ل»كربلاء ٥» بعمليّات الفاو وعمليّات كربلاء ١ والفتح المبين وبيت المقدس.

لعمليّات «كربلاء ٥» خصائص خاصّة بها سواء من ناحية البقعة الجغرافيّة أو التوقيت أو الموقعيّة

يا أخي! لقد تحدّثت إليكم سابقًا حول عمليّات «كربلاء ٤» التي أنجزناها، وذكرت لكم كيف كانت، لقد كانت أجواء النشوة تعمّ جيش العراق، بحيث أعلن لكلّ الجيش العراقي وكذلك الأسرى قد أكّدوا ذلك أنّ الحياة العسكريّة لإيران قد انتهت، وأنّ كلّ ما حقّقته في سنة قد انتهى، وأنّ أعلى انتصارٍ وفتحٍ لجيش الإسلام لم يكن فتح الأرض بل فتح الإرادة والعزم.

وفي أوج اليأس وذروة حساسيّة الحرب، اتّخذ الحرس قراره الشجاع بالقتال، لعلّ الشيطان بعد «كربلاء ٤» كان يصدح في جبهتنا وفي حربنا، لكن قُبض عليه ورُوّض على أيدي رجال الله وعلى أيديكم أنتم، يا رجال الله، كان أعظم فتح بالنسبة لنا هو أنّنا قد توكّلنا على الله، تبارك وتعالى، وهجمنا في ذروة إحباطنا وانعدام ثقتنا بالأرض وبموقعيّة العسكر.

أنا العبد، كقائدٍ عسكريٍّ صغيرٍ لكم، كما يُقال وبحسب الظاهر قائدكم، أقول لكم إنّنا لم نمتلك في «كربلاء ٥» أيّ أملٍ في الرجوع إلى الجبهة، وقد اخترنا أصعب جبهةٍ وأرضٍ للقتال، فإنّ كلّ مترٍ

من هذه الأرض له قيمةٌ تساوي عدة كيلومترات من الفاو، بلحاظ الحساسيّة العسكريّة والسياسيّة، فأرض شلمجة وبوبيان وبحيرة السمك كانت تبدو دومًا كغولٍ عسكري، وكأنّها نمرٌ من ورق في نظر جيش الإسلام، كانت شلمجة وبوبيان أقرب باب إلى هدف العمليّات. ومع أنّنا اخترنا أهدافًا أخرى، وكانت تعقيدات الأرض وصعوباتها التي شاهدتموها وتلك العوائق الشديدة التي وضعها العدوّ، فقد صنعوا جبلًا في السهل وقد شاهد الإخوة هذه الأشكال، هؤلاء الذين قاتلوا في ساحات القتال كانوا جبلًا، كان العدوّ يأتي بجميع المستشارين العسكريّين في العالم، الذين كانوا يريدون الاطّلاع على أوضاع العراق العسكريّة ويحضرهم إلى جبهة شلمجة ويريهم ذلك من باب النموذج، فقد كانت شلمجة ماكيتًا عسكريًّا[1] لقدرة الجيش العراقيّ، لقد كانت المكان الوحيد الذي لم يكن أيٌّ من قادة الجيش العراقي يتصوّر أنّه سوف يهزم فيه في العمليّات العسكريّة، فنحن لم نَقُم بوضع خطّة عسكريّة لتنفيذ عملٍ عسكريّ عليها، بل كانت عمليّات الولاية، الولاية بمعنى أنّ الإمامَ كان قد اتّخذ القرار وبلّغنا عبر ممثّله أنّ أرض معركتكم هي هذه. وبعد «كربلاء ٤»، هناك عملٌ لا أريد أن يبعث على الغرور في كلامي، فكلّ الأعمال هي عمل شخصٍ واحد قطعًا، شخص واحد، وذاك الشخص هو السيدة الزهراء، عليها السلام، هذه الأمّ التي أمسكت بأيدينا جميعًا.

في ليلة العمليّات، أعترفُ أنّي كتبتُ ثلاث مرّات، حيث إنّ مرساله (بريده) حاضرٌ أيضًا، كتبت ثلاث مرّات لقائد المقرّ أنّنا الآن نقوم بأكبر مخاطرة في هذه العمليّات، كتبت ثلاث مرّات أنّ

---

١ نموذجًا / مجسّمًا.

عليكم أن تلغوا الهجوم؛ وفي اللحظة التي نزل فيها التعبويّون في الماء ووصلوا إلى خلف الأسلاك الشائكة، حيث كان القمر في الليلة العاشرة مثل النهار المضيء، رأيت في الماء وعبر منظاري، حيث كنت أراقب، وخلف ميدان الألغام جدار التعبويّين الممتد لكيلومترات، فارتعد بَدَني وبكيت، قلت في نفسي إنّه لن يصل أيّ واحد من هؤلاء التعبويّين إلى العدوّ، كان ذهني يقول لي هذا، والعلم أيضًا كان يقول هذا، والعقل أيضًا كان يقول هذا، وتجربتي، أيضًا، كانت تقول لي هذا. كلّ هذه القرائن كانت تخبرني أنّ هؤلاء التعبويين لن يصلوا إلى الخطوط، وأنّ هذه العمليّة لن تنجح، ولكنّ العشق لم يقل ذلك، كنّا ننزل الشّباب إلى الماء والشهود حاضرون، ولكن ما إن كنّا نطأ الماء حتّى كنا نرى خطوط العدوّ كما ننظر إلى أكفّنا، كنت أراقب عمليّات الهجوم على ضوء القمر لكي نرى إلى أيّ مدى يمكن أن يُرى هؤلاء الشباب. وقد رأيت أنّ جميع صفوف الغوّاصين تُرى حتى إلى قرب الأسلاك الشائكة، وبمجرّد أنْ رأيت ذلك ارتعدت وفَقَدتُ الأمل.

كنت أقول بعجزٍ تام: اقرأوا دعاء التوسّل واطلبوا المدد من السيّدة الزهراء، عليها السلام، وكأنّ ستارًا قد نزل وغطّى القمر وأظلمه.

لعلّه لم يكن هناك من يصدّق بأنّ فرقة «ثار الله» ستتمكّن من عبور بحيرة السمك، لا أقول هذا من باب العجب لأنّ الجميع كانوا كمن أسقط في أيديهم، وإنّما كلّ شيءٍ كان من صنعها، عليها السلام، لكنّني أخبركم عن عظمة العمل، فلا يمكنكم أن تتصوّروا عمل شهدائكم، كالشهيد همّت إنّ العمل الذي قامت به فرقة «ثار الله» لوحدها لا مثيل له، لقد كانت لوحدها توازي ثلاثين سنة، من العمل الذي قام به كلّ الجيش المصريّ تحت جنح ذلّة وقف إطلاق النار، من أجل

العبور من قناة السويس بهمّة فرقة واحدة أُنجز عمل دولةٍ بأكملها.

إنّ عبوركم من بحيرة السمك لم يتصوّره أحد في الجيش العراقيّ وقادته، فاليوم، كلّ شبرٍ نتقدّمه وكلّ كيلومترٍ نعبره يدمّر صفوفًا من الجيش العراقيّ.

إنّ المكان الوحيد الذي أستطيع القول إنّه قد برز فيه الكفر كلّه مقابل جمع المؤمنين، وهو يحاربهم ويغرز مخالبه، هو عمليات شلمجة، لقد جُمع الجيش العراقي كلّه وهو يواجهنا بكلّ عديده وعدّته، وإن شاء الله، ستكون هذه فرصة لإبادة الجيش العراقيّ. في الليلة التي قمنا فيها بتنفيذ الهجوم على خطّ نهر جاسم، وفي المرحلة التالية منه، حين نفّذت الكتيبتان ٤١٧ و٤١٢ الهجوم، حيث جاء صدّام بنفسه وأعلن عبر اللاسلكي مباشرةً، وقال لقادة الفوج الثالث والفوج السابع في الجيش العراقي إنّه لن يقبل بحصول أيّ اختراقٍ في نهر جاسم. وهناك قاموا بوضع بطاريّة المدفعيّة التي تُدعى مدفعيّة بغداد، والتي تنفصل عن كلّ بطاريات المدفعيّة الأخرى الموجودة، وهي تعمل بصورة مباشرة تحت إمرة القيادة العامّة للجيش العراقي. كان صدّام يقول لقادته إنّه عليكم أن تقاتلوا وتقاوموا، وأنا قلت لمدفعيّة بغداد أن تدعمكم، وقد شاهدنا جميعًا في تلك الليلة أيّ نيرانٍ قد أطلقها العدوّ، فقد قام بإطلاق ما لا يقلّ عن عشرين صليّةً من الصواريخ، في تلك الليلة على الجبهات، ولكنّ الإيمان قد أسقط ذلك الخطّ الدفاعيّ، وكانت المعركة التي وقعت في تلك الليلة، بقيادة الشهيد شول وتاجيك وهراتي، من أصعب وأشدّ المعارك.

وجاء النداء عبر اللّاسلكي من قادة فرقة «٢٧ محمّد رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلم»، حيث كانوا يحثّونهم ويبثّون فيهم الأمل، وأنّ اللّواء في الفرقة الفلانيّة على الطريق. وأستطيع أنّ

أقولَ بكلّ جرأة إنّ ما أبلاه الشباب من فتك في الجيش العراقي، في تلك الليلة، لا يقل عن قتل ألف جنديّ، فهذا في الحدّ الأدنى، وكلّ الشباب يعلمون أنّك إذا وضعت قدمك على القناة ستجد أمواجًا من الجثث، وقد أبيد، بالحدّ الأدنى، أربعون لواءً من الجيش العراقي بالكامل.

لقد دوّنّا أسماءنا في قافلة المسافرين، والممتحِن هو الرحمن، ونحن على ثقةٍ ورجاء، لأنّ الرحمن هو الممتحن، عسى أن يتقبّلنا قبولًا حسنًا وينصرنا. وكذلك كانت توصية القيادة والقائد ومقتدانا وإمامنا أنّه ينبغي الاستمرار في القتال، لقد فَقَدَ الجيش العراقيّ السيطرة على نفسه ولم يكن قادرًا على تنفيذ هجوم مضاد، فإذا سلبتم النيران من الجيش العراقي لن يبقى فيه أي رَمَق. جَميع الأسرى العراقيين يقولون هذا، يقولون إنّهم قد فقدوا قدرتهم وأن لا طاقة لهم. فجميع قادة صدام الذهبيّين والفضيّين والبرونزيّين وقفوا عاجزين، وبلطف الله، لم يتمكّن أيّ واحدٍ منهم، لحدّ الآن، من ارتكاب أيّ حماقة. وحتّى الآن، قامت فرقة الحرس الجمهوريّ بالهجوم خمس مرّات على بحيرة السمك بدعم من نيران الجيش العراقيّ، ولكنّ الفشل كان حليفهم في كلّ مرّة. لقد دُمّروا وانسحبوا، كنّا نسمع عبر أجهزة اللّاسلكي أصوات استغاثة العراقيّين، وكنّا نسمع تلك الشجارات بين قياداتهم، فالكلّ يبحث عن ذريعة وحجّة، كل هذه نسمعها عبر اللاسلكي، وهم يقولون: لا نستطيع، النيران كثيفة، الكلّ قُتلوا، الكلّ فرّوا، لم يبقَ أحد.

أُقسم بالله، أنّ هذا كان كلام كلّ لواء أُمر بالهجوم وأُمر بالمقاومة، وهذا إنّما يدلّ على أنّ الجيش العراقيّ قد فَقَدَ السيطرة، وعلينا أن نستغلّ هذا الاضطراب وعدم السيطرة العسكريّة، فهذه نافذةٌ من

الرحمة فتحها الله علينا، علينا أنْ نستغلّ هذه النافذة لكي نُبيدَ العدوّ ونقضي عليه.

إنّ الأرض مُهيّأة اليوم للمعركة أكثر من أي وقت مضى، لماذا؟ لأنّنا قد تجاوزنا جميع عقبات الحرب العسكريّة وأضحت خلف ظهورنا، هذا أسهل وقتٍ للقتال، لماذا؟ لأنّ الجيش العراقي ليس قادرًا على إعادة بناء نفسه، وليس قادرًا على إعادة النظر؛ إنّنا اليوم، ولله الحمد، ننجح في كلّ هجوم نقوم به على مواقع العدوّ، فلا يوجد أمامنا أيّ ألغام أو موانع، فالوقت مناسبٌ جدًّا للقتال والاستمرار فيه، ويجب، إن شاء الله، أن نستمرّ في هذا القتال. لقد اتُّخذ القرار بأن تَردَ عدّة فرق ميدان المعركة، وهذه الفرق قد أعدّت نفسها وتجهّزت للاستمرار في القتال، وها هي فرقتنا أيضًا، وقد أعطينا مهلةً لعدّة أيّام لإعادة النظر ولإعادة تشكيلنا فالراية التي سقطت أرضًا نُودِعُها في أيدي آخرين، وسنعطي الراية للمتطوّعين المستعدّين لرفع راية الشهداء.

لقد قرّرنا في هذا الوقت القصير أن نعطي إجازةً لبعض الإخوة الذين فقدوا أعزّاءهم، أو لبعض التعبويّين الأعزّاء الذين انتهت مأموريّتهم (مهمّتهم). أمّا التعبويّون الجاهزون للبقاء، فنرسلهم في إجازة، وأولئك الذين ليسوا مستعدّين للبقاء نرسلهم من أجل تصفية أمورهم مع انتهاء مهمّتهم. أما سائر الفرق التي لم تغادر والقوّات التي أُرسلت إلى الجبهة تحت عنوان قوّات حضرة المهدي، عجل الله تعالى فرجه الشريف، نقوم بتنظيمها من أجل أن تصبح، إن شاء الله، جاهزةً للقتال والبدء بالعمليّات العسكريّة، فقادتنا الأعزّاء المستعدّون للاحتراق بهذه النيران هم أولئك الذين يشعرون، ومن دون أيّ تردّد، مثل إخوانهم من القادة الشهداء، الذين كان يُقال

إنّهم دخلوا في قلب النيران، وكانت طاعتهم وتعبّدهم بحيث إنّه لم يعد الاحتراق بالنار بالنسبة لهم ذا معنًى ولم يعودوا يعرفون للتعب معنًى ولم يعد الوقت والزمان بالنسبة لهم ذا معنى، فكلّ واحد من قادتكم لم يأتِ إلى المسؤولية بأمر مهمّة، بل جميعهم تحمّلوا المسؤوليّات بحكم التكليف، فأولئك الذين يعلمون في أنفسهم أنّهم قادرون على تقديم المساعدة لحمل راية الشهداء فتكليفهم الشرعيّ هو أن يسجّلوا أسماءهم ويبقوا، ولو اقتضى الأمر أن يذهبوا إلى البحر، سواء كانوا تعبويّين أو موظفين أو في سنّ التجنيد أو مشايخ وعلماء أو من الحرس، ففي أيّ مجال كانوا عليهم أن يدوّنوا أسماءهم ويَخْلُفوا غيرهم، فعلى كلّ واحدٍ أن يدير عشرة أشخاص، وقد يدير البعض عشرين شخصًا، والبعض الآخر ثلاثمئة نفر، وهكذا البعض أقلّ والبعض أكثر. على الجميع أن يقدّموا العون حتّى ينتصر الإسلام في هذا المقطع الزمنيّ الحسّاس.

لقد تبيّن أنّه متى ما تيقّن العالَمُ أنّنا منتصرون أماط اللثام عن وجهه الخبيث، فها هي أمريكا تجرّ أساطيلها وتدخل طائراتها، ونحن نعلم لأيّ شيءٍ تأتي الطائرات، ونحن نعلم لأيّ شيء تأتي الأساطيل، ولكن يجب أنّ نكونَ ثابتين وصامدين، وعلينا وعلى أعدائنا، ولكن بالنسبة لنا، الشهادة هي إحدى الحسنيين[1]، ففخرنا وعزّنا هما الشهادة، وفخرنا أن نقاتل ونُقتل في سبيل الله وعلى طريق الإسلام. بناءً عليه لا يهمّنا إنْ جاءت أمريكا إلى الميدان أو صدّام، بالنسبة لنا ليس هناك ما هو أجمل من أن ينكشف عدوّنا الأساس الذي كان يُخفي نفسه وراء ستار سجونه الدمويّة والبشعة.

---

١ عبّر الحاج قاسم حرفيًّا: بالنسبة لنا لا يوجد أعلى من اللون الأحمر.

حسن وحسين وأحمد[1]

كان بيننا أشخاص عدّة وكانوا يقومون بدور المربّي، لا المربّي بمعناه العسكريّ الذي يقوم به في التدريب، بل المربّي بالمعنى الذي هو أشمل من هذا الكلام، وأيّ اجتماع لا يحضره هؤلاء تحصل ثلمة؛ وعندما استُشهد بعضهم، بقي هذا النَّقص إلى آخر الحرب، هؤلاء الثلاثة الذين كان لهم دور المربّي هم حسن باقريّ وحسين خرّازي وأحمد كاظمي، فإذا جلسنا جميعًا للتحدّث عن الحرب، وأردنا اتّخاذ القرارات كان صمت أحد هؤلاء الثلاثة يجعل إمكانيّة اتّخاذ القرار صعبًا حتمًا فقد كانوا أصحاب الكلمة الأخيرة؛ فإذا اعترضوا على عمليّات محدّدة، فهذا يعني أنّه حتمًا، يوجد مشكلة معيّنة وسبب، وإذا ما أصرّوا كان الأمر يعني ذلك. ففي العمليّات العشر الكبرى للحرب، أيّ عمليّات: ثامن الأئمّة وطريق القدس والفتح المبين وبيت المقدس وبدر وخيبر و»الفجر ٨» و»كربلاء ٥» و»الفجر١٠»، شارك أحمد في ستّة من هذه الهجومات العشرة الكبرى وكان منقذ المحور، وقد وقف في عمليّات ثامن الأئمّة في وجه العدوّ حتّى لا يتمكّن من احتلال عبادان. كان أحمد وحسين يشكّلان محورين أساسين لكسر حصار عبادان. وفي عمليّات بيت المقدس، وفي الليلة التاسعة عشرة أو الثامنة عشرة، وبينما كنّا جميعًا متعبين وفي حالةٍ من القلق تجاه تأخير العمليّات لأسبوعين، تحدّث حسن باقري وقال: لقد وَعَدنا شعبنا وقلنا: «إنّ خرّمشهر محاصرة فكيف يمكننا أن نرجع إليهم ؟!». كان الجميع متعبين لأنّنا كنّا قد بدأنا عمليّات بيت المقدس، بعد ٤٠ يومًا من عمليّات الفتح المبين، وهناك، قامت فرقتان بتحرير

---

١ كلمته في أربعينيّة شهادة الحاج أحمد كاظمي شتاء ١٣٨٤ (٢٠٠٥م).

خرّمشهر، وكان كلّ منهما مؤلّفًا من خمس كتائب، أي ما يعادل ٣٠٠٠ جنديّ في مقابل ٢٠ ألف جنديّ للعدوّ، وكانت الفرقتان فِرْقَتَيْ أحمد وحسين، وفي عمليّات خيبر، كانت كلّ الإنجازات منحصرة بذلك الشيء الذي أعدّ أحمد أي الجزر ولقد استطاع في عمليّات بدر أن يقتحم الجبهات كالشهاب، وأن يتسلّل إلى الداخل، وأنا لا أنسى عندما استُشهد مهدي باكري، في آخر ليلةٍ، كيف أخلى كلّ المقاتلين الجبهة وتراجعوا وبقي هناك عشرة أشخاص يصرّون، بترجٍّ، أن يخرج أحمد من منطقة بدر، ولكنّه لم يأتِ، وكان يقول لماذا أصبحت حربنا هكذا؟ لماذا وصل بنا الأمر إلى هذه الحالة؟!

كلّما فقد الإنسان عزيزًا يبقى يذكره لمدّة سنة أو سنتين أو أربعين يومًا ويأتي على ذكر اسمه، وقليلًا ما كان يحدث أن يَعْلَقَ الإنسان لمدّةٍ طويلة بذكر اسم شخصٍ فَقَدَه، أمّا أحمد كاظمي فَقَدْ بقي يَذْكُرُ حسن باقري مدّة ١٩ سنة، ويذكر الشهيد حسين خرّازي؛ فما من اجتماعٍ أو خلوةٍ أو جلسةٍ رسميّة أو جلسة ودّيّة أو عائليّة أو سفرٍ إلّا وكان يأتي على ذكر باكري وخرّازي وهمّت وهؤلاء الشهداء.

لم أرَ صلاةً صلّاها أحمد إلّا وكان يبكي في قنوته، أو عند نهاية صلاته كان يكرّر دائمًا ذكر: «يا رب الشهداء» «يا ربّ الحسين» «يا ربّ المهديّ» ثم يبكي!!

همّت ليس أسوة شباب طهران فقط[1]

إنّ من خصائص حربنا هي أنّها وضعت كلّ أنواع عدم التكافؤ

---

١ كلمته في ذكرى القادة الشهداء من فرقة «محمد رسول الله ٢٧» اسفند ١٣٩١ه.ش. (شباط ٢٠١٣م).

جانبًا، وشهدت الابتكارات والإبداعات في ساحة الدفاع المقدّس. ما كان يميّزنا عن الجيوش الكلاسيكية في العالم هو كلمةٍ واحدة، فلو أردنا أن نميّز ما بين الحاج أحمد متوسّليّان والحاج همّت وقادة فرق الشهداء وبين القادة الكلاسيكيين لجيوش العالم، فإنّه، بالإضافة إلى القضايا المعنويّة والسلوكيّة، كان هناك كلمة نعبّر عنها بـ «تعال» و «اذهب». أي إنّ قادتنا كانوا يقفون في ساحة المعركة ويتقدّمون ويقولون «تعال»؛ أما القادة الكلاسيكيّون، فإنّهم يقفون في الخلف ويقولون «اذهب»، كان (القائد منّا) يقف في المقدّمة ويقول تعال، وكان لهذا تأثيرٌ كبير في بذل الكثير من التضحيات. لهذا فإنّ مستوى شهدائنا القادة لا يمكن مقارنته بقادة أيّ حربٍ أخرى.

وفي مرحلة الحرب المفروضة، كان لدينا ١٢ فرقةً حديثةَ التأسيس، استُشهد سبعة من قادة هذه الفرق الاثنيّ عشرة التي تأسّست في زمن الحرب، واستُشهد أربعة من قادة فرقة محمد رسول الله ٢٧، واحدًا تلو الآخر، أي إنّه بعد الحاج أحمد متوسّليان جاء الشهيد تشراغي، ثمّ الشهيد همّت، ثمّ الشهيد الحاج عبّاس كريمي والشهيد غلام رضا صالحي، وبعدها أيضًا وصل الأمر إلى الحاج كوثري الذي هو شهيدٌ حيّ، أمّا في قادة الكتائب فهناك ما يقرب الـ ٨٠٪ من القادة شهداء.

فلو لم تكن هذه الريادّية والوقوف في الخطوطِ الأماميّة، لما حَدَث مثل هذا الأمر، فعندما يقول القائد: تعال، سيكون دور هذا القائد مثل ملكة النحل التي يجتمع كلّ النحل حولها.

وفي يومنا هذا، فإنّ الشهيد همّت ليس قدوةً ومحبوبًا من قبل شباب طهران فحسب، إنّما هو محبوبٌ ومشهور في كلّ البلاد.

الصيد الوفير

برزت مَلَكاتُ وكفاءة الحاج قاسم سليماني مبكراً في الحرب المفروضة، ممّا جعله خلال ١٨ شهراً أحد أبرز القيادات الميدانية في الجبهات. وقد أصدر مركز دراسات الحرب في حرس الثورة الاسلامية، عدداً من الدراسات عن قادةٍ بَرَزوا في هذه الحرب، وكان لهم الباع الطويل في التخطيط وقيادة وإدارة العمليات ، أحد هؤلاء كان الحاج قاسم سليماني.

أيام الحرب المفروضة، (١٦/٠٧/١٩٨٥)، وتحت قيادة الحاج محسن رضائي، اعترض الحاج قاسم ابن ال ٢٧ ربيعاً على خطة قيادة الحرس لإرسال القوّات في عملية هجومية لاحتلال جزيرتين غرب نهر أروند (شطّ العرب)، مستدلًّا بأنّ السيطرة على هاتين الجزيرتين يمكن أن تكون عملًا سهلًا، ولكنّ الاحتفاظ بهما أمرٌ مستحيل وسيستلزم حشد أعداد من القوات للدفاع عنهما، ممّا سيستنزف موارد بشرية ومادية وفنية كبيرة، لأجل هدف له تأثير معنوي، ولكنه يفتقد الأهمّيّة على المستويين التكتيكي والتعبوي (العمليّاتي). وبالرغم من أنّ بقيّة القادة، بسبب اقتناعهم بالتأثير المعنوي لاحتلال هاتين الجزيرتين، قد تراجعوا عن اعتراضهم، الذي كان بنفس مقدار اعتراض الحاج قاسم على هذه الخطّة، إلا أنّ الحاج قاسم أصرّ على تشخيصه، وقَدّم الحجج والأدلّة على استحالة التثبيت في هاتين الجزيرتين، مما يعني أنّ النصر المعنوي المتحقّق من

احتلالهما سينقلب لمصلحة العدو عند أول هجوم لقواته، مما أقنع جميع القادة الذين أَلْغوا خطّة الاحتلال والسيطرة، واكتفوا بتحويل الهجوم إلى عملية تعطيليّة وتوجيه الجهد الهجومي إلى منطقة أخرى. وقد أدّى ذلك إلى نجاح كبير ويُسْر وسلاسة في العمليّة، وإلى إجبار الخصم على تنفيذ وقفة طويلة في العمليات لدراسة التكتيكات الجديدة التي اتبعتها القوات المسلحة الإيرانية في تلك العمليّة.

ورغم ذلك، ففي العمليّات الناجحة لا يُعتبر الحاج قاسم قائدًا مبالغاً في الحذر أو محافظًا، وهو الذي كان يعشق المبدأ الذي يقول: «إنَّ أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم»؛ ففي (٢١/٠٦/١٩٨٧)، اشترك الحاج قاسم في عمليّات «نصر ٥» التي هَدَفَتْ إلى إخراج بعض المرتفعات الاستراتيجيّة المهمّة من أيدي العراقيّين؛ وعندما واجهت كتيبة حمزة في فرقة «كربلاء ٢٥» الصعاب ولم تتمكّن من احتلال الأماكن المحدّدة لها وفق الخطّة، بادر الجنرال سليماني على أعين القادة رفيعي المستوى غير المصدّقة وأوصل فرقة «ثار الله ٤١» بسرعة إلى ذلك المكان، وتمكّن من السيطرة على كلّ تلك المنطقة. وفي ذلك اليوم، جنّ جنون العراقيين من تحوّل النتيجة التي كانت تفترض اقتناص الصيد قد أصبح في متناول يدها، لكنها فقدته بفضل تلك العمليّة البارعة التي قادها الحاج قاسم، فصبّ العراقيّون جام غضبهم على ذلك المحور، وتعرّضت فرقة «ثار الله»، وغيرها من الوحدات الموجودة في تلك المنطقة، لهجوم كيميائيٍّ من قبل القوّات العراقيّة، وأصيب على أثرها ١١٠ أشخاص من عناصره.

ويُعتبر الحاج قاسم أيضاً من العارفين بالتكتيكات التي تحقّق مبدأ خداع العدوّ، وهو من القادة الذين يعلمون كيف يتحايلون على تكتيكات العدو المخادعة في ميادين القتال بصورة مؤثّرة. وكنموذج

على ذلك، فخلال إعداد خطّة معركة شلمجة في، (٥ تشرين الأول ١٩٨٧)، أكّد قائلاً: «لا يمكن خداع العدوّ من دون افتعال معركة ظاهريّة، علينا بالحدّ الأدنى أن نبدأ معركةً تبدو بالظاهر واقعيّةً لعدّة أيام».

ثم عاد وأكّد مرّة أخرى، خلال التخطيط لنفس العملية في (٢٨ تشرين الأول ١٩٨٧)، على قضيّة الخداع، وقال: «إنّ تدريبات القوّات الخاصّة قد تفضح خطّتنا، ويجب أن نأمر بقية القوّات في المناطق الأخرى أن يفعلوا الأمر نفسه، حتّى لا يلتفت العدوّ إلى الهدف من مناوراتنا، وأين تقع منطقة العمليّات».

هذه البراعة في التخطيط والقيادة لم تكنْ مفصولة أبداً عن شخصيّته الإيمانيّة الجهاديّة، التي كانت تتجلى عمليّاً من خلال ربط الطاعة في العمل الجهادي بالأداء المتقَن، المقترِن بالتسليم والتوكل على الله والاستمداد من أنبياء الله وأوصيائه وعباده الصالحين. تميزت خُطبُ وتوصيات الحاج قاسم سليماني الحماسيّة التي كان يُلقيها، قبل العمليّات الحربيّة وبعدها، بدوام ذكر سيّد الشهداء الإمام الحسين (ع)، وعرض نماذج كربلائيّة وربطها بالواقع الميداني، وبتوضيح تكليف المجاهدين الشرعي والعقائدي تجاه صاحب الزمان (عج)، وكانت ليلة العمليات، في كل المعارك خلال الحرب المفروضة، ليالي عجيبة، قلّ ما يفقهها إلا أهلُها أو مَنْ نهلوا من المدرسة الممتدّة إلى ليلة عاشوراء عام ٦١ للهجرة، وهي الليلة التي اختبر فيها الإمام الحسين، عليه السلام، أصحابه وأهل بيته، فخيّرهم بالانسحاب ليلاً وتركه مع المجرمين الذين لا يطلبون غيره (ع) ولكنّهم ثبتوا.

ظهر الحاج قاسم في أحد مقاطع الفيديو (التي وَثَّقَ فيها الشهيد مرتضى آويني مشاهد وذكريات الحرب)، في ليلة من ليالي العمليّات

بصورة تكاد تكون نسخة معاصرة من ليلة عاشوراء. وجرياً على عادته في كل عملية يظهر مقطع الفيديو هذا حالة الحاج قاسم المؤثرة وهو يبكي ويعانق ويودّع جميع المقاتلين الذين سينطلق معهم إلى العمليّة، وكان وداع المجاهدين، فردًا فردًا، هو ما دَرَجَ الحاج قاسم عليه قبل كل العمليّات التي شارك فيها، أو سيشارك فيها، مستقبلاً، في العراق وسوريا وغيرها من البلدان التي كانت تحت مسؤوليته عندما أصبح قائداً لقوة القدس.

وهنا، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذه الحالة المودعة والمنتظرة الفوز بالشهادة في وقت واحد كانت حلة دائمية ترتبط بحقيقة مكنونات الحاج قاسم وشخصيّته، وكانت تظهر في كلّ مناسبة، في إشارة العرفان بالجميل والامتنان، إلى أغلب أولئك الذين كان يعانقهم ويشايعهم ورزقهم الله الشهادة في العمليّات المختلفة. ومن يراجع معظم الفيديوهات التي نشرت عن خطابات الحاج قاسم بعد ١٠ أو ٢٠ أو ٣٠ سنة، منذ نهاية الحرب المفروضة، يلاحظ فوراً كيف كان يكثر من البكاء والتضرّع وطلب المسامحة من الشهداء، لأنه لم يلتحق بهم بعد، وهذه الحالة كانت تتكرّر في معظم كلمات وخطابات الحاج قاسم العامّة.

بكى الحاج قاسم كثيراً عندما انتهت الحرب المفروضة عام ١٩٨٨، لأنه لم يوفّق لنيل وسام الشهادة، بل كرمه الله بوسام الجرح، الذي ناله ثلاث مرات في قلب المعارك، إحدى هذه الجراح كانت خطيرة في عملية «طريق القدس» وأقعدته في المستشفى لشهور، والجراحة الثانية تسببت بشلل في أحد أصابع يده اليمنى.

لم يكن الحاج قاسم سليماني ليرضى بوسام جريح، بل كان يكدح لنيل الفوز العظيم بمرتبة شهيد، فبقي يلاحق قافلة الإمام

الحسين (ع) ٣٢ عاماً، وقطع من أجلها آلاف الأميال، وجابه صعاباً وأهوالاً في الميدان وعلى السواتر، وحتى في حياته المدنية العادية، من أجل الفوز بالرضوان والنعيم المقيم.

كرمان (2) حراسة إرث الشهداء

عام ١٩٨٨، انتهت الحرب، فعاد الحاج قاسم إلى كرمان، يحمل على عاتقه إرث مئات الشهداء من أفراد فرقة «ثار الله ٤١»، وأمانة عشرات آلاف الشهداء ممّن سقطوا دفاعاً عن دولة صاحب العصر والزمان (عج)، على حدودها الغربية بين عامي (١٩٨٠-١٩٨٨).

كانت المسؤوليّة ثقيلة على عاتق مَنْ بقي حياً بعد الحرب، في ظلّ تغيرات كبيرة بدا أنها ستطرأ على المجتمع في زمن السلم، بسبب سعي القوى الدوليّة المعادية لتخريب هذا المجتمع، بعدما حافظ على تماسكه في الحرب الشرسة والطويلة.

استغلّت أجهزة الاستخبارات الاجنبيّة خاصرة إيران الضعيفة، على الحدود الشرقية والجنوبية المتاخمة لأفغانستان وباكستان، لتحاول إغراق إيران بالسلاح وبالمواد المخدّرة، ولتستهدف أمنها واقتصادها بالمجموعات الارهابيّة المتسلّلة، وبعصابات التهريب المنظّمة من بلوشستان الباكستانيّة وهرات الأفغانيّة.

تولّى الحاج قاسم إعادة تنظيم وتأهيل فرقة «ثار الله ٤١»، بعدما كُلّف بمسؤولية قيادة حرس الثورة الاسلامية في محافظات كرمان وسيستان وبلوشستان، وأنشأ قوّة خاصّة لمكافحة التسلّل عبر الحدود، وتهريب المخدّرات والبضائع على أنواعها، بما فيها السلاح، وقد أَنْجَزَ معظم مهمّته في أقلّ من ٤ سنوات بأساليب بارعة، تراوحت بين:

استمالة المجتمعات المحلّيّة والعشائر في المنطقة والاستفادة منها في محاربة ومكافحة المهربين وتجار المخدّرات، وانشاء لجان محلّيّة للدفاع عن القرى والبلدات من اعتداءات جماعات الجريمة المنظّمة والارهابيّين.

القيام بعمليّات عسكريّة للمطاردة والبحث والتفتيش واعتقال المجرمين، حيث دخل في إحدى هذه العمليات بقوّة تتعدّى العشرة آلاف مقاتل من الحرس والتعبئة إلى قلب معاقل المهرّبين في بلوشستان، وشنّ حملة استمرّت لأشهر.

تنفيذ إغارات ضدّ أهداف نوعيّة، كرؤوس هذه العصابات الخطيرة ومستودعاتهم وطرق تهريبهم.

تعزيز الاستخبارات الوقائية في تلك المنطقة، وتجنيد مخبرين، وانشاء مراصد لإجهاض عمليّاتهم المستقبليّة.

وقُدّر لهذه الاجراءات أن تعطّل إلى حدّ كبير قدرة هذه الجماعات على العمل والتحرّك بحرّيّة في المحافظات الجنوبية والشرقية، للنفاذ إلى كلّ الجغرافيا الإيرانيّة.

خلال هذه العمليّات، وطّد الحاج قاسم علاقاته بتحالف ثلاثيّ قويّ حكم أفغانستان، بين عامي (١٩٩٢-١٩٩٦)، ويتألّف من:

الجمعية الاسلاميّة الأفغانيّة، التي يغلب عليها العنصر الطاجيكي، ويتزعمها الرئيس الأفغاني الراحل برهان الدين رباني والقائد العسكري المشهور أحمد شاه مسعود، (الذين قتلتهما جماعة القاعدة لاحقاً في عامي ٢٠٠١ و٢٠١١).

الميليشيات الأوزبكيّة، والتي تضمّ معظم المقاتلين الأفغان من الأصول التركيّة، والتي تزعّمها نائب الرئيس الحالي الجنرال عبد الرشيد دوستم.

حزب الوحدة الاسلامية الموالي لأهل البيت (ع)، والذي يرتبط بعلاقات طيّبة بإيران، وتغلب عليه قوميّة الهزارة، ويتزعّمه الشهيد الشيخ عبد العلي مزاري.

الهدف الرئيس للعلاقة بهذه القوى الثلاث كان تأمين الحدود الإيرانية الأفغانيّة، التي تتجاوز ٩٠٠ كيلومتراً، وهو ما جعلها آمنة بشكل كبير حتّى ربيع العام ١٩٩٦، عندما تمكنت جماعة طالبان من دحر هذا الثلاثي عن المناطق المركزية إلى الشمال والشمال الغربي، بدعم باكستانيّ سعوديّ أمريكيّ وبهدف وحيد إقليمياً، وهو تهديد إيران؛ وهنا تجلّت عبقريّة وخبرة الحاج قاسم سليماني في إبعاد خطر داهم عن إيران من خاصرتها الضعيفة، حيث ساهم بشكل رئيس بجمع هذه القوى الثلاث المتضرّرة والمدحورة من طالبان، بتحالف عسكري كبير أُسْمِيَ بتحالف الشمال، كما نفّذ مناورة بارعة ضدّ طالبان عندما حشدت قوّاتها بشكل هجوميّ على الحدود الأفغانية الإيرانيّة فَرَدَّ الحاج قاسم بحشد ٢٠٠ ألف مقاتل إيرانيّ على الحدود، وأرسل عبر وسطاء إلى باكستان راعية طالبان بأن إيران جادّة في ملاحقة طالبان إلى داخل أفغانستان، في حال اعتدت على حرمة الأراضي الإيرانيّة.

نفذت بعض وحدات الحرس والتعبئة العامّة مناورات برّيّةً هجوميّةً واسعة، لإيهام طالبان بأنّ إيران اتّخذت قراراً بعمل حاسم ضدّها، فاستجابت باكستان والسعوديّة والولايات المتّحدة

الأمريكيّة، وأُجبرت طالبان على سحب حشودها بعيداً عن الحدود مع إيران، واستطاع الحاج قاسم بتكتيكاته السياسيّة والعسكريّة البارعة هذه أن يمنع حرباً وشيكة، دون أن تطلق قوّاته طلقة واحدة، ودون أن تُراقَ نقطة دم إيرانيّة أو أفغانيّة واحدة.

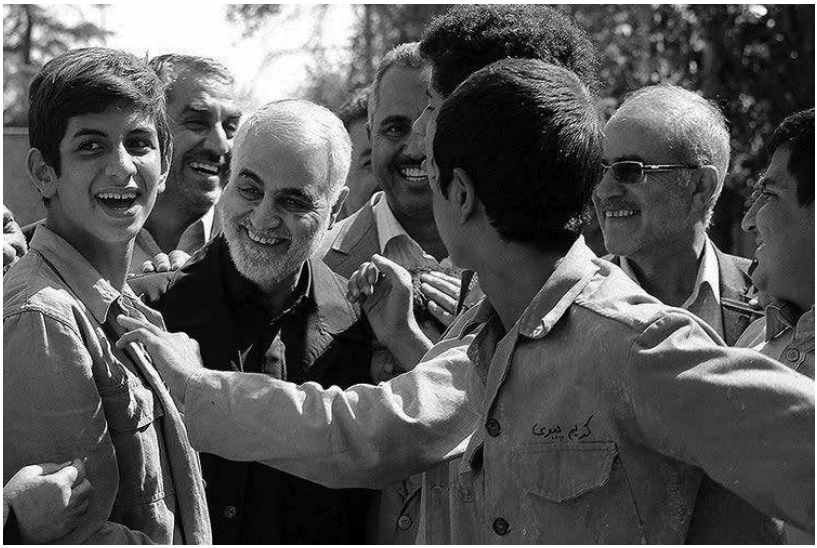

قائد قوة القدس

لم تكن خارطة وقائع تاريخ حياة الحاج قاسم سليماني مجرّد مصادفات، بل كانت خطة ربانيّة صنع فيها هذا العبد الصالح، الذي ذاب في العبوديّة على عين الله، وأكثَرَ مِنْ قَرْعِ باب الجليل بكفّ الجهاد، باب خاصّة الأولياء.

فَثَمّةَ اقترانٌ عجيبٌ بين تاريخ تكليف الإمام السيّد علي الخامنئيّ للّواء قاسم سليماني بحمل راية قوّة القدس يوم الأربعاء الموافق ٧ جمادى الأولى ١٤١٨ هجريّة، (١٠ سبتمبر ١٩٩٧ ميلاديّة)، وبين تاريخ استشهاده ليل الخميس الجمعة الموافق ٧ جمادى الأولى ١٤٤١ هجرية، (٣ كانون ثاني ٢٠٢٠ ميلادية).

كانت قوّة القدس هي خلاصة ٣٠ عاماً من مسيرة برنامج أطلقه الإمام الخميني منذ العام ١٩٦٧، عندما أجاز بِدَفْعِ الخُمْسِ والحقوق الشرعيّة للمقاومة الفلسطينيّة.

وقد طبّقته الثورة الاسلاميّة المباركة تحت قيادة وتوجيهات الإمام الخمينيّ (قده) في يوم انتصارها ب ١١ شباط ١٩٧٩ ميلاديّة، حين احتلّ الثوار المسلمون الإيرانيّون سفارة العدو الصهيونيّ في طهران، بمعركة طاحنة كلّفتهم عشرات الشهداء والجرحى، ونزع الخمينيّون العلم الصهيونيّ عن مبنى السفارة ورفعوا عليها أعلاماً فلسطينية.

في ١٩ شباط ١٩٧٩، أي في الأسبوع الأول لانتصار الثورة، وبعد حضور قيادة المقاومة الفلسطينيّة إلى طهران، كلّف الإمام الخمينيّ (قدس) إبنه وَثِقَتَه الراحل السيد أحمد الخميني، بتمثيله في احتفاليّة شعبيّة ضخمة لتسليم السفارة للقيادة الفلسطينيّة.

جرى في هذه الاحتفالية الحاشدة إحراق العلم الصهيوني ورفع العلم الفلسطينيّ على مبنى السفارة، لتصبح أوّل سفارة فلسطينيّة في العالم وفي التاريخ، منذ احتلال فلسطين عام ١٩٤٨.

في السابع من شهر آب عام ١٩٧٩، المصادف للثالث عشر من شهر رمضان عام هجري ١٣٩٩، دعا مفجّر الثورة الاسلاميّة في ايران الامام الخمينيّ الراحل (طاب ثراه). الى إحياء يوم الجمعة الاخيرة من شهر رمضان المبارك، باعتباره يوماً عالميّاً للقدس العالميّ، ووجه نداءً إلى مسلمي العالم كافّة للتضامن في هذا اليوم العظيم.

وجاء في النداء: «إنّ آخر جمعة من شهر رمضان هو يوم القدس، وقد تقع ليلة القدر في العقد الأخير من شهر رمضان، وهي ليلة يُعتبر إحياؤها سنّة إلهيّة، وتفوق منزلتها ألف شهر؛ وهي ليلةٌ يقرّر فيها مصير العباد، ويجب إحياء يوم القدس الذي يقع بجوار ليلة القدر، ليكون منطلقاً لصحوة المسلمين، حتّى ينطلقوا من سباتهم الذي اكتنفهم عبر التاريخ، خاصّة خلال القرون الأخيرة. وحتّى يكون يوم الصحوة هذا أفضل من عشرات السنوات التي عاشتها القوى الكبرى والمنافقون في العالم، وأن يقرّر مسلمو العالم مصيرهم بأيديهم وبقدراتهم وامكاناتهم».

في ٢٦/١١/١٩٨٠، دعا الإمام الخميني (قده) في بيان تاريخي إلى تشكيل جيش من عشرين مليون مقاتل لتحرير القدس الشريف والدفاع عن الجمهورية الاسلامية

في ١٣ حزيران ١٩٨٢ وفي ذروة الاجتياح الصهيونيّ لحُرْمَة الأراضي اللبنانيّة، أرسلت الجمهوريّة الاسلاميّة واحداً من أقوى ألوية مشاتها التابعة لحرس الثورة الاسلامية، بقيادة نائب القائد العام للحرس السيّد أحمد متوسّليّان، وقائد فرقة «محمد رسول الله (ص)» الشهيد محمد ابراهيم همّت، بهدف حماية لبنان والدفاع عن المقاومة الفلسطينيّة، والمساهمة في تدريب متطوّعين وتأهيلهم لقتال «إسرائيل»، ونزعت هذا اللواء من على الخطّ الأماميّ لجبهة خورّمشَهْر وأرسلته فوراً إلى دمشق بالتوافق مع الحكومة السورية، وقُدّر لهذه البعثة أن تؤسّس نواة حزب الله، ليصبح هذا الحزب لاحقاً أحد أهمّ القوى التي تهدّد وجود «إسرائيل».

لم يكن الحاج قاسم سليماني ببعيد عن فلسطين، التي خبر مظلوميّة شعبها منذ ريعان شبابه، عندما كان في كرمان حدثاً لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، فدرس الحاج قاسم فلسطين بشغف من عدّة مناهل، بدءاً من خطابات ابن مدينة كرمان الشهيد الشيخ محمد جواد باهونار الثوريّة والناريّة عن فلسطين والوحش الصهيوني الجاثم على أراضيها، وتعلّم تحت منبر الشهيد السيّد رضا كامياب عشْقَ القدس والمسجد الأقصى وفلسطين عندما تعرف إلى خارطة الطريق المهدويّة إليها، والتي ستنتهي فيها بإقامة صلاة عظيمة في المسجد الأقصى، يؤمّها الإمام المهديّ (عج)، ويشارك فيها نبيُّ الله عيسى ابن مريم (ع)، وتكون إعلاناً للنصر على قتلة الأنبياء الصهاينة.

وتعرّف الحاج قاسم (الفتى) إلى فتوى مرجعه الإمام الخميني (قده)، التي تجيز صرف الخُمْس والحقوق الشرعية للمقاومين الفلسطينيّين.

ولاحقاً، تعرّف إلى سرّ وَلَعه الفطريّ بالقدس والمسجد الأقصى، عندما خضع للإعداد العقائديّ في مدرسة حرس الثورة الاسلاميّة، وبدأت تتكشّف له معالم الجيوبّوليتيك الإيرانيّ والشرق أوسطيّ وموقع فلسطين والقدس فيه، والأسباب الاستراتيجيّة للحرب الكونيّة التي يخوضها صدّام بالنيابة عن أمريكا الشيطان الأكبر وربيبتها «إسرائيل».

وقد فَقِهَ الحاج قاسم واستكشف في مدرسة الحرس دور هذه المنظومة الحسينيّة المهدوية في دفع الظلم عن هذا العالم، ووجد أنّ طريق القدس هو السبيل الأكيد للتّمهيد لظهور العدل المنتظر قائم آل محمّد (عج).

عام ١٩٩٧م، حمل الحاج قاسم راية القدس، وهو يدرك يقيناً أنّ العناية الإلهيّة هي التي أبقته حيّاً، ليستكمل ما قاتل لأجله عشراتُ الآلاف من الشهداء؛ كانت قوّة القدس التي ترأّسها الحاج قاسم، هي، إرثاً لثلاث منظومات ثوريّة جُمعت في فيلق واحد وهي:

- مشروع تأسيس جيش العشرين مليون.
- ملفّ حركات التحرّر.
- جهاز العمل الخارجيّ في حرس الثورة الاسلاميّة.

خطّط الحاج قاسم لاستراتيجيّة من شُعبتين، تتلخّصُ الأولى ب:

- إعادة هَيْكَلَةِ وتنظيم وبناء حركات التحرُّر ضمن مشروع واحد وهدف واحد، وهو مقارعة أمريكا وإسرائيل في كامل منطقة غرب آسيا، وتأسيس محور للمقاومة يجمع كل هذه البنية الضّخمة (الحرس - حركات المقاومة - حركات التحرّر - الدول المعادية

لأمريكا واسرائيل في الاقليم)، ضمن توزيع الجهد والأدوار حسب واقع وظروف كلّ عنصر من عناصر هذا المحور.

- تحضير البيئة الاستراتيجيّة لهزيمة المنظومة التي تترأّسها الولايات المتحدة الأمريكيّة في المنطقة.

لم يكن الحاج قاسم ببعيد عن حركات المقاومة، فقد كان أحد المساهمين والمخطّطين للمؤتمر الدوليّ الأوّل لدعم الانتفاضة الفلسطينيّة بطهران في تشرين الأوّل عام ١٩٩١، والذي جمع معظم حركات المقاومة اللبنانيّة والفلسطينيّة في طهران، كَرَدٍّ على مؤتمر مدريد الاستسلاميّ الذي عُقد بعد مؤتمر طهران بأسبوعين.

كان مؤتمر دعم الانتفاضة الفلسطينيّة بطهران، بدايةّ العلاقة العضويّة المباشرة بين حركتي المقاومة الاسلاميّة في فلسطين والجهاد الاسلامي في فلسطين وبين الجمهورية الاسلامية.

في ذكريات معظم من شاركوا في هذا المؤتمر كلام كبير عن جنديّي هذا المؤتمر المجهولينْ، الشهيدين القائدين الحاج قاسم سليماني والحاج عماد مغنية، اللَّذَين كانا يتحرّكان، بعيداً عن الإعلام، بين أهمّ حركات المقاومة المسلّحة المشاركة في المؤتمر، ليساهما في صياغة أوراق العمل والبرامج التي خرجت في نهاية المؤتمر، على شكل استراتيجيّة غير مُعْلَنَة للمواجهة لمشروع مدريد الأمريكيّ - الصهيونيّ، لتتولّى الفصائل الفلسطينيّة واللبنانية المسلّحة مهمّة المقاومة والكفاح المسلّح في فلسطين ولبنان .

ولم ينقطع الحاج قاسم عن التواصل بحركات المقاومة في فلسطين ولبنان، رغم انغماسه الشديد بمهمّات قيادة حرس الثورة الاسلاميّة في كرمان.

خطة تحرير

فور تسلُّمه قيادةَ فيلق القدس عام ١٩٩٧م، وضع خطّة خمسيّة، شعارُها تحرير الأرض في لبنان وفلسطين، وتأمين كل الظروف لإنجاح هذه الخطّة، على صعيد الإعداد والتدريب والتطوير والتسليح لحركات المقاومة في لبنان (حزب الله) فلسطين (فصائل المقاومة العشرة) العراق (فيلق بدر). فأنجزت معظم البرامج التأسيسيّة لهذه الخطّة خلال ١٨ شهراً، مع أولوية للبنان وفلسطين، بهدف تصعيد الاشتباك مع العدوّ والانتقال من حالة الدفاع إلى حالة الردع، ثم إلى حالة الهجوم في الخطة الخمسيّة الثانية.

بالتزامن حوّل الحاج قاسم ومن خلال وحدة أسسها الحاج قاسم في فيلق القدس (خاصّة بالعراق)، جيش المتطوّعين العراقيّين اللاجئين في إيران، من كتائب تقاتل ضمن صفوف ألوية وفيالق الحرس الثوري إلى منظّمة عسكرية شبه نظاميّة، أطلق عليها اسم «فيلق بدر»، تم ذلك بشراكة كاملة من قائد أركان ومسؤول عمليات الفيلق، رفيق شهادته الشهيد الحاج أبو مهدي المهندس ، حيث تولى الحرس نقل الخبرة وتأمين كامل متطلبات هذا التحول اللوجستية والادارية والمادية ليصبح فيلق بدر قوة يحسب لها ألف حساب داخل العراق حيث انتقل قسم أساسي من قطاعاتها إلى جنوب وشمال العراق لتنتقل من العمليات المتفرقة إلى خطة عمليات شاملة في الأهوار العمارة والبصرة وصولاً إلى بغداد حيث استطاعت

إحدى مجموعاتها الخاصة الوصول إلى رأس النظام واستهدفت عدي ابن صدام بعملية نوعية تسببت بشلله لفترة طويلة ، وسيكون لفيلق بدر باع طويل في المستقبل بالمقاومة الشرسة للاحتلال الأمريكيّ للعراق، بعد العام ٢٠٠٣ ، كما سيكون له دور رئيسٌ في القضاء على تنظيم داعش في العراق ومحاربة التكفيريّين في معركة الدفاع عن سوريا، بدءاً من العام ٢٠١٢.

في أيار عام ٢٠٠٠م، حقّق حزب الله الجزء المختصَّ بلبنان في خطّة التحرير، وبوقت قياسيّ، حيث أجبر الاحتلال الصهيونيّ على الانسحاب المذلّ من كامل الأراضي اللبنانيّة باستثناء مزارع شبعا.

ممّا مهّد الجوّ الملائم لانطلاق انتفاضة الأقصى بفلسطين في أيلول عام ٢٠٠٠م، وتعاظمت الضربات للعدوّ والعمليّات الاستشهاديّة والنوعيّة ضدّه، حتى أصبح الوضع لا يطاق لجنوده ومستوطنيه. ولم تكد تمرّ ٤ سنين على بدء انتفاضة الأقصى ، حتّى لاح الحلم المستحيل، وهو انسحاب العدوّ للمرّة الأولى في تاريخ الصراع معه، منذ عام ١٩٤٨ ، من أراض فلسطينيّة محتلّة، حيث قام جيش العدو بين عامي ٢٠٠٤م و٢٠٠٥م بتفكيك مستوطناتِه جنوبيَّ غزّة، وانسحب نهائيّاً من قطاع غزة للمرّة الأولى لاحتلاله، بفعل ضربات فصائل المقاومة الفلسطينيّة، وفي مقدّمتها كتائب الشهيد عزّ الدّين القسّام وسرايا القدس وكتائب الشهيد أبو علي مصطفى وكتائب شهداء الأقصى وألوية الناصر صلاح الدين التابعة للجان المقاومة الشعبية، وغيرها من الفصائل المقاومة.

تولّى الحاج قاسم بنفسه، بالتعاون مع الحاج عماد مغنيّة، الأشراف على تأمين كلّ ما يلزم من متطلّبات تدريبيّة وتسليحيّة ونَقْل خبرات وتطوير، ورفع القدرات الفنيّة والعملانيّة لكافّة فصائل المَقاومة في

غزّة وفي الضفة الغربية، التي شهدت شهر نيسان عام ٢٠٠٢م ملحمة بطوليّة في مخيم جنين، حيث قاتلت معظم فصائل المقاومة بمجموعات، (لم يتعدَّ عدد أفرادها المئتين)، ألوية لجيش العدوّ قتالاً استشهاديّاً استمرّ ١٥ يوماً، لم يستطع العدو فيها كسر المقاومة إلّا بعد تدمير وتجريف المخيّم بشكل شبه كامل.

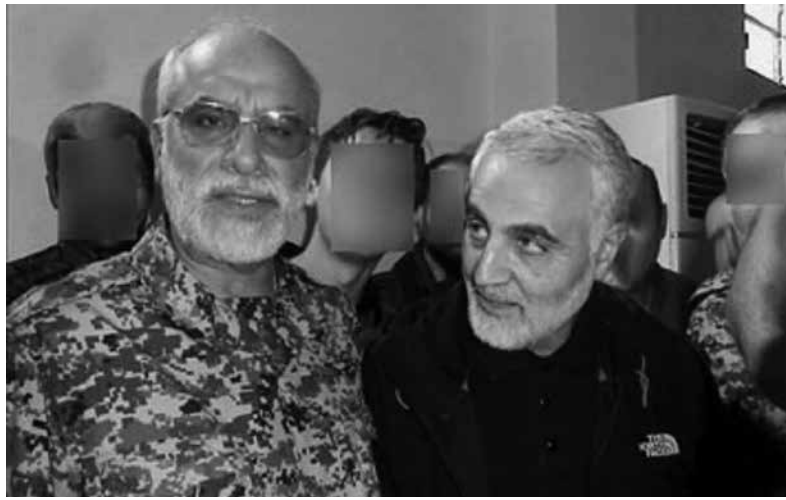

دعهم يأتون إلي سأهزمهم

بين عامي ٢٠٠١م و٢٠٠٣م، قامت الولايات المتّحدة وبريطانيا وبعض دول الناتو باحتلال دولتي أفغانستان والعراق، في محاولة لتطويق إيران، حيث احتشد بين دول الخليج وأفغانستان والعراق أكثر من ٢٠٠ ألف جنديّ، معظمهم أمريكيون.

حشدت الولايات المتحدة ٦٠٪ من قواتها البرّيّة وثلاثة من أساطيلها بمواجهة إيران.

كان التجمُّع الأكبر للقوات الأمريكيّة متجحفلاً في العراق، ونقل عن الحاج قاسم بأنّه عَلّقَ بابتسامة ساخرة على هذه العراضة الأمريكيّة الأطلسيّة، قائلاً: «لقد أتوا إلينا لنهزمهم»، معتبراً أنّ أمريكا رمت بجيشها في الوحل، وأوقعت نفسها في فخّ كبير، وأنّ المستقبل القريب سيشهد على أنّها ارتكبت أعظم أخطائها.

نظّم الحاج قاسم سليماني عمليّة مقاومة أمريكا في العراق، بين عامي ٢٠٠٣م و٢٠١١م.

يوم الأربعاء٩ نيسان ٢٠٠٣ الذكرى السنوية الثالثة والعشرين لإعدام المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس)، استكمل الأمريكيّون احتلالهم لبغداد وتبخّر نظام صدّام.

كان هذا اليوم تاريخاً فارقاً في حياة الحاج قاسم الجهادية، فمن هذا اليوم بدأت مهمّته الثقيلة بطرد الجيشين الأمريكيّ والبريطانيّ

بالقوّة من العراق.

بعدها بيومين في ١١ نيسان، خرج الإمام السيّد علي خامنئيّ، في أوّل صلاة جمعة بعد سقوط بغداد، بخطبة دعا فيها العراقيّين إلى مقاومة الاحتلال.

وبما أنّه رجل يعمل بالتّكليف، كان كلام الإمام الخامنئي بمثابة أمر عمليات للحاج قاسم، كان يدرك جيداً أنّ الأميركيّين أرادوا احتلال العراق لتهديد إيران، لكنه كان يضحك ويستهزئ من هذا التقدير الأمريكيّ الساذج، الذي سيمكّنه من تحويل التهديد إلى فرصة لتمريغ أنوف الأمريكيين بالوحل، ولسان حاله يقول «كنّا نلاحق الأميركيّين في كلّ المنطقة لنضربهم. اليوم، أتوا إلينا بأنفسهم»؛ كان هذا أيضاً لسان حال كل المعنيّين في الجمهوريّة الإسلاميّة. ومع ذلك، فإنّ الواقع لم يكن بهذه البساطة، كان المطلوب إخراج الأميركيّين من العراق، وفي الوقت نفسه، عدم إعطائهم فرصة لتركيب نظام موالٍ يعيد السلطة إلى ديكتاتورية جديدة معادية لإيران ولمصالح دول وشعوب المنطقة، فكانت الاستراتيجيّة التي تعكس ذكاء صنّاع القرار في الجمهوريّة الاسلاميّة هي ببساطة: «ضرب الأميركيّين بنحو لا يسمح لهم بالإحساس بأنّ وضعهم في العراق مستقرّ، ولو ليوم واحد. وفي الوقت نفسه، أخذُ مساحةٍ من الوقت حتّى يكون محورِ المقاومة قد امتلك أوراق التأثير كلها في بلاد الرافدين، وبنى نظاماً يستطيع أن يركن إلى عدم عمالته للغرب». هنا، جاء دور «الحجّي» (اللقب الذي كان يطلقه المقاومون العراقيّون تحبُباً للحاج قاسم)، ضابط إيقاع الاستراتيجيّة الإيرانيّة في العراق وشريكه الخبير الحاج أبو مهدي المهندس أعرف الناس بتفاصيل العراق وبمتطلبات تأسيس مقاومة قوية وخبيرة وجادة وتمتلك

النفس الطويل لطرد الأميركيين بكل ما للكلمة من معنى من كل العراق بدون أي مكتسبات .

ترك الثنائي (الحاج قاسم والحاج أبو مهدي) المجال مفتوحاً أمام التيارات التي فتحت قنوات مع الأميركيّين لبناء النظام الجديد، وعلى وجه الخصوص حزب الدعوة بزعامة إبراهيم الجعفري والمجلس الأعلى بقيادة السيد عبد العزيز الحكيم. وفي الوقت نفسه، أسهما في قيام «جيش المهديّ»، بزعامة السيّد مقتدى الصدر، الذي فتح النيران على الاحتلال، كان هذا الجيش جماهيريّاً، يحتاج إلى عون في التنظيم وكانت عملية استقطاب وتأهيل وتأطير كوادر المقاومة أيام صدام حسين ضمن قواعد العمل السري التي تعتمد أساليب الحرب اللا متماثلة في بعض الجغرافيا العراقية وأساليب حرب العصابات المجدية والمنظمة في مساحات وميادين أخرى ، فكان لا بدّ من تأسيس فصائل أكثر احترافيّة، عرفت في ما بعد بعصائب أهل الحقّ وكتائب حزب الله، التي يؤكّد العارفون أنّها نفّذت القدر الأكبر من العمليات ضدّ الأميركيين، وخاصة العبوات المزروعة على جوانب الطرق والعمليات النوعية ذات التأثير النفسي والمعنوي على الاحتلال الأمريكي وليس سراً الكشف عن أن الفريق الذي عمل في التخطيط والعمليات مع الشريكين الحاج قاسم والحاج أبو مهدي كان يحفظ عن ظهر قلب كل ما يرتبط باستراتيجية الـ (COIN) التي برع فيها واضع خطة احتلال العراق الجنرال دايفيد بترايوس والذي يعتبر من أهم مطوريها ومنظريها كما كان الفريق المساعد ذاته للشريكين الشهيدين سليماني والمهندس من أبرع من طبق الاستراتيجية المضادة لـ (COIN) وإجهاضها. عام ٢٠٠٧م، كان مفصليّاً في المسيرة العراقيّة، كانت الحرب

المذهبيّة تضع أوزارها وكانت الولاية الثانية لجورج بوش قد قاربت نهايتها. وقتها، وبفعل تأثير الحاج قاسم، أدرك الأميركيّون أنّ تحالفهم مع الشيعة لن يدوم طويلاً، فسعوا إلى إعادة التموضع في بلاد الرافدين، عبر إعادة وصل ما انقطع مع السنّة، من طريق قوات الصحوات، التي أنشأها الاحتلال ودرّبها في غرب العراق لمقارعة تنظيم «القاعدة».

في ذاك العام أيضاً، حصل اللقاءان الشهيران في بغداد بين سفيري أميركا وإيران ريان كروكر وحسن كاظمي قمّي برعاية وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري، كان كروكر يعلم، بفعل الحدس طبعاً، أنّ «الجنرال الأسطورة» كان في الغرفة الثانية. في لحظة ما من المفاوضات، قال كروكر لِقُمّي: رجاءً، أبلغه بأنّي مستعدٌّ للاجتماع به مباشرة، هذا يوفّر وقتاً عليّ وعليه. ابتسم قمّي وتابع مناقشاته مع كروكر من دون أي تعليق. لم تكن تلك فقط حادثة الاحتكاك الوحيدة بينه وبين الأميركيّين، ذات مرّة، يقول العارفون إنّ الجنرال ديفيد بترايوس، قائد قوات الاحتلال الأميركي في العراق، طلب، عَبْرَ وساطات، اللّقاء به. جاءه الجواب، عبر الوسطاء أنفسهم، «إليك بالسفير الإيرانيّ، يمكنك إبلاغه ما تشاء». بل أكثر من ذلك، يُروى أنّ الجنرال الإيرانيّ، كان يتلاعب بأعصاب بترايوس، يرسل له، بالواسطة، الرسائل النصّيّة عبر الهاتف، يبلغه بأمور يغيظه فيها. ذات مرّة، كان في المنطقة الخضراء يعقد اجتماعاً، وما إن غادر، حتّى بعث برسالة إلى بترايوس يشير فيها إلى أمور داخل المنطقة الخضراء، بشكل يتأكّد للضابط الأميركي أنّ غريمه يعلم أنّ بترايوس غادرها للتوّ، في لعبة تأثير نفسيّة، يبدو واضحاً أنّها آتت أكلها أكثر من مرّة بين بترايوس وسليماني.

بقيت الحال على ما هي عليه، إلى أن دخل عام ٢٠١١م؛ وقتها، كان على الأميركي الموجوع بفعل ضربات المقاومة أن يرضخ بحسب المعاهدة الأمنيّة الموقّعة مع العراق (سوفا) ومغادرة بلاد الرافدين، في آخر يوم من العام ٢٠١١م.

أدّى الحاج قاسم دوراً محوريّاً في الضغط على الاحتلال، لجعل بقائه في العراق كارثة. وفي الوقت نفسه، ضغط على القوى العراقيّة لضمان ألّا تنزلق إلى موافقة تبقي فيها بضع قواعد عسكريّة أميركيّة في البلاد، كان العمود الصلب خلف رفض بغداد إعطاء الجنود الأميركيّين أيّ حصانة، إن بقي بعضهم في العراق، فكانت النهاية السعيدة بمغادرة الاحتلال ذليلاً دون قيد أو شرط، بل تحت مظلّة أمنيّة عراقية وعين إيرانيّة مراقبة لكي يؤمّن خلفيّته.

لكنّ هذا الاحتلال عاود التسلل عام ٢٠١٣-٢٠١٤م، تحت ستار محاربة داعش، بينما كان الحاج منشغلاً بالدفاع عن سوريا، فثبّت وجوده في عدّة قواعد ومنها قاعدة عين الأسد في الأنبار، التي يعتقد أنّ الطائرة التي اغتالت الحاج قاسم انطلقت منها فجر ٣-١-٢٠٢٠م، والتي نالت أمريكا فيها، بعد خمسة أيّام، الصفعة الأولى من سلسلة الصفعات للردّ على جريمة اغتيال الحاج قاسم والحاج أبو مهدي المهندس.

لغز للغرب وأجهزة اعلامه

ينبعي التنويه إلى أن هذا القسم ينقل اقتباسات ترجمة ما قاله الغربيين عموماً والأميركيين خصوصاً بشكل حرفي دون تدخل.

ففي محاولتها لسبر أغوار شخصيّة قائد «فيلق القدس» الحاج قاسم سليماني وإخراجها من الغموض الذي يحيط بها، لجأت الصحف الغربيّة عموماً، والأميركية خصوصاً إلى إعطاء هذه الشخصيّة صفات أكثر غموضاً: «قائد الظلّ» «فارس الظلام» «العدو اللّدود» أو «إله الانتقام». قد تصبح هذه الألقاب ماركة مسجّلة مع الوقت، ولكنّ ذلك لا يعني بالضرورة أنها تشبه الشخص الذي تتحدّث عنه، فَلَطالما لجأت البروباغندا الأميركية إلى ما يناسبها من أجل الترويج لما يناسبها. الحاج قاسم سليماني الأمس في الصحافة الغربيّة هو نفسه «قاسم سليماني» اليوم، وإن كان ما كُتب عنه منذ الانسحاب الامريكي المذلّ عام ٢٠١١م، ليس بالكمّ الذي نشر خلال الفترة التي تلت قيادته لمعركة القضاء على داعش، بدءاً من منتصف صيف العام ٢٠١٤م، لكنّ محاولة تحليل شخصيّة هذا الرجل «الغامض في الغرب» أوقعت الإعلام الغربي في التكرار والمزيد من الالتباس. بحسب مجلة «فوربس» الأميركيّة، «قاسم سليماني» هو ثاني أقوى وأخطر رجل في العالم لعام ٢٠١١م، وهو «العدوّ اللّدود» وفق صحيفة «ذاغارديان» البريطانيّة في عام ٢٠١١م ومجلّة «نيوزويك» الأميركيّة في عام ٢٠١٤م. وفي تقرير نُشر في صحيفة «نيويورك تايمز» عام ٢٠١٢م أنه «رجل الفوضى

الإيرانيّ في العراق، الذي مازال يغيظ واشنطن». وكَغيرها من وسائل الإعلام الغربيّة، وصفت الصحيفة سليماني بـ«قائد الظلّ»، و«المسؤول عن السياسة الإيرانيّة تجاه جيرانها»؛ كذلك اجتمعت مع غيرها في الإشارة إلى أنه «من أقرب المقرّبين إلى المرشد الأعلى للجمهوريّة الإيرانيّة (السيد) علي خامنئي». وما رُوّج له في عام ٢٠١١م في صحيفة «ذا غارديان» عن أنّ قاسم سليماني يدير السياسة الإيرانيّة في الشرق الأوسط، استرجعته مجلّة «نيويوركر» بطريقة أخرى في تقريرها الشهير والطويل، الذي نشر بعنوان «قائد الظل (The shadow commander)» في أيلول ٢٠١٣م.

نقل مراسل «ذا غارديان» مارتن تشولوف عن رئيس الاستخبارات الأميركيّة السابق ديفيد بترايوس، الذي كان جنرالاً في العراق عام ٢٠٠٨م، أنّ سليماني بعث له برسالة هاتفيّة أوصلها أحد المسؤولين العراقيّين، ليتبيّن له أنّها رسالة إزعاج بعثها «عدوّه اللّدود»، يقول فيها: «جنرال بترايوس، عليك أنّ تعلم أنني، أنا قاسم سليماني، أدير السياسة الإيرانيّة في العراق لبنان غزة وأفغانستان، وطبعاً السفير في بغداد هو عضو في فيلق القدس، والشخص الذي سيخلفه سيكون عضواً في فيلق القدس أيضاً». أمّا في تقرير «نيويوركر»، فقد استند الكاتب ديكتسر فيلكينز إلى أقوال السفير الأميركيّ الأسبق في العراق رايان كروكر، الذي زعم أنّ «تعاوناً إيرانيّاً ـ أميركيّاً» في أفغانستان، لمحاربة حركة «طالبان»، تمّ بإدارة غير مباشرة من قبل سليماني، فيما كان الميدان العراقيّ بقيادة سليماني أيضاً ساحة «لمواجهة أميركيّة – إيرانيّة غير مباشرة»؛ كذلك اعتمد الكاتب على أقوال مسؤولين آخرين، للتطرّق إلى دور قاسم سليماني في رسم السياسة

اللبنانيّة عن طريق «حزب الله»، وأيضاً السياسة السوريّة. سليماني أيضاً، حسب الإعلام الامريكيّ، هو «مصدر رعب وخوف» لمن يعرفه وللمقرّبين منه، وفقاً لما توافقت الوسيلتان الإعلاميّتان على الترويج له، من دون مواربة، قال مارتن تشولوف في تقريره إنّ «وزير أمن الدولة العراقيّ السابق شروان الوائلي يعرف سليماني جيّداً، وقد اتّخذت المحادثة الرسميّة بين ذا غارديان والوائلي منحى مختلفاً ما إن تمّ ذكر اسم سليماني». سأله تشولوف: «متى كانت المرّة الأخيرة التي أتى فيها قاسم سليماني إلى المنطقة الخضراء؟» لترتجف يد الوائلي اليسرى قليلاً وتتجهّم ملامحه، وليجيب: «تقصد السيد قاسم سليماني»، ويعطيه درجة كبيرة من الاحترام، رافضاً الإفصاح عن أيّ معلومات، بحسب تشولوف. لكنّ الشخص الذي يهاب سليماني في تقرير ديكستر فيلكينز هو الرئيس العراقيّ السابق الراحل جلال الطالباني، حيث يؤكّد ديكستر «يستذكر ضابط استخبارات كبير في بغداد زيارته لطالباني في منزله، خلال رحلة قام بها إلى شمال العراق، ويقول إنّه عندما دخل رأى قاسم سليماني جالساً هناك يرتدي قميصاً أسود وسترة سوداء، نظر كلا الرجلين أحدهما إلى الآخر»، بحسب فيلكينز، الذي نقل عن ضابط الاستخبارات نفسه قوله: «كنت أعرف من يكون وهو يعرف من أكون. وعندما تصافحنا، لم يقل شيئاً». مضيفاً «أنا لم أرَ قطّ الطالباني مجاملاً لأحد إلى هذا المدى، لقد كان يشعر بالهيبة». التكرار الذي وقعت فيه الصحف الغربية في إطار وصفها سليماني وصل إلى الألقاب التي أُطلقت عليه، فـ «العدوّ اللّدود»، الذي ورد في «ذا غارديان»، لجأت إليه مجلّة «نيوزويك» لِعَنْوَنَةِ تقرير من المفترض أن يكون عن الدور الذي يلعبه قاسم سليماني في العراق، في «القضاء على داعش بعدما حارب الأميركيّين».

ولكن، رغم صورة سليماني التي ظلّلت التقرير، لم تأتِ الكاتبة جانين دي جيوفاني على ذكره فيه إلا مرتين أو ثلاث، من دون تقديم ما هو جديد عمّا ذُكر في وسائل إعلاميّة أخرى. يبقى أنّ بعض الصحف والمجلّات الغربيّة راحت، مؤخّراً، تحلّل السبب الذي دفع سليماني للخروج إلى الإعلام بعدّة صور له في ساحة المعركة في العراق. وفي تقرير بعنوان «ظهور فارس الظلام»، رأت مجلّة «فورين بوليسي» أنّ ظهور سليماني على الإعلام يكشف الأساليب المختلفة التي تحاول واشنطن وطهران من خلالها توصيف دورها في الحرب ضد «الدولة الإسلاميّة». فبينما تبرز الولايات المتحدة مشاركتها من خلال الضربات والغارات الجوية تحت مظلّة حلف ضعيف، تتّخذ الحكومة الإيرانيّة مقاربة مختلفة تماماً بحسب المجلّة، وهي «تجميل مشاريع منفردة لها في العراق، والقول إنّ إيران، وليست الولايات المتحدة هي التي تستحقّ الثناء لتحقيق الانتصارات الأخيرة مهما كانت مؤقتة».

شريك انتصار تموز 2006

قبيل استشهاده بثلاثة أشهر، عرض عدد من محطات التلفزة مقابلة نادرة لمدّة ٩٠ دقيقة، كانت عبارة عن توثيق الحاج قاسم سليماني الشخصيّ لحرب الثلاثة والثلاثين يوماً على لبنان، بين ١٢ تموز ٢٠٠٦م و١٤ آب ٢٠٠٦م.

تطرّق اللواء قاسم سليماني في أوّل اللقاء إلى شرح تفاصيل، تُذكر للمرّة الأولى، حول حرب تموز، وعدّد أسباب انتصار حزب الله أمام الكيان الصهيوني، وذكر خاطرة حول النهاية الإعجازيّة لهذه المواجهة، روى فيها ما دار في لقاء جون بولتون، مندوب الولايات المتحدة الأمريكية في مجلس الأمن أيّام الحرب، بوزير خارجيّة قطر حينها، حيث نقل له الرسالة التي حمله إيّاها الإسرائيليّون إلى اللقاء، وهي بأنّ الجيش الإسرائيليّ سوف يتلاشى في حال عدم إنهاء الحرب. كما ترد في اللقاء الذي أجراه، (مكتب حفظ ونشر آثار قائد الثورة الإسلاميّة مع قائد قوّة القدس)، قصّة تُنشر للمرّة الأولى حول الجلسة السريّة التي انعقدت بين مسؤولي الجمهوريّة الإسلاميّة والإمام الخامنئي في الأسبوع الأوّل لحرب تمّوز، يذكر فيها الحاج قاسم شهادته حول التقرير الذي قدّمه للإمام الخامنئي وردّة فعل سماحته وتعليقه على هذا التقرير. ولأهمية هذه المقابلة، كوثيقة تاريخيّة، سنستعرضها كما رواها الحاج قاسم:

سؤال: نودّ أن نبدأ حوارنا بتحليل الأسباب التمهيديّة لوقوع حرب الثلاثة والثلاثين يوماً؛ وقعت هذه الحرب بعد مرور ٥ أعوام على التواجد العسكريّ لأمريكا في المنطقة وقيام هذا البلد باحتلال العراق وأفغانستان، ومواجهة أمريكا خيبات عديدةً في العراق، وهذا ما جعل تنفيذ وتحقيق مخطّط أمريكا، بشأن الشرق الأوسط الجديد يواجه مشاكل عديدة لكنّنا رأينا فجأة أنّ ميدان الصّراع تغيّر، وتمّ اختيار لبنان كساحة لتنفيذ هذا المخطّط، واندلعت حرب الثلاثة وثلاثين يوماً. ما هو سبب وقوع هذا الأمر؟

الحاج قاسم: بسم الله الرحمن الرحيم أعزّيكم بمناسبة أيّام عزاء سيّد الشهداء الحسين بن علي، عليه الصلاة والسلام. كانت هناك في قضيّة حرب الـ ٣٣ يوماً عوامل خفيّة، وهي العوامل والأسباب الحقيقيّة للحرب، كان هناك سبب ظاهريٌّ وواضح لكنّه كان ذريعة لأهداف خافية، أراد الكيان الصهيونيّ تمريرها والوصول إليها خلال فترة معينة طبعاً حين أقول كانت هناك أسباب وعوامل خفيّة، فقد كانت لنا معلومات حول استعدادات الكيان الصهيونيّ، لكننا لم تكن لدينا معلومات حول أنّ العدو يريد شنّ هجوم مباغت، وبعد ذلك توصّلنا من موقفين أو قضيّتين إلى هذه النتيجة، وهي أنّه كان المقرر قبل بدء هذه الحرب أن تُشنّ بسرعة وبشكل مباغت، وكان يُفترض القضاء على حزب الله في هذا الهجوم المباغت، وقد وقعت هذه الحرب في ظروف وقع فيها حدثان مهمّان: أحدهما يتعلّق بالمنطقة كلّها، والثاني يتعلق بالكيان الصهيونيّ على وجه الخصوص، في خصوص المنطقة، كانت أمريكا قد حشدت قوّاتها بشكل كبير جدّاً في المنطقة، نتيجةً لحادثة الحادي عشر من سبتمبر، وما يشبه هذا التحشيد يمكن أن نراه في الحرب العالميّة الثانية، طبعاً من الناحية

الكمّيّة فقط، وإلّا فمن الناحية النوعيّة لم يكن لهذا التحشيد نظير، حتى في الحرب العالميّة الثانية.

في سنة ١٩٩١، ونتيجة هجوم صدّام على الكويت، قامت أمريكا بهجومها، وكان لهزيمة صدّام ترسُّباته التسليحيّة في منطقتنا، والذي أدّى إلى تكريس القوّات الأمريكيّة، لكن بعد الحادي عشر من أيلول بسبب الهجومين الكبيرين لأمريكا، دخل ما يقارب أربعون بالمائة من القوّات المسلّحة الأمريكيّة إلى منطقتنا بشكل مباشر. وبعد ذلك، على امتداد الزمن، وبسبب التغييرات التي حصلت، وصل الأمر حتّى إلى القوّات الاحتياطيّة والحرس الوطني. أيّ، يمكن القول، على وجه التقريب، إنّ ستّين بالمائة من الجيش الأمريكيّ، سواء القوّات الداخلية أو القوات الخارجية دخلت إلى منطقتنا وإذن فقد حصل تواجد عسكري ضخم جداً من الناحية الكمّية، حيث كان لهم في العراق فقط ١٥٠ ألف جنديّ، وما يزيد على ثلاثين ألف جنديّ أمريكيّ في أفغانستان، هذا ما عدا قوّات التحالف التي كان عديدها في أفغانستان حوإلى ١٥٠٠٠ مقاتل.

إذن، كانت هناك قوّات من مائتي ألف مقاتل متخصّص ومدرَّب في منطقتنا إلى جوار فلسطين، وهذا التواجد يوفّر، بطبيعة الحال، فرصاً مناسبة للكيان الصهيونيّ، فالتواجد الأمريكيّ في العراق كان يمنع تحرُّك السوريّين في سوريا، وكان تهديداً ضدّ الحكومة السوريّة، ويعدّ، أيضاً، تهديداً ضدّ إيران. وعليه، لو نظرتم لجغرافيا العراق في حربٍ ٢٠٠٦م، أي حرب الـ٣٣ يوماً، لوجدتم أنّ أمريكا أوجدت حاجزاً من ٢٠٠ ألف مقاتل بين البلدين الأساسيّين في محور المقاومة، وبمعونة مئات الطائرات والمروحيات، مضافاً إلى آلاف الأجهزة المدرّعة. ومن الطبيعي أن يمنح هذا الواقع فرصة للكيان

الصهيوني، ليستفيد من هذه الظروف ويقوم بعمل ما، بمعنى أنّ هذا التواجد والهيمنة يفترض أن يكون له تأثيره في إخافة إيران، وفي إخافة وشلّ سورية، بحيث ينبغي أن لا يستطيع هذان النظامان القيام بشيء. تحرّك الكيان الصهيوني على أساس هذا التصوّر، خصوصاً أنّ الحكومة الأمريكيّة آنذاك هي حكومة بوش الإبن، وهي حكومة متشدّدة، حادّة المزاج وسريعة في اتخاذ القرارات، لا سيما الفريق الذي كان يحكم في البيت الأبيض، وهو صديق للكيان الصهيوني. وعليه، وجدوا الفرصة مناسبة للمبادرة إلى مثل هذا الفعل.

إذن، الجذر الأصلي للقضيّة هو انتهاز الكيان الصهيونيّ للتواجد العسكريّ الأمريكيّ في المنطق، وانتهاز فرصة سقوط صدّام، والانتصار الأمريكي الأوّلي في أفغانستان، وأجواء الرعب الثقيلة التي خلقتها أمريكا في المنطقة، حيث اتهمت عدداً كبيراً من الجماعات السياسيّة في المنطقة والعالم بأنّهم جماعات إرهابية فيما إذا عارضوا سياساتها. أراد الكيان الصهيونيّ انتهاز هذه الفرصة، واعتقد أنّ هذه خير فرصة لحرب خاطفة، لأنّه كان قد انهزم سابقاً في عام ٢٠٠٠ ميلادي وانسحب من لبنان، والواقع أنّه هرب من لبنان بعد أن فرض عليه حزب الله الهزيمة ويريد الآن أن يعود ثانيةً لا أن يعود للاحتلال، بل يعود للتدمير والتغيير الديموغرافي في جنوب لبنان، وهذا ما تبيّن لاحقاً في أثناء الحرب. ومع انطلاقتها تقريباً، أساس نيّتهم كانت التغيير الديموغرافي الكامل، بحيث يجري إبعاد القوى الشعبيّة في جنوب لبنان، ممّن لهم علاقاتهم الدينية مع حزب الله من سورية، على غرار ما حصل بعد ١٩٦٧م مع الفلسطينيين في جنوب لبنان. مثل هذا المشروع كانوا يريدونه للشيعة في جنوب لبنان إنّه المشروع السابق الذي مارسوه مع الفلسطينيّين بالضبط،

فرضوا على الفلسطينيّين أن يخرجوا من جنوب لبنان ويعيشوا في مخيمات متعدّدة، في لبنان وسورية وغيرها من بلدان العالم العربيّ بل إنّ عرفات اضطرّ إلى تغيير مقرّه من لبنان إلى تونس والمغرب، والواقع أنّهم يريدون خلق إدارة مشرّدين؛ هذه النيّة نفسها كانت موجودة بشأن شيعة لبنان. لهذا، أعود إلى ما قبل الحرب، ليتّضح هذا الموضوع بالكامل.

كانت هناك عبارتان مهمّتان للأمريكيّين والإسرائيليّين في هذه القضية ،عبّر بوش بألفاظ مبتذلة جدّاً في بداية الحرب، وكانت مكبّرة الصوت شغّالة ولأنّ الكلمة التي قالها هي بمستواه، لذلك لا يمكنني تكرارها، قال تلك الكلمة في تأييد هذا الأمر، ولكن ليس في تأييد الحرب بل في تأييد نتيجة الحرب، والتعبير الآخر الأكثر أدباً ودبلوماسيّة قالته رايس عندما بلغت تلك المذابح والتقتيل والصخب في جنوب لبنان ذروتها، وكان القصف قد بَلَغَ ذروة سَكْرَةِ التكنولوجيا، وكانوا قادرين على قصف وتدمير أيّ مكان يريدونه بفضل الدقّة التكنولوجيّة، ووقعت مذابح جعلت مجزرة قانا في مطاوي النّسيان، استخدمت تلك العبارة، أي أنّها شبّهت تلك الضجّة تشبيهاً سخيفاً، وقالت إنّ هذه هي آلام ولادة الشرق الأوسط الجديد. ضجيج الضحايا تحت الأنقاض والأطفال المظلومين والنساء والأبرياء، شبّهته بألم وعسر ولادة حدث كبير. إذن، كانت في هذه التعابير دلالة على وجود مشروع كبير. أمّا فيما يتعلّق بالكيان الصهيوني، فقد كان أعدّ مخيماً كبيراً وأعدّ، أيضاً، عدداً من السفن، أعدّ مخيماً ليستوعب أكبر قدر ممكن من الناس، كان هناك في البداية، مخيّم في داخل فلسطين يصل مدى استيعابه إلى سقف ثلاثين ألف إنسان، ينقلهم إليه ثمّ يُفرزون في هذا المخيّم بين الناس

العاديّين فينقلونهم إلى بلدان وأماكن أخرى، وبين الذين يعتبرونهم مجرمين أو مرتبطين بمنظّمة حزب الله فيقبضون عليهم، وكانوا قد أعدّوا سفناً للتسفير، لذلك كانت الحرب في تلك المرحلة بدّقة تكنولوجيّة عالية، خلافاً لكلّ الحروب التي تحرق الأخضر واليابس، أي أنّهم أرادوا مهاجمة طائفة بكاملها.

في البداية، حاولوا تبديل القضيّة إلى قضيّة حزب معيّن، أي حزب الله، ثمّ وسّعوا الأمر إلى كلّ الطائفة الشيعيّة في جنوب لبنان، ليستطيعوا تنفيذ هذا التغيير الديموغرافي بالكامل في الجنوب، هذا ما يمكن فهمه عن جذور الحرب في بُعدها الخفيّ، وهو ما اعترفوا به لاحقاً، حيث اعترفوا بأنّهم كانوا يعتزمون، أي إن أولمرت قال ومن بعده وزير دفاعه ورئيس أركان الجيش قالوا كنّا نعتزم، القيام بهذه الحرب بشكل مفاجئ، ولو حصلت تلك المباغتة لكان المفترض أن تتدمّر معظم طرق حزب الله بالهجمات الجوّيّة الواسعة. في المرحلة الأولى، كان يجب أن تصيب الخسائر والأضرار الفادحة ما لا يقلّ عن ثلاثين بالمائة من تنظيم حزب الله، وفي مرحلة لاحقة، كانوا يريدون تدميره على نحو قاطع. لكنّ الأساس هو انتهاز التواجد الأمريكي الواسع في العراق وأفغانستان والمنطقة، ورغبة البلدان العربيّة في دعم إسرائيل في مثل هذه الحرب، وموافقتهم على استئصال جذور حزب الله أو الطائفة الشيعيّة من جنوب لبنان، وهذا ما قاله أولمرت، قال في إحدى كلماته: إنّها المرّة الأولى التي تجتمع فيها كلّ البلدان العربيّة، طبعاً حين يقول كل، فذلك بمعنى الأغلبيّة من البلدان العربية والمراد هنا طبعاً بلدان الخليج الفارسي ومجلس التعاون، لكن الأمر يشمل مصر أيضاً بطبيعية الحال، ولم تكن البلدان الأخرى مستثناة من هذا الأمر، ولكن كان يمكن القول ببعض الاستثناءات في تلك

الفترة، وتعلمون أنّ العراق كان يفتقر للسيادة، فقد كان الحاكم في العراق آنذاك هو بريمر، الحاكم العسكري الأمريكي، وكانت سيادة العراق بيد الأمريكيّين، وكانت الحكومة السوريّة دولة فتيّة شابّة بسبب موت حافظ الأسد، وقد بدأت العمل توّاً، لذلك حين يقولون كل البلدان يقصدون تلك الأغلبية وهكذا قال إنها المرة الأولى التي تجتمع فيها كلّ البلدان العربيّة لتدعم إسرائيل في حربها ضدّ منظمة عربيّة، هذا الذي قاله حقيقيّ وهو تعبير عن واقع مهّم وجادّ.

إذن، ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار ثلاثة أهداف لهذه الحرب: أوّلاً، فرصة التواجد الأمريكيّ وسيادة أمريكا على العراق والرعب والفزع الذي بثّه التواجد الأمريكيّ في المنطقة. ثانياً، استعداد البلدان العربيّة وإعلانها الخفيّ للتعاون مع الكيان الصهيونيّ في حربه لاستئصال حزب الله والتغيير الديموغرافيّ في جنوب لبنان. وثالثاً، الأهداف التي سعى إليها الكيان الصهيونيّ نفسه فيما يخصّ استغلال هذه الفرصة للتخلّص من حزب الله إلى الأبد. شكّلت هذه الأهداف الثلاثة الأهداف الخفيّة التي مثّلت أسباب وجذور الحرب.

سؤال: لقد فصّلتم الأسباب الخفيّة لهذه الحرب بشكل جيّد ماذا كانت ذريعة انطلاق هذه الحرب والأسباب الظاهريّة لها؟

الحاج قاسم: حول الذريعة العلنيّة، كان ظاهُر القضية أنّ حزب الله التزم أمام الشعب اللبناني، كسائر التزاماته أمام الشعب اللبناني، ولم تكن هناك قوّة غير حزب الله تستطيع تنفيذ هذا الالتزام، في تخليص الشباب السجناء اللبنانيين من قبضة الكيان الصهيوني، وقد وَعَدَ السيّد بهذا في إحدى كلماته، بأنّنا سوف نعمل على تحرير

الأسرى اللبنانيّين من قبضة الكيان الصهيوني، كما حصل في الماضي، لم يكن أمام الشعب اللبناني من أمل وملاذ لتحرير الأسرى، سواء كانوا من الدروز أو المسلمين أو المسيحيين سوى حزب الله، لا في الأمس ولا في الحاضر. أي إن حزب الله هو السند الأساسيّ للشعب اللبنانيّ في أيّة حادثة، وللدفاع عن نفسه أمام الحكومة الإسرائيليّة الوحشيّة. هذا تصريح تمّ إطلاقه والتصريح به. وفي عمليات تبادل الأسرى السابقة، لم تفرج إسرائيل عن بعضٍ الشباب الناشئة، الذين طال بهم السجن فأصبحوا، الآن، كهولاً، وعد حزب الله بذلك ولم يتحقّق ذلك في العمليّات الأولى لتبادل الأسرى، أو أنّ إسرائيل لم توافق على تحرير هؤلاء الأسرى. لذلك، بادر حزب الله إلى العمل لتحقيق هذا الوعد الذي قطعه للشعب اللبناني، حتّى يستطيع أن يقوم بتبادل الأسرى نتيجة هذه العمليّات، وقد نجح في ذلك بعدها.

لذلك، على أساس عمليّات خاصّة، ولا أدري أيّ اسم أُطْلِقُ على قائد تلك العمليّات الخاصّة، هل أقول لواء وهذه الكلمة أصبحت شائعة جداً؟ وقد كان هو فوق هذه الكلمة في الأعراف العسكريّة في بلادنا. اليوم، شاعت كلمة «اللواء» و«الأمير»، ولكن الحقّ أنّ الشهيد عماد مغنيّة كان لواءً بالمعنى الحقيقيّ للكلمة، كان لواءً في ساحة الحرب، صفاته أشبه بصفات مالك الأشتر؛ وقلت عند استشهاده لاحقاً، وهذا الكلام ليس في مكانه الآن، [عند استشهاده]، حصلت نفس الحالات والعبارات التي حصلت لسيّدنا أمير المؤمنين عند استشهاد مالك، أي أنّ حالة حزن وهمّ استثنائي استولت على الإمام، حتّى أنه بكى فوق المنبر، وقال: «مَالكٌ وَمَا مَالِكٌ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْداً وَلَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً، لاَ

يَرْتَقِيهِ اَلْحَافِرُ وَلاَ يُوفي عَلَيْهِ اَلطَّائِرُ». ثم قال هذه العبارة المهمّة للغاية، وهي أنّ مالك كان لي كما كنتُ لرسول الله؛ وقد كان الحال نفسه بالنسبة لعماد مغنيّة، أي أن عماد كان، بالنسبة للمقاومة، بمثل هذه المكانة. وقلت إنني لو أردتُ أن أتجاوز هذه الأعراف السائدة عندنا، فيجب أن أشبّهه بمالك في عبارة الإمام أمير المؤمنين عنه، قال «فلتلد النساء حتّى يلدن مثل مالك»[1]. لقد كان عماد مثل هذه الشخصية، لقد كان يتولّى إدارة هذه العمليّة كما تولّى إدارة الكثير من المهمّات والساحات الصعبة، كانت إدارة هذه العمليّات الخاصّة على عاتقه، وكان يشرف عليها ويديرها عن قرب، وقد نجحتْ عمليّاته واستطاع، في داخل الأراضي الفلسطينية المحتلّة، أن يهاجم عربة للكيان الصهيونيّ ويأسر منها شخصين، وهما جريحان، لقد كانت هذه ثلاث عمليّات، ولم تكن عمليّة واحدة، كانت في الواقع ثلاث عمليّات منفصلة خاصّة، أولاً كان أساس التخطيط، وثانياً اجتياز أسلاكاً شائكة مكثّفة جدّاً وعالية وواسعة للكيان الصهيوني، والوصول لأنّ العمليات لم تكن مجرّد ضرب وتدمير، إنما كان ينبغي حصول حالة عبور والذهاب إلى الجانب الآخر والإتيان بأسرى. لذلك، ينبغي العمل بكلّ دقة من أجل عدم مقتل الأشخاص داخل العربة، ثالثاً كان يجب العمل بمنتهى السرعة وخلال دقائق

---

١ قالها أمير المؤمنين حين زاره مشايخ النخع لعزائه بمالك الاشتر وكان، (عليه السلام)، متأسّفاً متلهّفاً على موت الأشتر، ثم قال: «لله درّ مالك! وما مالك؟ لو كان من جبل لكان فنداً، ولو كان من حجر لكان صلداً أما، والله، ليهدّنّ موتك عالماً وليفرحنّ عالماً؛ على مثل مالك فلتبك البواكي، وهل مرجوّ كمالك؟ وهل موجود كمالك؟ وهل قامت النّساء عن مثل مالك؟». أورده أبن أبي الحديد في شرح الحكمة ٤٤٣ من نهج البلاغة، وورد في كتاب الغارات، الجزء الأول، صفحة ٢٦١.

فقط، ولم يكن بالإمكان تطويل الأمر لربع ساعة أو نصف ساعة بل كان الأمر بالدقائق والثواني كان ينبغي العبور بسرعة وقبل أن يصل الأعداء. وعادة ما كانت المسافة الفاصلة بين العدو ونقطة العمليّات عدّة دقائق، هذا عن المسافة البرّيّة، أما المسافة الجوية فهي أسرع من هذا بكثير وكان يمكنه الوصول والاستيلاء على الأسرى والعمليّات؛ الثالثة هي الوصول بهم إلى منطقة آمنة بسرعة وفي مأمن من تهديدات العدو، وقد نجح عماد]في ذلك .

بدأت الحرب بهذه الذريعة، وتمّ شنّ هجمات قاسية على مواقع حزب الله، كيف كانت ردّة فعل حزب الله في لبنان في الساعات والأيّام الأولى؟ خاصّة أنّ إسرائيل كانت قد جعلت أسر حزب الله للجنديّين ذريعة لشنّ هذا الهجوم الوحشي، وهذا ممّا فرض، بطبيعة الحال، ضغوطاً نفسيّة!!

يجب أن نشير إلى نقطتين بسبب أنّ حزب الله مُشْتَبِكٌ مع عدوّ لا يمكن التصالح معه، أي أنّ حزب الله من الناحية العقائديّة والمنطق السياسيّ، لا يمكنه التصالح مع هذا العدوّ، وذلك العدوّ أيضاً لا يريد الصلح مع حزب الله، لذلك، فهذا العداء بين الجانبين عداء مستمرٌّ، وقد كان في ذلك الحين أيضاً عداءً مستمرّاً. لذا فحزب الله جاهز، دائماً وباستمرار، من الناحية الدفاعيّة، هذه نقطة إذن لم يكن حزب الله فارغ البال وغير جاهز، بل كان جاهزاً مستعدّاً، وهذه الجاهزيّة لا علاقة لها بتلك العمليّات، فهذه العمليّات زادت من الجاهزيّة والاستعداد في أبعاد أخرى، وضاعفت من اليقظة والترقُّب، لكن الجاهزيّة كانت موجودة مسبقاً على مستوى القوّات المقاتلة والمعدّات والإمكانيّات، وكذا الحال الآن أيضاً، أي أنّ حزب الله جاهز دائماً بأقصى الدرجات ومائة بالمائة، وليست جاهزيّته من

قبيل الجاهزيّات الأخرى التي يصفونها بأنّها صفراء ثم ترتفع إلى مستوى الاستعداد والجاهزية الحمراء، أو مثلاً الجاهزيّة بنسبة ثلاثين بالمائة ثمّ سبعين بالمائة ثمّ مائة بالمائة، لا، إنما حزب الله جاهز دوماً مائة بالمائة. كان يومذاك في جاهزيّة مائة بالمائة، واليوم أيضاً، جاهزيّته مائة بالمائة، بَيْدَ أنّ نوعيّة هذه الجاهزيّة تختلف من فترة إلى أخرى بسبب الإمكانيّات والقدرات.

النقطة الثانية: هي أنّ أيّة خطوة يريد حزب الله اتّخاذها يتّخذ لها تمهيدات أمنيّة مسبقة، لذلك عندما قرّر حزب الله تنفيذ العمليّات للقبض على الجنديّين الصهيونيّين، من أجل ذلك التبادل المهمّ والمصيري، فقد عمد، أولاً، إلى إيجاد جاهزيّة واستعداد ذاتيّ، وقد كان لهذه الجاهزيّة وضعان اثنان الأول: الجاهزيّة في المواجهة، والثاني الجاهزيّة في تقليل الخسائر. ولهذا، طوال الفترة التي قام بها الكيان الصهيوني بهجماته، وخصوصاً في الساعات الأولى واليوم الأول والأيام الأولى، وكان له طبعاً بنك معلوماته المسبق، وقدّم كلّ معلوماته لقوّته الجويّة، فقصفت على أساس هذه المعلومات التي تحتوي على إحداثيات دقيقة عن مواقع حزب الله ولكن بسبب التدابير المسبقة التي اتخذها حزب الله، نجد أنّه تلقّى أقلّ ما يمكن من الخسائر، سواء في الأفراد أو في المعدّات والتجهيزات، بل ويمكن القول إنّه لم يتضرّر أبداً في اللحظات الأولى. وبعد عشرة أيّام، أعلن الكيان، وفقاً لبنك معلوماته، أنّه توصّل إلى جميع أهدافه، أي أنّه دمّر كلّ الأهداف الموجودة لحزب الله حسب بنك معلوماته، ولكن تبيّن لاحقاً أنّ كلّ ما قام به كان بخلاف المتوقّع والمأمول، وذلك بسبب الخطوات والابتكارات التي قام بها حزب الله قبل البدء بعمليّاته متحسباً لردود أفعال العدو.

هذه إذن النقطة الأولى، أما النقطة الثانية: هي أنّه، في التخمينات المسبقة للحرب وتقدير ردود أفعال الطرف المقابل غالباً، ما لا تؤدي هذه العمليات وردود الأفعال حيالها إلى حرب شاملة كبيرة. ستكون هناك ردود فعل ليوم واحد، فيهاجم الكيان مناطق ونقاطاً معيّنة بشدّة، ثم يوقف الهجوم، ولكن في هذه المرّة بدأ الكيان بتنفيذ كامل لعمليّاته التي خطّط لها مسبقاً، أي أنّ الكيان بدأ بتنفيذ ذلك المشروع الذي خطط له في السرّ، طبعاً، نحن الآن نقول إنه مخطّط سرّيّ، وسوف أقول، لاحقاً في الإيضاحات، إننا توصّلنا بعد أسبوعين تقريباً إلى هذه النتيجة على شكل عقيدة، وسوف أقول لماذا توصّلنا لهذه النتيجة من خلال العقيدة وليس من ناحية معلوماتيّة واستخبارية. في أواخر الحرب تقريباً، توصّلنا إلى أنّ العدو كان له مخطّطه المسبق، وأراد أن يعمل بطريقة مباغتة تماماً، وقد كان جزء كبير من فهمنا هذا عائداً إلى ما أعلنه العدو نفسه، وعليه، فقد تحوّلت العمليّات بأسرع ما يمكن إلى حرب شاملة، كأنّها مخزن عتاد ومتفجرات كبير تفجر بصاعق واحد، وكأنّ ذلك المخطّط والمشروع دخل حيّز التنفيذ دفعة واحدة، وحصل هذا الانفجار الكبير الذي نسمّيه حرب الـ ٣٣ يوماً.

سؤال: أين كنت جنابك خلال أيّام الحرب؟

الحاج قاسم: في اليوم الأوّل لوقوع الحادث عُدْتُ إلى لبنان، لأنني كنتُ هناك قبل يوم واحد من ذلك وعدتُ إلى سورية، ولكن لأنّ كل الطرق كانت عرضة للقصف والهجمات، وخصوصاً الطريق الوحيد الرسميّ للدخول، والذى يُسمّى المصنع، وهو المعبر الحدودي بين لبنان وسورية، حيث كان عرضة لقصف مستمرّ من قبل الطائرات،

ولم تكن الطائرات لتتركه آمناً حتى للحظة واحدة، كان لنا اتّصالنا بالأصدقاء عن طريق خطّ آمن، وجاء عماد إليّ وأخذني من سورية إلى لبنان عن طريق آخر، جزء منها يجب أن نمشيه على الأقدام، وجزء آخر منه بالسيارة. كان التركيز في الحرب، خلال تلك الأيام، لا يزال على البنايات الإداريّة لحزب الله. وفي منطقة الجنوب، غالباً وأحياناً في مناطق في الوسط والشمال، كان الأسبوع الأوّل على وشك الانقضاء وأصرّوا من طهران على أن أحضر لتقديم إيضاحات حول الوضع، فعدتُ عبر طريق فرعيّ وكان سماحة السيّد القائد آنذاك في مشهد، فذهبتُ للقائه في الاجتماع الذي حضره رؤساء السلطات الثلاث والمسؤولون الأساسيّون الأعضاء في مجلس الأمن القوميّ المختصّون غالباً، في الجوانب الأمنيّة والمعلوماتيّة.

قدّمتُ تقريراً عن الأوضاع، وكان تقريراً مرّاً سلبيّاً، أي أنّ مشاهداتي لم يكن فيها أفق للانتصار، وكانت الحرب حرباً مختلفة تماماً، كانت حرباً تقنيّة دقيقة بشدّة، البنايات ذات الإثني عشر طابقاً كانت تسوّى بالأرض بقنبلة واحدة وكان يجري اختيار الأهداف بدقّة في داخل القرى، والمسافات الفاصلة بين القرى قليلة جدّاً، والقرى ملتصقة بعضها ببعض، والتمييز بينها صعب على المدفعيّة؛ ومع ذلك ،كان يجري التمييز بين قرية وقرية، كانت الحرب آنذاك قد انتقلت من استهداف حزب الله إلى استهداف طائفة برمّتها، وكانت هناك قرى شيعيّة وقرى مسيحيّة بجوارها وقرى سنية بجوارها، وكان الأمر مختلفاً تماماً بالنسبة لهذه القرى. ففي مكان ما كان الرجل يجلس مرتاح البال يدخّن النرجيلة، وفي مكان آخر كانت تمطر عليهم آلاف الحمم والرصاص. قدّمت تقريري في ذلك الاجتماع وحان وقت الصلاة، فقاموا إلى الوضوء وقمت أنا

أيضاً لأتوضّأ وتوضّأ السيد القائد، شمّر عن ساعديه وتوضّأ وعاد وأشار لي بيده أن تعال، ذهبتُ إليه، سألني: هل أردت أن تقول لي شيئاً في تقريرك هذا؟، فقلت له: لا، أردت، فقط، إيضاح الواقع. فقال السيّد: فهمتُ هذا، ولكن ألم تُردْ قول شيء آخر؟ فأجبته: لا. صَلّينا وعدنا للاجتماع وانتهى تقريريَ، وبدأ السيّد القائد بالحديث فذكر عدّة نقاط، وقال: إنّ النقاط التي أشار لها فلان حول الحرب صحيحة، فهذه الحرب حرب صعبة وشديدة جدّاً، لكنني أتصوّر أنّ هذه الحرب تشبه حرب الخندق، وقرأ السيّد آيات حرب الأحزاب أو حرب الخندق، وكلاهما حرب واحدة، ووصف حالة المسلمين وأصحاب الرسول والوضع الذي استولى على صفوفهم، ثمّ قال: لكنّني أتصوّر أنّ الانتصار في هذه الحرب سيكون مثل الانتصار في معركة الخندق؛ اهتزّ قلبي لهذا القول لأنّني لم أكن أتصوّر أبداً مثل هذا الشيء من الناحية العسكريّة، تمنّيت في قرارة نفسي أنّه ليت السيّد القائد لم يقل هذا، وهو أنّ النتيجة ستكون انتصاراً على غرار انتصار الرسول الكبير في معركة الأحزاب.

بعد ذلك، أشار إلى نقطتين مهمّتين للغاية: أولاً، قال: وأنا تصوّري وعقيدتي التي أقولها للأصدقاء دائماً، في ضوء تجربتي طوال عشرين عاماً مع السيّد القائد، أنّ نتيجة وثمرة التقوى هي الحكمة التي تجري على لسانه وقلبه وعقله، وهذا ما شاهدته تماماً لدى السيّد القائد تماماً، لذلك فأيّ شيء يشكّك فيه الآن أكون أنا واثقاً أنّ نهاية ذلك الشيء سيكون ملتبساً غير قويم، وأي شيء يتيقّن منه أكون أنا مطمئّناً من أنّه سيكون مفيداً وإيجابيّاً. قال السيّد القائد: إنّني أتصوّر أنّ إسرائيل أعدّت هذا المخطّط مسبقاً، وكانت تريد تنفيذه بشكل مفاجئ ومباغت وتريد مباغتة حزب الله، لكن عمليّة حزب

الله في القبض على الأسيرين أفسدت على إسرائيل مباغتتها، لم تكن لديّ هذه المعلومات، ولم تكن هذه المعلومات متوفّرة للسيّد نصر الله أيضاً، أيٌّ منّا لم تكن لديه مثل هذه المعلومات، بمن في ذلك عماد مغنيّة، لم تكن لدى أيّ واحد منّا هذه المعلومات والمعطيات. حسناً، كانوا على الحدود ويرون، لقد كانت هذه بشرى سارّة جدّاً بالنسبة لي، لأنّها سوف تساعد السيّد نصر الله كثيراً وتريحه، ولم يكن الأمر بهذه الشدّة في بداية الأمر، واشتدّ في النهاية، حيث ازداد عدد الشهداء وحجم الدمار والخسائر، وصرّح السيد نصر الله بعبارات أثّرت فيَّ كثيراً ولا أريد تكرار تلك العبارات، وجدت أنّ تلك العبارات جيّدة جدّاً بالنسبة له، وقد يَشْمَتُ أحدٌ فيقول: لماذا عرّض حزب الله الشيعة كلّهم للخطر من أجل القبض على أسيرين؟ ولكن أن يكون حزب الله قد أنقذ نفسه والشعب اللبنانيّ من الدمار الكامل بالقبض على الأسيرين، فهذه بشارة كبيرة ومهمّة. ونقطة أخرى، قالها السيّد القائد، كان لها طابع معنويٌّ روحيٌّ، قال: قولوا لهم أن يقرأوا دعاء الجوشن الصغير، والمعروف لدى الشيعة هو دعاء الجوشن الكبير. أمّا دعاء الجوشن الصغير فليس معروفاً كثيراً بين عامة الشيعة على الأقل، وقد يختلف الأمر بالنسبة للخواصّ، ثمّ أوضح السيّد القائد بأنّه يجب أن لا نتعجب من هذه التوصية بقراءة دعاء الجوشن الصغير، كما يتعجّب البعض حين يقال له إقرأ سورة الإخلاص أربع مرّات أو سورة الفاتحة. أوضح السيّد القائد أنّ دعاء الجوشن الصغير هذا يمثّل حالة الإنسان المضطر، الإنسان الواقع في حالة اضطرار شديد ويريد التكلّم مع الله، هذه حالة إنسان مضطرّ. في اليوم نفسه، عدتُ إلى طهران مساءً وعدت ثانية إلى سورية.

جئت وعدت من هناك فوراً إلى سورية، لكنّني كُنت أحمل شعوراً طيّباً جدّاً، أي أنّني كنتُ أحمل شيئاً ربّما كان أثمن من أيّ شيء

آخر بالنسبة للسيّد نصر الله، وجاء عماد مرّة أخرى وعدنا في ذلك الطريق، وذهبت إلى السيّد نصر الله ورويتُ له الأمر، وربّما لم يكن أيّ شيء آخر مؤثّراً في معنويّات السيّد نصر الله مثل تلك الكلمات؛ أوّلاً، لديه خصوصيّة لم يصل أيّ واحد منّا إليها بنفس تلك الدرجة، بل أظنّ أنّنا يجب أن نذهب ونتعلّم دروس الولاية منه، لديه إيمان وعقيدة راسخة بكلمات سماحة السيّد القائد، ويعتبرها كلمات إلهيّة غيبيّة. لذلك، يهتمّ اهتماماً شديداً بأيّة كلمة أو عبارة تصدر عن سماحة السيّد القائد، ويعتني بها عناية كبيرة. أوضحتُ له الأمر ففرح كثيراً؛ في البداية، ذاع بين كلّ المجاهدين، بسرعة، قولُ السيّد القائد بأنّ الانتصار في هذه الحرب سيكون مثل الانتصار في معركة الخندق، أي أنّ فيها شدائد وصعوبات كثيرة لكنّها ستنتهي بنصر كبير. انتشر هذا الرأي والبشارة بين المجاهدين، انطلاقاً من الذين كانوا في نقاط التماس المتقدّمة أمام العدو وصولاً إلى سائر صفوف المجاهدين، ثانياً: أضحى التحليل القائل بأنّ العدو أعدّ مشروعاً مسبقاً الأساس لنشاطات السيّد نصر الله في الإيضاح للرأي العام وتنبيه الناس لنوايا العدو. وفي خصوص القضيّة الثالثة: انتشر دعاء الجوشن الصغير انتشاراً كبيراً، وفيه الكثير من المفاهيم العرفانيّة والروحيّة القيّمة، وربما أمكن القول إنّه من أفضل الأدعية في مفاتيح الجنان، ويتضمّن مفاهيم معنويّة عبوديّة كثيرة. انتشر هذا الدعاء انتشاراً كبيراً، وكانت قناة المنار تبثّه باستمرار، وبصوت حسن وحزين جدّاً، وكانوا يقرأونه في الساحة المسيحيّة أيضاً، لأنّ الدعاء دعاء إلهيٌّ عرفانيٌّ لا يختصّ بطائفة دون غيرها، وكلّ من له عبودية لله وتعبُّده لله وإيمانه بالله وبالقدرة الإلهية سيؤثّر فيه هذا الدعاء، وقد أثّر كثيراً؛ وقد أصبح هذا الشيء بداية لانطلاقة جديدة ويتسنّى لي القول: إنّه كان بمثابة دماء جديدة تضخّ

في وجود حزب الله، ليستطيع بأمل أكبر وبثقة بالنفس أكبر أن يواصل المعركة مع العدوّ.

سؤال: هل قمتم، خلال الحرب، بنقل رسالة أخرى من الإمام الخامنئيّ إلى السيّد حسن نصرالله وقادة حزب الله؟

الحاج قاسم: لم أعد حتّى انتهاء الحرب، وبقيت هناك بشكل كامل طوال الـ ٣٣ يوماً. بعد أن انتهت الحرب، عدت من لبنان وشاركتُ في اجتماع شبيه بذلك الاجتماع في مشهد، ولكن في طهران هذه المرّة عند سماحة السيّد القائد، وحضرها كلّ رؤساء السلطات والمسؤولين الكبار، وقدّمتُ تقريراً بما حصل وحدث، وقد نشر جانبٌ منه، إضافة إلى ذلك، كنتُ أبعث تقاريري يوميّاً، عن طريق خطّنا الآمن إلى طهران، ليكونوا في سياق الأحداث والميدان بشكل كامل.

سؤال: ماذا كانت الآراء المحلّيّة، داخل إيران، حول كيفيّة تصدّي الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران وردود فعلها؟ هل كانت هناك آراء مخالفة بين المسؤولين أو أنّ الجميع كانوا مُجمعين على كيفيّة الرّد؟

الحاج قاسم: لا، لم يكن هناك، في تلك الفترة، اختلاف في وجهات النظر أبداً، فالكلّ كانوا مُجمعين على دعم حزب الله دعماً معنويّاً وماديّاً، أي بالأسلحة والمعدّات والإمكانيّات والإعلام وما يندرج ضمن قدرات واستطاعة الجمهورية الإسلامية، لم يكن هناك شخص يشكّك في ذلك داخل النظام، في تلك الفترة على الأقلّ، لأنّني، حين كنتُ هناك، كنتُ أسمع ما يجري، ولم يكن هناك أيُّ

قلق من هذه الناحية، كانت هناك وحدة تامّة في الجمهوريّة الإسلاميّة بخصوص دعم حزب الله والسّعي لانتصار حزب الله، وكانت هناك وحدة كلمة بالمعنى التامّ في الجمهوريّة الإسلاميّة، كان هنالك تعبُّدٌ بخصوص هذا الدعم، والقُطْبُ الأساسي لهذا الدعم هو سماحة السيد القائد. لذلك ،لم يكن هناك أيّ شكٍّ أو ترديدٍ في هذا الشأن، لأنّه كان يصبُّ في مصلحة الجمهوريّة الإسلاميّة ومصلحة الإسلام والعالم الإسلامي، طبعاً قد تكون هناك اختلافات في الآراء حول موضوعات شتّى، ولكن حول موضوع حزب الله، كان هناك، ولا يزال لحدّ الآن، إجماع ووحدة كلمة على كافّة المستويات.

سؤال: قلّما تمّ الحديث حول البُعد العمليّاتي لحرب الثلاثة والثلاثين يوماً، أو أنّ غالبيّة التصريحات والمعلومات كانت حول ظروف الكيان الصهيوني في هذه الحرب. نرغب في أن نسمع منكم تفاصيل حول الاستراتيجيّات التي اتّبعت في عمليّات حزب الله في لبنان، كونكم شاركتم بفاعليّة في ميدان الصّراع.

الحاج قاسم: لا تزال هناك أمور غير مذكورة عن حرب الـ ٣٣ يوماً، وربما كان ذلك لأنّه لم يمض على تلك الحرب سوى ١٣ عاماً، ولا تزال أمامنا سنون طويلة قبل الإفصاح عن جانب من أسرار هذه الحرب وما قام به حزب الله، ممّا لا يزال طيَّ السرِّ والكتمان، لكنّ الجوانب التي يمكن التحدث عنها والمفيدة هي عدّة نقاط مهمّة، ولأسردْ هنا مجموعة من الذكريات: كان لحزب الله غرفة عمليّات في قلب الضاحية، وكانت البنايات المجاورة لها تُقصف باستمرار وتُدمّر في كلّ ليلة، كانت هناك بنايتان أو ثلاث بنايات ضخمة عالية، من ١٢ طابقاً أو ١٣ طابقاً، أقلّ أو أكثر، بل أكثر من هذا؛

غالبا كانت تسوّى بالأرض تماماً. ذات ليلة، عندما كُنّا في غرفة العمليّات وكان جميع مسؤولي إدارة الحرب في تلك الغرفة، ولم تكن غرفة العمليّات تلك تحت الأرض، بل كانت غرفة عمليات عاديّة، لكن فيها بعض أجهزة الاتصالات والارتباط، ليمكن التواصل والارتباط مع مختلف الجهات. شعرتُ، هناك بعد أن قصفوا البنايات المجاورة لنا ودمروها وكان الوقت ليلاً، والساعة حوالي الحادية عشرة مساء، شعرت أنّ خطراً جدّيّاً يهدّد حياة السيّد نصر الله، قرّرتُ أن ننقل السّيد إلى مكان آخر، تشاورنا أنا وعماد ولم يوافق السيّد إلّا بصعوبة على الخروج من غرفة العمليّات، ولم يكن ليخرج من الضاحية، بل الخروج من بناية كُنّا نتصوّرها معرّضة للخطر بسبب التردّد والدخول والخروج إليها ومنها، ولأنّ طائرات MK، أي طائرات الدرون الإسرائيليّة، كانت تُحلّق هناك باستمرار فوق رؤوسنا في الضاحية ثلاثة ثلاثة وترصد بدقّة كلّ التحرُّكات والذهاب والإياب، بما في ذلك سير الدرّاجات الناريّة، وهكذا كانت الضاحية ساكتة تماماً، في الساعة الثانية عشرة ليلاً، وكأنّما لا أحد يسكن هنا في قلب الضاحية، حيث كانت المركز الرّئيس لحزب الله؛ اتّفقنا على الانتقال من هنا إلى بناية أخرى، وانتقلنا ولم تكن هناك مسافة طويلة بين البناية الأولى والثانية عندما انتقلنا. بمجرّد أنّ دخلنا تلك البناية حدثت حالات قصف جديدة وقصفوا أماكن مجاورة لهذه البناية، انتظرنا هناك لأنّنا كان لدينا خَطّ آمن واتّصال ويجب أن لا ينقطع الاتّصال خصوصاً اتّصالات السيّد نصر الله واتصالات عماد، وحدث قصف آخر مجدّداً، ودمّروا جسراً مجاوراً لتلك البناية. شعرنا أنّ هذين القصفَين سوف يعقبهما قصف ثالث وقد يقصفون هذه البناية أيضاً، لم يكن في تلك البناية سوى ثلاثة أشخاص، أنا والسيّد نصر الله وعماد، لذلك، قرّرنا أنّ نخرج

من البناية نحو بناية أخرى، خرجنا، نحن الثلاثة، ولم تكن هناك أيّة سيّارة، وكانت الضاحية مظلمة تماماً والصمت يخيم عليها بالمرّة، لم يكن هناك سوى أصوات طائرات الكيان الصهيونيّ فوق رأس الضاحية، كنت أرتدي بدلة عسكريّة خاصّة مموّهة، خلعت القميص العسكريّ وبقيتُ بالقميص الذي تحتَه وكان قميصاً عادياً مدنيّاً، لكنّ سروالي كان سروالاً عسكريّاً.

قال عماد لي وللسيّد: إجلسا تحت هذه الشجرة وليس تحت ظلها، لأنّ الوقت كان ليلاً ولم يكن لها ظلّ، بل اجلسا تحتها، للحماية من الرصد، مع أنّها لم تكن تحمي من الرصد، لأنّ طائرات MK ذات كاميرات تتحسُّس حرارة جسم الإنسان وتميّزها عن سائر المصادر الحراريّة لأشياء أخرى. لذلك، لم يكن بالإمكان إخفاء شيء، وهذا هو مفهوم النقطة، جلسنا في ذلك المكان وتذكّرت قصّة مُسْلِم، لا لنفسي بل للسيد نصر الله، ذهب عماد ووجد سيارة وعاد بسرعة، وربّما لم يستمرّ الأمر أكثر من دقائق، عاد بسرعة. مهما أردت أن أمدح عماداً أخشى أن تختلّ الجلسة، كما حصل بالأمس، لكنّه كان منقطع النظير، خصوصاً في التخطيط. عندما وصلتنا السيارة، كانت طائرات MK تحلّق فوق رؤوسنا وتركّز علينا، وعندما وصلتنا السيارة، صارت الطائرات تركّز على السيارة، وتعلمون أنّ MK عندما ترسل ذبذباتها فإنّ هذه الصور تنقل إلى تل أبيب ويشاهدون المشاهد والصور في غرف عمليّاتهم، وقد استغرق الأمر وقتاً حتى استطعنا الانتقال، من مخبأ تحت الأرض إلى آخر تحت الأرض. وبعد الانتقال من هذه السيارة إلى شيء لا يمكن ذكره الآن من أجل أن نخدع العدو، ثمّ عدنا حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل إلى غرفة العمليّات مجدّداً.

النقطة المهمة التي كانت هي أنّ هناك تسارعاً كبيراً في الحروب عادة، وبعد أربعين عاماً من العمل العسكري والأمني، يمكنني أنْ أفهم هذا الشيء، هناك تسارع واضطراب كبير في الحروب وكلّ شيء ممكنٌ أن يحصل في اللحظات الأولى، وكان حزب الله في هذه الحرب، وفي كلّ مرحلة منها، يفاجئ العدو بأدوات جديدة وخطوات جديدة ويتركه مذهولاً أي أنّه لم يكن يعلن عن كلّ أدواته دفعة واحدة. لذلك كانت للسيّد نصر الله عبارة تركت العدو في فزع وخوف كبير، كان يتقدّم مرحلة مرحلة، فكانت هناك مرحلة حيفا، ثمّ قال: ستكون هناك مرحلة ما بعد حيفا، وما بعد بعد حيفا تابعوا هذه المراحل بعضها تلو بعض ليفهموا العدوّ، وكانوا يكشفون في كلّ مرحلة عن سلاح جديد، وكانوا يثبتون قدراتهم في كلّ مرحلة من أجل أنْ يهاجموا العدوّ في أعماقه، بما يتناسب وتلك المرحلة. لذلك، ثبت للعدوّ أنْ حزب الله، في ذلك الزمن في ٢٠٠٦، كان بوسعه في مرحلة لاحقة جرّ الحرب إلى مرحلة الخطر والمرحلة الحمراء الخطيرة، التي ما بعدها خطر، أي جرّ الحرب إلى داخل تل أبيب، لقد كانت لدى حزب الله مثل هذه القدرة. لذلك، كانت خطوات حزب الله، إلى جانب أهمّيّتها العسكريّة أهمّيّة نفسية شديدة أيضاً، أي أنه كان يقوم بأعماله العسكريّة ويخلق تحدّيات وصعاباً للعدوّ في كل مرحلة، في منطقة جغرافية معينة من الأراضي الفلسطينية المحتلّة، وأيضاً، كان يصيب العدوّ، من الناحية النفسيّة، بالحيرة والاضطراب الشديد، النقطة الثانية فيما يخصّ الأدوات والمعدّات، هي أنّ العدو كان يتصوّر أنّه قلّل قدرات حزب الله إلى درجة الصفر، بالعمليات الضّخمة التي قام بها، أو أنّه هبط بها إلى أدنى مستوياتها، في كل مرحلة كان يعلن العدوّ فيها أنّ حزب الله لم يعد قادراً على إطلاق صواريخه، ولم يبق شيء من قدراته الصاروخيّة، كان حزب الله، في ذلك اليوم واليوم الذي يليه، يطلق

الصواريخ بأعداد أكبر من اليوم السابق. وإطلاق الصواريخ ليس بالأمر السهل، ففي الأرض التي تمطرها المدفعيّة المتحرّكة الثقيلة من الجوّ بالقنابل، يريد هذا الطرف أن يخرج من ملجئه وينظّم الأهداف ويطلق الصواريخ على الأهداف، بحيث لا تصيبه أضرار وخسائر، ثمّ يعود إلى نقطة الأمان، هذه عمليّة صعبة جداً.

سؤال: ما هي المراحل التي تمّ قطعها، وفي أيّ زمان اكتسب حزب الله هذه الجهوزيّة العالية؟

الحاج قاسم: تَمرُّسُ وخبرة المجاهدين في حزب الله كانت بسبب التدريبات الدّقيقة والمكثّفة التي قاموا بها، منذ سنة ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٦، أي منذ هروب الكيان الصهيونيّ أو هزيمته في جنوب لبنان، بدأت هذه التدريبات بشكل مكثّف لا توقُّفَ فيه حتى ٢٠٠٦، كمشروع أطلقه حزب الله، وأطلق عليه اسم مشروع «سيد الشهداء»، مدير هذا المشروع كان عماد، والمخطّط له أيضاً كان عماد؛ وقد رتّب عماد ترتيبات وتوزيعات دقيقة فيما يخص كيفيّة العمل والتصرُّف، إذا ما حصلت مواجهة مع العدوّ. النقطة الثالثة، هي تكتيك حزب الله الذي كان بخلاف الحروب التقليدية. ففي الحروب التقليدية، هناك ساتر أماميّ، بينما لم يكن في هذه الحرب أيّ ساتر أمامي، إنّما كانت كلّ نقطة فيها ساتراً أماميّاً، كلّ نقطة في هذه الحرب، ومن نقطة التماس على الحدود بين فلسطين المحتلة ولبنان إلى نهر الليطاني على الأقلّ، كل نقطة هناك، وكلّ تلٍّ وكلَّ قريةٍ وكلّ بيتٍ وكلَّ منطقة، كانت خطّاً أماميّاً وساتراً، ولم يكن هذا الساتر ساتراً محسوساً معلوماً، كما هو المألوف في الحروب، وكالتي كانت في حربنا. لا، إنّما كان هناك تكتيك خاصّ ولو أردتُ التشبيه لشبّهت كلّ هذا التكتيك الذي اعتمده حزب الله بحقل ألغام

واسع ذكيّ، لا توجد فيه أيّة نقطة فراغ آمنة. لذلك، لاحظوا أسلوب تحرُّك العدوّ، وسترون أنّ العدوّ عجز عن الدخول إلى بعض القرى الملاصقة للحدود، مثل عيتا الشّعب، وعجز عن الدخول إلى هذه القرى ولم يستطع دخولها، وعجز عن الدخول إلى المدن، وبالتالي، قرّر الذهاب من الوادي الشرقي ليدخل ويتقدّم نحو الليطاني، وكانت تلك، في الحقيقة، نقطة ضعف وانكسار العدوّ.

النقطة المهمّة، هنا في هذه الحرب، هي الضربة التي وجّهها حزب الله والتي كانت تشبه ضربة سيدنا أمير المؤمنين في حرب الخندق، حيث صرع عمرو بن عبد ودّ وقال الرسول «إنّ ضربة عليّ يوم الخندق عادلت عبادة الثقلين الإنس والجن»، لماذا؟ لأنّها أنقذت الإسلام. الضربات التي يخطّط لها حزب الله، بعضها كانت تشلّ بنية كاملة من بنى الكيان الصهيونيّ بشكل مفاجئ، ومن هذه البنى القوّة البحريّة للكيان الصهيونيّ. أنتم تعلمون أنّ الوصول إلى الجنوب كان له طريق مواصلات، وكان هذا الطريق يصل من ضفاف البحر الأبيض المتوسّط إلى صيدا وإلى صور، وبالتالي، إلى الخطوط الأماميّة في الجنوب. في كل الحروب، كان الكيان الصهيونيّ يضع بوارجه في البحر لتغلق هذا الطريق بمدفعيّتها الدقيقة، وهذا ما فعلوه في هذه الحرب أيضاً. خلال الأسبوع الأول، وما لم يكن العدو يتصوّره، واستطاع حزب الله أن يفاجئه به، هو قضيّة الصواريخ البحرية. في ذلك، اليوم كان يريد أن يستخدم الصّواريخ البحريّة لأوّل مرّة، ولم يكن قد استخدمها قبل ذلك اليوم، كانت كلّ الصواريخ سرّيّة ومخفيّة في نقطة سرّيّة، وكانت العمليّة عمليّة صعبة، كان يجب أن يخرج الصاروخ من مخبئه على سيّارة تحمله ويصل إلى نقطة إطلاق مكشوفة؛ وهناك مقابل هذه النقطة ثلاث أو أربع بوارج إسرائيليّة في البحر، هكذا اتّفق السيّد نصر الله مع عماد، فقد أشيع، في ذلك

الحين، أنّ السيّد قد جُرح وسادت حالة من القلق بين الناس في لبنان، وكان على السيّد نصر الله أن يتحدّث إلى ذلك اليوم، كانٍ العدوّ قد حقق تفوّقاً خلال ذلك الأسبوع، ولم نكن قد أنجزنا عملاً مهمّاً ما عدا ردود الأفعال الصاروخيّة، كان ينبغي لهذه العمليّة أن تتمّ. خرج هذا الصاروح عدّة مرّات إلى منصّته وأرادوا الإطلاق، فعرضت مشكلة في الإطلاق، وكان السيّد نصر الله يريد في كلمته أن يعلن عن هذا الإنجاز كمفاجأة، حسب التعبير العربي، كانت هذه عمليّة مهمّة مباغتة.

كنا قد وصلنا إلى نهاية كلمة السيّد نصر الله، كلمة السيد كان يجب أن تسجّل ثمّ، من بعد ذلك، تُبثّ كما لو أنّكم الآن تجلسونٍ في هذه الغرفة وتسّجلون كلامي ثمّ تحذفون جزءاً منه وتبثّون جزءاً منه أو تعرضونه عليّ لاحقاً، فأحذف، أنا، جزءاً منه، كان ينبغي تنظيم كلمة السيّد نصر الله في الغرفة، كانت هناك غرفة جانبيّة، وكنّا نجلس معاً مع عماد وأح آخر، كان الاشتباك متواصلاً وهذا الصاروح لم يطلق بعد، ووصلت إلى نهاية كلمة السيّد، وكان يريد أن يقول والسلام عليكم ورحمة الله. وحين وصل إلى هذه النقطة، وقبل أن يلهج السيّد بهذه العبارة، تمّ إطلاق الصاروح، تمّ إطلاق الصاروح وسرعته ما فوق سرعة الصوت، فأصاب الهدف بسرعة، لذلك، قال السيّد نصر الله في نهاية كلمته، وفيما يشبه البيان الغيبيّ وكأنّه يرى المشهد، قال: وترون، الآن، أمامكم البارجة الحربيّة الإسرائيليّة وهي تحترق. وصادف كلام السيّد هذا لحظة إصابة الصاروح للهدف، ولهذا الأمر، بحدّ ذاته، فلسفته التي ربما لا تكون مقبولة كثيراً في الأوساط العامّة، ولكن، من باب أن الله طابق بين كلام السيّد وهذه الضربة، فقد أصابت هذه الضربة البارجة بكلّ

دقّة، والحال أن هذه البوارج لديها قابليّات تشويش وتضليل ويمكن تحريف مسار الصاروخ، ولديها مضادّات للصّواريخ يمكنها ضرب الصاروخ قبل أن يصل إليها، لكنّ الصاروخ أصابها وشَطَرَ البارجة شطرين، وكان ذلك خلاصاً من القوّة البحريّة للكيان الصهيونيّ إلى نهاية الحرب، حيث لم تُشاهَد قطعاته البحريّة، ولم يُشاهَد أنّ القوّة البحريّة للكيان الصهيونيّ كلّها تخرج من الساحة بصاروخ واحد.

طبعاً، هذا شيء، يقبل التحليل والنقاش، ويمكن التحدُّثُ عنه طويلاً؛ ومن جوانب الحديث قدرات الكيان الصهيونيّ، أساساً، فالكيان الذي تخرج قوّته البحريّة من الساحة بصاروخ واحد، يتّضح أنّه مهما كان لديه من البوارج، إذا خرجت قوّته البحريّة من الساحة بصاروخ واحد، هذه المرّة، فسوف تخرج في المرّات التالية بصاروخين أو ثلاثة. وإذا خرجت في المرّة السابقة بصاروخ، مداه مائة كيلومتر، فسوف تخرج حتماً في المرة القادمة بصاروخ مداه ثلاثمائة كيلومتر وكانت تلك معجزة وانتصاراً كبيراً جدّاً، والناس الذين كانوا في تلك الفترة إمّا مشرّدين أو معرّضين للقصف صرخوا وهم تحت القصف بنداءات التكبير، وأطلقوا العيارات الناريّة في الهواء من شدّة الفرح، كانت هذه مباغتة ومفاجأة أخرى، قام بها حزب الله وغيّر المعادلة، ولم يستطع الكيان الصهيونيّ تعويض وإرجاع هذه المعادلة إلى أنْ جاء نحو سهل الخيام ونحو الليطاني، يومي الثامن والعشرين والسابع والعشرين، كانا يومين صعبين عسيرين، كنت قد انفصلت عن عماد، بعدما كنا في مكان واحد، وكان السيّد نصر الله في مكان آخر، كانت لنا اجتماعاتنا في الليل، كنّا نوصل أنفسنا إلى السيّد بطريقة خاصّة ونلتقي به، وكان عماد يقدّم تقريراً كاملاً عن ميدان القتال، وكان يتلقّى التدابير التي يقدّمها السيّد نصر الله

أيّام العشرين إلى الثامن والعشرين، كانت أياماً صعبة جدّاً وثقيلة وعسيرة، يمكن القول إنّها كانت من أصعب الأيّام طوال هذه الثلاثة والثلاثين يوماً. وبعض الأمور لم يَحِنْ وقتُ التصريح بها بعد، فيما يخصّ أحوال السيّد والمجاهدين، قام عماد بمبادرة مهمّة كان لها تأثيرها البالغ. ولو أردنا قياس تأثيرها، لأمكن مقارنتُها بالرسالة والوعد الذي أطلقه السيّد القائد، كانت مهمّة إلى هذه الدرجة، والمبادرة هي الرسالة التي وجّهها المجاهدون المحاصرون في الخطوط الأماميّة لمواجهة العدو وهم تحت النيران، يخاطبون بها السيّد نصر الله، كانت رسالة عجيبة. عندما قرأتُ الرسالة كان عماد يجهش بالبكاء بحرقة وصوت عالٍ، وهو المخطّط لهذه المبادرة، ولم أجد من يسمع هذا الصوت الذي يقرأ الرسالة ولا يبكي، والأهمّ من كلّ هذا جواب السيّد نصر الله. ولو أردنا التشبيه، ربما أمكن تشبيه الأمر بالأشعار التي أنشدها أصحابُ الإمام الحسين في كربلاء وهم أمام جيش العدو في الدفاع عن الإمام الحسين، وكلام السيد في الصّمود وفي تثمين وتقديس أعمال أصحابه والمجاهدين يشبه كلام الإمام الحسين في ليلة عاشوراء. هذان الكلامان اللذان ترك كلّ واحدٍ منهما تأثيراً عظيماً وكانا كلاماً إلهياً حقّاً، هذه البيانات والكتاباتٍ من قبل المقاتلين المجاهدين من الساحة وجواب السيّد لهم ترك تأثيرات هائلة وأمدّ الجميع بطاقة كبيرة.

لكنّ الأمر انعكس منذ اليوم الثامن والعشرين. هنا، يجب أن أشير إلى نقطة، لقد كانت لدينا الكثير من هذه المشاهد والأحداث في ملحمة الدفاع المقدّس والحرب المفروضة، وكنت أقول دائماً إنّها من مؤشرات أحقّيّتنا في الحرب، كانت معنويات المقاتلين وروحيّتهم عالية جدّاً، بما يشبه السير والسلوك وارتفاع الحجب،

كانوا يقولون أشياء وراء الحجب والأستار. ذات مرة، كُنّا في شلامجه وأردنا القيام بعمليات، قبل عمليّات كربلاء الخامسة، ربّما قبل عام ونصف منها. ولأجل أن لا يكشف العدوّ أمرنا، عَيّنّا قوات استخباريةً لعمليّاتنا، وكان الماء أمامنا، وفي ذلك اليوم، ذهب اثنان من شبابنا، وهما صادقي وموسائي پّور، للاستطلاع فلم يعودا وكان لدينا أحٌ ذو طباع عرفانيّة شديدة، كان حَدَثَ السّنّ وطالب مدرسة، لكنّه عارف الروح بدرجة كبيرة، أي أنّه، ربّما كان، نادر النظير في العرفان العمليّ، كان قد وصل إلى مرتبة لا يصلها عظماء العرفان إلى بعد سبعين أو ثمانين عاماً، لكنّه وصل إليها؛ اتّصل بي وقال: تعال، فذهبتُ، آنذاك، كانت الاتصالات بلاسلكي راكال، وكنتُ في الأهواز. عندما اتّصل ذهبت إلى هناك، فقال: ذهب أكبر موسائي پّور وصادقي وعُدّتُ أنا فانزعجت كثيراً وقلت أخذ العدو منّا أسرى، حتى قبل أن نبدأ انكشفت هذه العمليّات، وقد قلت هذا الكلام بغضب.

بقيتُ، تلك الليلة، هناك، ثمّ عُدْتُ وكانت لنا جبهات متعدّدة واتّصل بي مرّة أخرى بعد يومين، وقال: تعال، فذهبت. قال لي: إنّ أكبر موسائي پّور سوف يعود وكان اسمه حسيناً، فقلت له: حسين، استخدمتَ كلمة يجب أن لا أذكرها الآن، قال: حسين، فتبسم ابتسامة خفيفة على طرف شفتيه لا تزال مزروعة في عينيّ، قال حسين ابنُ غلام حسين هو الذي يقول هذا، كان اسم أبيه غلام حسين، وكان أستاذ ثانويّة محترماً جدّاً، ووالدته أيضاً كانت أستاذة ثانويّة، وأبوه أيضاً كان ابن أساتذة ومعلّمين، من طرف الأب والأم، بل كان معلّماً وهو في سنّ الحداثة، حين كانوا يقولون السيّد حسين لم يكن هناك أكثر من سيّد حسين واحد، وربما

كان هناك المئات أسماؤهم حسين، ولكن هذا فقط كانوا ينادونه السيّد حسين. قلت: ما الخبر؟ قال: غداً سيعود أكبر موسائي پّور ويعود بعده صادقي، فقلت له: من أين علمت هذا؟ قال: ما عليك إلّا أن تبقى هنا، فبقيت. وحوالي الساعة الواحدة ظهراً، كانت لدينا كاميرا، كنّا نسمّيها أرنبيّة ونلّفها بالأكياس ونضعها على برج القلعة، وكان الإخوة في الاستخبارات والمعلومات خلف الكاميرا، فقالوا نرى شيئاً أسود على الماء، فصعدتُ إليهم ووجدتُ الأمر كما قالوا، هناك شيء أسودُ مُمَدَّدٌ على الماء، وذهب الشباب داخل الماء فوجدوا أنّه أكبر، أكبر موسائي پّور. وفي اليوم التالي، جاء حسين صادقي، وكان هذا أمراً عجيباً، فالماء، بكلّ تلاطمه وصخبه، كان عجيباً أن يعود بهما، من نقطة انطلاقهما في الخندق إلى النقطة نفسها، كلاهما كان قد استُشهد، استُشهدا في الماء وعاد بهما الماء إلى النقطة نفسها، كان ذلك شيئاً عجيباً جدّاً. قلت لحسين: حسين، كيف علمت هذا؟ قال: رأيت ليلة البارحة في الحلم أكبر موسائي پّور، فقال لي: حسين إنّنا لم نقع في الأسر، بل استُشْهِدنا، وسوف أعود غداً، في الساعة الفلانيّة، ويعود صادقي في اليوم التالي، ثمّ قال لي، وهذه جملة مهمّة للغاية: قال: أتدري لماذا تحدّث موسائي پّور معي؟ -كان من شباب سيرجان- ولم يتحدّث صادقي؟، قلت: لا، قال: لأنّ أكبر موسائي پّور كانت له فضيلتان اثنتان: الأولى أنّه كان متزوجاً، والثانية أنّه لم يترك صلاة الليل حتى وهو في الماء، هاتان فضيلتاه فجاء هو وأخبرني. بعد ذلك استشهد حسين.

أريد أن أعود إلى هذه النقطة، وهي أنّه في ذلك الوضع العسير الصّعب، قال أحد الإخوة من حزب الله، وكان متديّناً ومتشرّعاً ومسؤولاً في جنوب لبنان، قال إنّني في حالة، لم تكن حالة نوم،

رأيت سيّدة تأتي، وإلى جوارها سيدتان اثنتان، وشعرت في تلك الحالة من الرّؤيا أنّها السيدة الزهراء، سلام الله عليها، فأسرعت إلى قدميها المباركتين، يقول: قلت لها، بالعربية، أترين كيف هو حالنا ووضعنا، أترين أي وضع وضعنا؟ قالت السيّدة: سوف يصلح الأمر، فقلت لها: لا، وكأنّني كنت مصرّاً على أن أصل إلى قدميها، وكنت مصرّاً على أن آخذ منها شيئاً. وبعد الإصرار، قالت إنّ الأمر سوف يصلح، وأخرجت منديلاً من غطاء وجهها وهزّتْهُ هكذا، وقالت: انتهى الأمر. وبعد لحظة، تمّت إصابة مروحيّة إسرائيليّة بصاروخ، ومن بعد ذلك، بدأ العدّ التنازلي للكيان الصهيونيّ واندحاره. أي أنّ إصابة دبّاباته بدأت، ومنذ ذلك الحين تغيّرت المعادلة، وظهرت معادلة جديدة، وكشف الستار لأوّل مرّة في هذه الحرب عن صواريخ كورنيت، وأصيبت أوّل دبّابات ابرامس، عفواً دبّابات ميركافا الإسرائيليّة التي لم تستهدف لحدِّ الآن، بهذا الشكل، وتمّ تدمير حوالي سبع دبّابات في يوم واحد.

سؤال: كيف انتهت الحرب؟

الحاج قاسم: في ذلك الحين، كان السيّد حمد بن خليفة آل ثاني رئيساً للوزراء- كان رئيس وزراء حكومة قطر ووزيراً للخارجيّة، وكان يتوسّط ويأتي إلى لبنان ويذهب، وقد روى هو لاحقاً، فقال: في تلك الأيّام، لم يكونوا يسمحون أبداً بالنقاش، والكلام حول إيقاف الحرب، وكان هو في منظّمة الأمم المتّحدة، يقول: يئستُ وذهبتُ إلى بيتي لأستريح، وإذا بي أجدُ جون بولتون، الخبيث، يبحث عنّي مضطرباً، متسرّعاً، قلقاً، ويقول: أي أنت؟ فقلت له: هل حدث جديد؟ قال: لنذهب إلى منظّمة الأمم المتّحدة، فذهبنا،

وإذا بي أجد سفير إسرائيل في منظّمة الأمم المتحدة يتمشّى قلقاً ومضطرباً جدّاً، قال، كلاهما، لي: الآن، يجب إيقاف هذه الحرب، فقلت: لماذا؟ قالا: إذا لم تتوقّف الحرب فإنّ جيش إسرائيل سوف يتدمّر ويتلاشى، لذلك، تنازلوا عن كل شروطهم السابقة وتجاوزوها واضطرّوا للموافقة على شروط حزب الله وقبول وقف إطلاق النّار، وتحقّق، هذا الانتصار الكبير لحزب الله.

ولم يكن ذلك مجرّد انتصار، بل كان نقطةَ عطفٍ أنهتْ احتمالات وتصوّرات هجوم الكيان الصهيوني بعد ذلك على لبنان، ولا تزال هذه المعادلة قائمة إلى اليوم، وأعتقد أنّها معادلة لا يمكن أن تزول بسهولة، ولم يكن حزب الله قد ترك هذا التأثير على الكيان الصهيوني بحيث لا يفكر في الهجوم على لبنان، بل جعله لا يفكر بأيّ هجوم؛ وأقول لكم: إنّه بعد حرب الـ ٣٣ يوماً، تغيّرت استراتيجيّة بن غوريون في الحرب الاستباقيّة والهجوميّة، أو استراتيجيّة الهجوم لدى الكيان الصهيونيّ، رويداً رويداً، إلى مجرّد استراتيجيّة دفاعيّة، وقد رأيتم، في الحدث الذي وقع قبل أسابيع، حيث هدّد حزب الله بضرب الكيان الصهيونيّ والانتقام للشهيدين، كيف أنّ الكيان الصهيونيّ هرب ثلاثة إلى خمسة كيلومترات عن نقطة الصفر الحدوديّة إلى العمق، إلى درجة أنّ مراسل «الميادين» ذهب إلى جوار الأسلاك الشائكة، وقال: إنّني أتحدّث إليكم من فلسطين المحتلة، هذا هو تأثير حرب الـ ٣٣ يوماً.

سؤال: نعيش اليوم ذكرى أيّام الحرب المفروضة على إيران، كيف ارتبطت ثقافة وأدبيّات الحرب المفروضة بجبهة المقاومة في المنطقة وحافظت على استمرارها؟

الحاج قاسم: في خصوص ملحمة الدفاع المقدّس، إذا عُدْنا

إلى مسار الأحداث في صدر الإسلام، لوجدنا أنّ الإمام أمير المؤمنين كان يقتدي برسول الله عندما كان يعظ وعندما كان يكتب الرسائل وعندما كان يلقي الخطب، كانت قدوته الأساسيّة، زمن الرسول وعمل الرسول وسيرة الرسول، وعندما أراد سيّد الشهداء الاقتداء، جعل قدوتَه الإمامَ أميرَ المؤمنين كشاهد عينيّ، ولكونه الشخصَ الأقربَ إلى سيرة رسول الله، والذي عبّر عملياً عن هذه السيرة وطبّقها وجعلها أساساً لأعماله، وهذا هو الحال بالنسبة لدفاعنا المقدّس، هذا هو نوع العلاقة بين الدفاع المقدّس وسائر ملاحم الدفاع المقدّس الأخرى، فهو، بالنسبة لها، بمثابة الأمّ والمحور والأساس المقدّس، لا أستطيع القول إذا لم يكن الدفاع المقدّس لما كان هناك شيء، لكن ما حصل في الدفاع المقدّس، من أحوال ومظاهر معنويّة، كان بأرقى المدارج والإعلام الدينيّ، برز هناك بأرقى المراتب والحالات العقائديّة والعباديّة، كانت بأعلى أشكالها، ومن دون ذرّة تحريف، الإيثار والجهاد والشهادة كانت بأرقى صورها، وحتّى الإدارة والعلاقة بين المدير والمرؤوسين، لو أردنا تشبيهها ومقارنتها فهي ممكنة المقارنة بأندر المشاهد في صدر الإسلام. وعليه، فالدّفاع المقدس كان هو القمّة الأعلى في كلّ المجالات والموضوعات، تلك كانت سلسلة الجبال وهذه هي القمّة، قمّة دماوند هي النقطة المرتفعة الأساسيّة في سلسلة جبال أَلْبُرْز، إنّها القمّة الأكثر ارتفاعاً في أَلْبُرْز، وطول هذه السلسلة من الجبال ألف كيلومتر، لكن القمّة المعروفة فيها هي دماوند، ودفاعنا المقدّس، بالمقارنة مع سائر حالات الدفاع، يشبه قمّة دماوند في سلسلة جبال أَلْبُرْز، إنّها الأكثر ارتفاعاً من كلّ القمم الأخرى التي تُعَدُّ سفوحاً لها، هذا ما يمكن قوله إذا أردنا التشبيه.

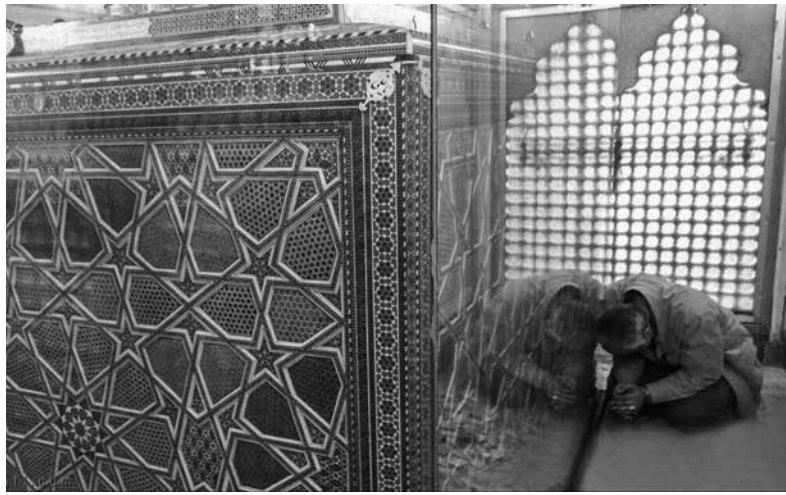

حارس زينب (ع) والمقام

ظهر يوم الأربعاء ١٨-٧-٢٠١٢م، فَجّرَ انتحاريٌّ نفسه في اجتماع أمنيّ وعسكريّ سوريّ رفيع، كان يُعْقَدُ في مبنى الأمن الوطنيّ السوريّ بِحَيّ الروضة بدمشق، استشهد فيه كلّ من:

- وزير الدفاع السوري العماد داوود راجحة
- رئيس خليّة الأزمة العماد حسن توركماني
- مسؤول المخابرات العسكريّة ونائب رئيس الأركان في الجيش العربيّ السوريّ اللّواء آصف شوكت
- ورئيس مجلس الأمن القوميّ هشام بختيار

وتم تأكيد إصابة وزير الداخليّة اللّواء محمّد الشّعار بجروحٍ حرجة.

كانت هذه العمليّة الاستخباراتيّة الكبيرة التي ثَبَتَ ضلوعُ الاستخبارات الامريكيّة والسعوديّة والقطريّة فيها، إيذاناً بانطلاق آلاف المسلّحين، ليل الاربعاء الخميس ١٨-١٩-تموز ٢٠١٢م، من الغوطتين الشرقيّة والغربيّة ومن أحياء في قلب دمشق، لإسقاط العاصمة السوريّة، وحتّى تاريخ ٢٢ تموز ٢٠١٢م، تمكّن المعتدون من السيطرة على معظم أطراف جنوبيّ دمشق ومناطق واسعة في الغوطتين الشرقيّة والغربيّة. وفي وقت متزامن تقريباً، تحرّكت مجموعات في ريف دمشق الغربي، لتحاول تهديد الشريان الرئيس

الذي يربط العاصمة السورية بلبنان وبمحافظات بحمص وطرطوس واللاذقية وحلب السورية .

كانت المجموعات المسلّحة المهاجمة بجنوب العاصمة، من أحياء الحجيّرة والذيابيّة والحجر الأسود وعَقْرَبا والقدَم والعسالي، قد بدأت تهدّد، فعليّاً، مقام السيّدة زينب (ع) واستُهْدِفَ المُصَلّى وموقف الباصات الملحق بالمقام بعمليّة انتحاريّة، بشاحنة مفخّخة، وبدأ رصاص المسلّحين وقذائفُهم تطال قبّة وحَرَمَ المقام المُطَهَّر، فيما كانت بعض مجموعاتهم أصبحت على بعد ١٥٠ متراً من المقام، من ثلاث جهات.

باتت آلاف العائلات العراقيّة والأفغانيّة والسوريّة المُهَجَّرة، في منطقة السيدة زينب (ع)، عُرضةً لكارثة، وتحت خطر التعرّض لمذبحة رهيبة من العناصر التكفيريّة، التي كانت تطلق شعارات طائفيّة ويهدّد قادتها بجرف مقام السيّدة زينب (ع) ونَسْفِهِ من الوجود.

تمكّن الجيش العربيّ السوريّ وعناصر متطوّعة، من سكّان الأحياء التي استهدفت بالهجمات، من كبح جماح المسلّحين، إلّا أنّ الوضع العسكريّ في محافظتي دمشق وريف دمشق أصبح صعباً جدّاً، وأصبحت الأولويّة المُلِحّة هي تنظيم الدفاع عن دمشق.

تدارست القيادتان السوريّة والإيرانيّة وقيادة حزب الله الأمر، وخلص التقدير إلى الاتّفاق على قرار الدفاع عن دمشق مهما كلّف الأمر وبلغ الثمن والتضحيات، وتمّ تكليف الحاج قاسم بمهمّة تنظيم الدفاع عن دمشق وعن حرم السيّدة زينب (ع)، والاستعانة بمن يلزم، فاختار تشكيلة عسكريّة مكوّنة من الحرس الثوري وحزب الله اللبنانيّ والعراقيّ وفصائل من المقاومة العراقيّة والأفغانيّة لتنفيذ

العمليّة، التي بدأت منتصف الصيف وامتدّت لسبع سنوات على جميع مساحة سوريا.

أجرى فريق عمل الحاج قاسم تحليلاً ودراسة لنوع العدوّ الجديد واستعداده وانتشاره وتركيبه وأساليب قتاله، وخلص إلى النتائج التالية:

بدراسة الجماعات المسلّحة في سوريا، تبيّن أنّ (٦ أو ٧) من هذه الجماعات تشكّل نسبة ٨٥٪ من مجموع الجماعات المسلّحة العاملة في سوريا، وتتميّز بالعناصر التالية:

١- اتّساع الانتشار الجغرافيّ.

٢- التمتُّع باستعداد يكاد يصل الى استعداد جيوش، حيث تمتلك (الدبّابات - القوّة الصاروخيّة والمدفعيّة المتعدّدة العيارات - الوسائل الاتصاليّة المتطورة - غرف العمليّات الحديثة - الاسلحة المتنوّعة (الثقيلة - المتوسّطة - الخفيفة) - وسائل النقل واللوجستيك المتنوّعة الأحجام).

٣- المَلاءَةُ الماليّة والقدرة البشريّة على جميع المستويات.

٤- العمل الإداريّ (العمليّاتيّ - التنفيذيّ - إدارة الموارد البشريّة لِ (٥٠ إلى ٨٠ ألف عضو).

٥- الجهوزيّة العالية والقدرة على التعويض بالأفراد، وبمستويات متعدّدة من القيادة إلى القاعدة (وتأمين آلاف الانتحاريّين).

٦- المركزيّة الشديدة الناتجة عن قوّة منظومة القيادة والسيطرة، ووجود غرف عمليّات متطوّرة على أكثر من مستوى.

٧- تمتُّعها، في معظم مناطق انتشارها، بالحاضنة الشعبيّة، ولأسباب مذهبيّة وطائفيّة.

٨- التشابه العقائديّ، فَستٌّ من هذه المجموعات تتبنّى منهج السلفيّة الجهاديّة، وجميعها، أي المجموعات السبع (تُكفّرُ المذاهب والطوائف والمجتمعات المخالفة).
٩- اعتمادها نفسَ المبادئ العسكريّة تقريباً (تكتيكات حرب العصابات والحرب اللامتماثلة - التقرّب غير المباشر - الحرب من جبهة داخليّة - الخداع - الحشد - المُبادَأة - العمل الإداريّ).
١٠- قدرتها على التطوّر واكتساب الدروس والعبر وتغيير التكتيكات.

قرّر الحاج قاسم أنّ مدرسة الحرب القديمة التي يطبّقها الجيش السوري لا يمكنها أن تفي بغرض مكافحة هذه الحركات المسلّحة بأساليب كلاسيكيّة، فهذه الحركات تعتمد أسلوب حرب العصابات الجديد والقديم، وفي حالة استخدامها لقوّة عسكريّة كلاسيكيّة فإنّها، غالباً ما تستخدمها في الأعمال التعرّضيّة، التي تخدم المبدأ العسكريّ الذي تعمل عليه وهو التقرّب غير المباشر.

وتأكّد لديه أنّ هذه الجماعات تعتنق استراتيجيّات يبرع فيها منذ نعومة أظافره العسكريّة في جبهات سوسنجرد وبوستان وسهل عبّاس، وهي الحرب اللامتماثلة التي يمكنها أن تنجح تكتيكيّاً وتعبويّاً بالالتفاف من حول قوّة الخصم واستغلال نقاط ضعفه بالاعتماد على وسائل تختلف بطريقة كاملة عن نوع العمليّات التي يمكن توقّعها.

ورأى أنّ هذه الجماعات تسعى، بكلّ هذا الضغط، للسيطرة على الحكم بعد انتزاع زمام المبادرة وتحقيق المبادأة وحريّة الحركة والإرادة، وبأسلوب يستخدم وسائل مستحدثة وتكتيكات غير تقليديّة وأسلحة وتكنولوجيّات جرى التوصل إليها بالتفكير (في

غير المتوقع وغير المعقول)، ثمّ تطبيقه على كلّ مستويات الحرب، من الإستراتيجيّة إلى التخطيط إلى العمليّات، وتمكّن الحاج بخبرته الطويلة، بهكذا نوع من الخطط العسكريّة، من تمييز اساليب حرب هذه الحركات بالتالي:

١- هذا النوع من الحركات جاهز بطبيعته لأعلى درجات المخاطرة، لأنّ الخسارة بالنسبة إليه، في الحالتين، واحدة، وبالتالي، فإنّ أعلى المخاطر تتساوى عنده مع أقلّها.

٢- هذا النوع من الحركات ليس مقيّداً بمذاهب في الحرب مصنّفة (وإن كان أغلب الاحيان يعتمد استراتيجيّة القتال من مناطق داخليّة واستراتيجيّة التقرّب غير المباشر)، إنما ظهر في العديد من الحالات، ومن خلال تمسُّكه الشديد بمبدأ الخداع، ممّا يجعل التنبّؤ المسبق بأعماله مهمّة شاقّة وعسيرة.

٣- تمتاز هذه الحركات بالروح المعنويّة العالية لدى أفرادها، واساليب مبتكرة في عمليّاتها، واستعدادها لأقصى المخاطر، بجعل ما لا يجوز التفكير فيه وارداً وممكناً، حتّى ولو كان في المقاييس الطبيعيّة من المستحيلات أو من ضروب الجنون.

٤- لا تقوم هذه الحركات، وفي حالات كثيرة، بعملية «اضرب واهرب»، كما في حروب العصابات، فهي موجودة داخل المجتمعات (الحاضنة والمعادية) على السواء، وإن بنسب أقلّ في التجمّعات المعادية، وبالتالي، فإنّ أهدافها حسّاسة ولا متناهية. وفي الوقت نفسه، لا يمكن إصابتها بشكل مباشر، لأنّها تبقى ضمن النظام الاجتماعيّ قبل تنفيذها لأي عمل أو حتّى بعد التنفيذ.

٥- تخوض هذه الحركات (ويجاريها الجيش السوري) حرباً

ممتّدة، والتي لا يمكن القضاء فيها على الخصم بشكل نهائي، وبالتالي، هي سلسلة من الجولات والجهد المتواصل والرقابة، في محاولة للحدّ من عمليّات التحوّل من غير أنّ يوجد ضمان أكيد لنهايتها طالما أنّها تقوم على عدم التماثل.

٦- يمثّل انتشار هذه الجماعات في بيئات حاضنة واتّجاهها الواسع للتجنيد، مع التركيز على الأطفال والأحداث في السنّ، مؤشّراً على أنها تمتلك قدرات التعويض والاستمرار لفترة طويلة. ومع ازدياد أعضائها في ظلّ الفكر الذي يتعلّمونه وينشؤون عليه، فإنّ هذه الحالة تتحوّل إلى ظاهرة ممّا يعني تمديد فترة الحرب وتطوّرها على مستوى التهديدات.

٧- يمثّل الفكر الذي تبنّه هذه الجماعات خطراً على الاسلام، خاصة في ظلّ المفاهيم الخاطئة التي تُدرَّس للجمهور البسيط وللمجنّدين منه، ممّا يعني أنّ استمرار بثّ هذا الفكر بالطرق المتَّبعة، حالياً، سيؤثّر بشكل خطير على الثقافة الجماعيّة للجمهور، ويزيد من ذلك خطراً الأدوات التي تروّج لهذا الفكر (الشيوح - الشرعيّون - المنشورات الحسنة الإخراج - المواد الاعلاميّة الجاذبة (صوتيّات - فيديو - رايات - أفيشات)، فضلاً عن استعمال الانترنت بطريقة ذكيّة وناجحة للترويج العقائديّ.

٨- يعتبر استقرار هذه الجماعات في مدن ومساحات جغرافيّة (مُتّسعة)، وأسلوبهم في تطبيق الشريعة (حسب مفهومهم)، وطريقتهم في إدارة المدن والمناطق التي يحتلّونها دليلاً على أنّ الأمن والأمان اللّذين يسودان، في مناطق معيّنة، يؤمّنان لهم القدرة على الاستقرار والاستمرار، كما يؤسّس لتحويل مناطقهم إلى حواضن للفكر الخاطئ.

٩- تعتبر حواضنهم الآمنة نقطة جاذبة لمعتنقي الفكر التكفيريّ والسلفيّ من جميع انحاء العالم، ممّا يدفع إلى اعتبار هذه الحواضن مركزاً لنشر الفكر الخاطئ في العالم، فضلاً عن أنّها تروّج كنموذج يحتذى به.

١٠- أصبح سلوك هذه الجماعات، على مستوى العالم (السنّي)، نموذجاً للاحتذاء، مما يؤشّر إلى أخطار كبيرة داهمة، فإنّ مجرّد أخذ السلوك كنموذج يحوّل المجتمعات التي تتأثّر به إلى مجتمعات شبيهة.

١١- يتمّ الترويج لقادة ونخب هذه الجماعات، حتّى ولو كانوا غير معروفين أو مرئيّين، (مثل أبو محمّد الجولاني وزهران علّوش اللذين لم يكونا معروفَين بعد)، وذلك من خلال حملة دعاية ضخمة ومبتكرة، وبأساليب دعائيّة وترويجيّة متعدّدة، على أنّهم قدوات ونماذج للجهاد والاسلام الصافي والمطلوب، وإن مجرّد الترويج لهكذا قدوات يفتح الباب أمام عناصر شاذّة ودخيلة إلى الثقافة الاسلاميّة، تختلف عن القدوات الصالحة التي يحترمها الناس، وكانت عنوان ثقافتهم لمئات السنين (يفاقم من ذلك قيام نفس الدعاية بمحاولة إسقاط وتسفيه القدوات الصالحة في المجتمع).

هذه الدراسة المتكاملة التي تتداخل فيها العناصر العسكريّة بالأمنيّة، بالسياسيّة، بالاعتقاديّة، بالثقافيّة، بالاجتماعيّة والحضاريّة كانت أساس الخطّة التي وُضعت بإشراف وبصمات الحاج قاسم للقضاء على هذه الجماعات وفكرها في سوريا وفي العراق عند انطلاق الوحش المسمّى ب «داعش»، عام ٢٠١٤م، ومكّنت من

هزيمته وتوائمه السوريّة هزيمة منكرة، صيف العام ٢٠١٧م، وتحتاج هذه الملحمة التي ساهم الحاج قاسم بصناعتها، في سوريا والعراق، إلى دراسة خاصّة، وافية ومتأنية، وتستلزم اعداد كتب لتوفيها حقّ دراستها.

مهمّات في خدمة سوريا والعراق

إن سرّ نجاح الحاج قاسم سليماني، في قيادته جميع المعارك التي خاضها والانتصار فيها، هو حضوره في جميع الجبهات على خطوط التماس الأولى مع العدوّ بين إخوته المجاهدين، غير آبهٍ بالموت طالباً الشهادة.

يمكن اعتبار معركة الفلّوجة إحدى المعارك النموذجيّة لدراسة بعض ملامح الفكر العسكري للحاج قاسم سليماني، لإجهاض المدى الذي وصل إليه فنّ حرب العصابات لدى الجماعات التكفيريّة لأسباب كثيرة.

فمعركة الفلّوجة تحديداً، هي درس كامل في التطوّر الذي قدّمته عبقريّة الحاج قاسم للقوات المسلّحة العراقيّة بشتّى صنوفها (حشد شعبي - جيش - شرطة اتحاديّة - تدّخل سريع - جهاز مكافحة الارهاب)، على مستوى التخطيط والقتال، وسأحاول، بشكلٍ مركزٍ ومختصر، قراءة مسار ما أنجز عسكريّاً بمساعدة الحاج قاسم سليماني وفريقه (الإيرانيّ والعراقيّ واللبنانيّ) في معركة الفلّوجة.

بداية، ينبغي الإشارة إلى أنَّ ما ميّز الطرائق القتاليّة لداعش والجماعات التكفيريّة في العراق وسوريا، هو مدرسة حرب العصابات الجديدة التي تتبنيّانها، وهي عبارة عن تطوير مهمٍّ لمدرسة حرب العصابات القديمة ودمجها مع التقنيات الحديثة وتحويلها إلى ما يصطلح عليه بمدرسة الحرب الهجينة أو اللامتماثلة

hybrid war & assymetric warfare، والتي تتميّز بعناصر سنحاول قراءتها وقراءة الجهد المقابل الذي عملته القوات العراقيّة المشتركة (جيش – حشد شعبيّ – قوّات مكافحة الإرهاب – شرطة محلّيّة واتحاديّة – سلاح جوّ – سلاح استخبارات عسكريّة – سلاح إسناد – سلاح هندسة – سلاح اللوجستيك).

فقد تميّزت مدرسة حرب العصابات الجديدة، لدى داعش والجماعات التكفيريّة، بمجموعة من العناصر، وهي:

١– انتخابها لميادين يصعب فيها على القوات النظاميّة، وحتّى غير النظاميّة، المناورة بشكلٍ كبير، حيث تختار داعش وهذه الجماعات التكفيريّة ميادين قتالٍ تؤمّنً سرعة الحركة والحشد والضرب أو تنفيذ أعمال التعرضً، كما تؤمّن سرعة الانسحاب والاختفاء والاحتفاظ بالمبادأة.

وقد تجاوزت القوّات المهاجِمَةُ، حسب خطط الحاج قاسم، هذا الأمر، من خلال الاعتماد علَى القوّات الخفيفة والوحدات المظلّيّة والقوّات الخاصّة، التي تتمتّع بخصائص ملائمة لهكذا ميادين، كما اعتمدت مبدأ القضم والتطويق والعزل، وحاربت على مستوى سرايا وفصائل، وقسّمت الميدان إلى بُقَعٍ جغرافيّةٍ تتفاوت بالأهمّيّة حسب العدوّ.

٢– تميّزت داعش بعدم اعتمادها على الاسلحة والمعدّات الثقيلة التي تؤخّر وتعيق الحركة، واعتمادها على الأسلحة النوعيّة التي تتكيّف مع أسلوب خِفّة الحركة والتواصل بما تؤمّنه منظومات الاتّصال المتطورة التي تمتلكها، فضلاً عن استخدام البيئات الحاضنة، التي تتميّز في الحروب الهجينة بأنّها تعتبر عنصراً من عناصر الحرب

لأهمّيّتها في مجالات الدعم اللوجستي والاستخباراتي، ولأنّها محاضن يصعب خرقها أو شلّها أو ارباك نشاطاتها العسكريّة ومعرفة نواياها الهجوميّة، إلّا في فترات انذار قصيرة، ما يجعل أيّ إجراء عسكريٍّ أو أمنيٍّ مضادّ ناقصاً وغير مُجْدٍ، ولكنّ تفاصيل المعركة أظهرت براعة التخطيط وبصمات الحاج قاسم، من خلال عامل حاسم، وهو التحضير الاستخباريُّ الجيّد عند القوات المهاجمة (القوّات المسلّحة العراقيّة والحشد الشعبي)، وذلك من خلال استثمار ذَكيٍّ وملائم للمادّة الاستخباريّة في الميدان، وتمكين سلاح الجوّ (المروحيّ والحربيّ) وسلاحي المدفعية والقوّات الخاصّة بالاتكاء الكامل على سلاح الهندسة ومنظومات القيادة والسيطرة التكتيكية من تحييد نقاط ثقلٍ أساسيّة عند العدوّ، وهي مناطق كانت تستفيد منها داعش لأغراض الفتح والحشد ودعم القوّات وخطوط الامداد الرئيسة وغرف العمليّات الأساسيّة والتكتيكيّة.

٣- لم تكن استرتيجيات حرب العصابات القديمة تؤمن بالسيطرة على مناطق واسعة أو تحبذ احتلال مدن، لأسباب لوجستيّةٍ تتعلّق بقلّة العتاد وصعوبة نقل كميّات من هذا العتاد والدعم اللوجستي، لكنّ داعش تجاوزت هذه المعضلة من خلال البيئة الحاضنة والدول الداعمة ووسائل النقل واستخدام الأسلحة الكافية والمناسبة لهكذا ميادين، مع وجود حشدٍ بشريٍّ كبير يمكن استعواضه في أيّ لحظة، ومهما بلغت الخسائر، إلّا أنّ القوّات المهاجمَة استطاعت بالمقابل، من خلال الحشد، الاستفادة من هذه الميزة إجبار داعش على تقليص الوجود بشكل قسريٍّ، فكان الانتشار الكبير(واحتلال مدينة كالفلّوجة ومحاولة الدفاع عنها من محيطها الحيويّ)، عنصر ضعفٍ استطاعت القوات المهاجِمة تجييره لمصلحتها.

٤- تسعى داعش لامتلاك عناصر التعرّض والحشد والسرعة والمحافظة عليها، وبالتالي المباغتة وهذا ما كان يؤمّن لداعش مرونة وزخماً، ويحوّل عدوّها إلى طرائد سهلة، إلّا أنّ القوات المهاجمة في الفلّوجة فرضت على داعش، بالمقابل، الاختباء في أكثر من منطقة، من خلال ما نفّذته من ضرباتٍ ناريّةٍ واستخدامِ قوّاتٍ متنوّعةٍ خفيفةٍ وثقيلة.

٥- من صفات افراد العصابات التابعة لداعش والجماعات التكفيريّة (معرفة الأرض -معرفة السكّان جيّداً والتمييز بين الصديق والعدوّ مع قدرة في مجال الاستخبارات - استخدام الأسلحة وضبط النار - قابليّة الحركة والمناورة ليلاً ونهاراً مع إمكانيّة التمويه والتغطية والاختفاء - السرعة في التعرُّض والانسحاب)، وهذا ما كان يمنحها خصائص تفتقر إليها القوّات المقابلة، والتي كانت، منذ احتلال الموصل، تعاني من الحاجة إلى التدريب والضبط والعمل الليلي، وقد بيَّنت مُجريات معركة الفلّوجة أنّ القوّات العراقيّة تجاوزته ببراعة منذ بداية الهجوم، حيث كانت العمليّات الافتتاحيّة هي عبارة عن إنزالاتٍ ليليّةٍ لقوّاتٍ خاصّةٍ وتحريكٍ سريع لقوّاتٍ خفيفةٍ مدرّبةٍ جيداً بمعاومنة كاملة من فصائل هندسة خبيرة تؤمن مساراتٍ الفتح للعمليات المستقبلية ، وتحقّقت الصفحة الأولى من معركة تحرير الفلوجة خلال أقل من ٣٦ ساعة قتال متواصل، نصفها كانت عمليّات ليليّة.

٦- تعتمد داعش في أعمال التشتيت والتعرُّض على القصف والهجمات الانتحاريّة كثيفة العدد، قبل بدء التعرّض، والذي كان، بدوره، يعتمد على فتح المجموعات المشاركة، التي كانت، بدورها، تعتمد على مشاغلة عدّة اهدافٍ في وقتٍ واحدٍ، للتعرُّف على نقاط

المقاومة وتحديد كتلة العدوّ ونقاط حشده ومصادر النار، بهدف معالجتها. وهذا كلّه يُصنَّف في خانة الخداع، وهذا، أيضاً، أفشلته القوّات العراقيّة من خلال خبرة الحاج قاسم سليماني؛ أحد مخططي هذه المعركة، بهكذا أساليب قتاليّة تنسب إلى مدرسة الحرب اللامتماثلة، فقد اعتمدت خطّة القوّات العراقيّة، لتعطيل هذه الميزة التكتيكية عند داعش، بشكلٍ كبيرٍ على تكتيكاتٍ تفرض التماس سريعاً على قوات داعش. ونظراً لكثافة القوّات وتداخل المناطق التي عملت فيها القوّات الخاصّة العراقيّة، فقد حُرِمَتْ داعش من هذه الميزة، لأنّ أيّ إخلالٍ بالتماس كان يعني التّسبُّب باندفاعةٍ سريعةٍ للقوّات العراقيّة من خلال الثغرات، خاصّة وأنّها استُخدمت، بعبقريّة الشهيد الحاج أبو مهدي المهندس، قوّات جُهدٍ هندسيٍّ خبيرةٍ استطاعت، بعدد من الأساليب المبتكرة، تعطيل الأشراك الدفاعيّة التي نصبتها قوّات داعش، وحرمانها من أهمّ أسلحتها الدفاعيّة وهي العبوات الناسفة المشرّكة.

٧- تتميّز داعش بأسلوب انتشارها، فهي تعمل على أن لا تدافع أو تقاتل بشكل جبهيّ، وانّما تفرض على القوّات المهاجمة التعامل مع ميدان واسع، (بمعنى أنّها لا تعمل بأسلوب الخطّ الدفاعي، بل تعتمد أسلوب المساحة والانتشار مع الحركة والسرعة والاختفاء)، فبهذه التكتيكات تقوم قوّات داعش بالتغيير المستمرّ لاتجاهات التعرّض، ممّا يجعل المعركة اكثر تعقيداً أمام القوّات المهاجمة، لكون ذلك، حسب ما كان يعتقده مخطّطو داعش العسكريون، يُشتّت القوّات ويستدعي، من هذه القوات، هدَر كتلةِ نارٍ أكبر، فضلاً عن حشدٍ أكبر ويُشتّت انتباه القادة، (على المستويينِ التعبويّ والتكتيكيّ)، في كافّة الاتّجاهات، وظنّ مخطّطو داعش العسكريّون أنّ ذلك سيزيد

الامر تعقيداً، بسبب اعتمادهم على فكرة خاطئة وهي المركزيّة الشديدة في نظام القيادة والسيطرة، الذي كانت تعتمده القوّات العراقيّة، ممّا سيجبرها على وقف الهجوم واعتماد نمط الدفاع الثابت لحماية القوّات المتحشّدة ومراكز الثقل والتأثير لديها، ولم يكن في حُسبان داعش أنّ القيادة التي تواجههم، وعلى رأسها الحاج قاسم، هم من أساتذة هذا الفنّ من القتال، وأنّ هذه القيادةَ ستعتمد على استمرار زخم الهجوم الكبير، والدفع باتجاه إجبار قوّات العدو على التماس مع القوى المهاجمة لحرمان داعش أيضاً من هذه الميزة.

٨- تعتبر الدروع بالنسبة للقوى النظاميّة التي تعتمد أساليب الحرب الكلاسيكيّة ميزة معنويّة للمهاجم، فهي تعطي زخماً نفسياً، ويمكنها معالجة عدّة أهداف بدقّة وبطاقة تدميريّة كبيرة، ولكنّ هذه الميزة تفقد بعض وهجها مقابل مجموعات داعش التي تقاتل ضمن مجموعات دفاعيّة صغيرة ومتماسكة، يتميّز افرادها بدقّة التصويب والقابليّة على تكثيف النار باتّجاه الأهداف الثابتة والمتحركة، وأيُّ سُكونٍ أو توقّف للدروع، وخاصّة للدبّابات أثناء الاشتباك، يجعلها فريسةً سهلة للأعداء، إلّا إذا كانت ضمن مجموعة، كما أنّها لا تمتلك تقنيّاتٍ وأسلحةً مناسبة لإسكات نقاط الدفاع العريضة المتماسكة، والتي ظهر، في أحيان كثيرة، أنّ داعش تستخدمها لتنظيم دفاعٍ يعتمد على الدعم المتقابل، وقد ظهرت عبقريّة الحاج قاسم فيً التخطيط بهذه النقطة، باستخدام تكتيك «كَتَلِ الدروع» وليس «أنساق الدروع»، ممّا حَرَمَ داعش، أيضاً، من تعطيل هذه الميزة المضافة التي امتلكتها القوّات العراقيّة، والتي تحولت خلال معركة الفلوجة بطاقتها الناريّة الكبيرة وحسن استخدامها، إلى وبال على داعش، كما اعتمدت خطّة القيادة المهاجِمة على ابتكارٍ إيرانيّ

ولبنانيّ طُبّق في الحرب المفروضة وفي حرب تموز، وكان علامة فارقة في معركة الفلّوجة، وأعطى القوّات المهاجمة ميزةً إضافيّةً باستخدام وحدات المشاة باسلوب مبتكر، حيث زُوّدت بأسلحة ضدّ الدروع والتحصينات ذات أعيرة ومديات مماثلة لأعيرة ومديات مدافع الدّبابات، وبعضها، كالكورنيت، يتفوّق على مديات الدّبابات.

لكلّ هذه الاسباب، ولاسباب اخرى لا يمكن إدراجها بالتفصيل، لم تعانِ القوّات المهاجمة من أيّ مشكلة تكتيكيّة، ولم يتمكّن الدواعش، أيضاً، من فرض أسلوبهم في القتال على القوّات المهاجمة، كما لم يتمكّنوا من نقل المعركة إلى خارج مناطق نفوذهم والقيام بهجماتٍ تعرّضيّةٍ ناجحةٍ تهدف إلى الاحتفاظ بالمبادأة والتفوّق النفسيّ والمعنويّ لعناصرهم.

أغلب المحلّلين أكّدوا أنّ هجوم بيجي التعرّضي، (الذي شنّته داعش في أواخر معركة الفلّوجة وقبيل سقوطها)، فشل فشلاً ذريعاً، وأنّ هذا الهجوم الذي حاولت داعش فيه تشتيت الجهد العراقيّ، عبر استخدام ٤٠ انتحاريّاً وانغماسيّاً في نفس الوقت لمهاجمة قوّات متجحفلة على الطريق الرئيسي، لم يحقّق أهدافه.

حيث إنّ خطّة العمليات التي حملت بصمة الحاج قاسم سليماني تنبّهت لهذه الخطّة جيّداً، ممّا حقّق أهداف المرحلتين الأولى والثانية لهذه العمليّة بسرعة قياسيّة لا تتعدّى ٨ ايّام، تخلّلتها وقفتان تعبويّتان ثمّ نفّذت القوّات المهاجمة المرحلة الرئيسة من العمليّة، بتطهير مدينة الفلّوجة من «الدواعش»، بعدما استكملت تطويق المدينة وعزلها بشكل شبه كامل.

فيما يلي، ثَبْتٌ لأبرز المعارك التي ظهر فيها الحاج قاسم سليماني

«الجندي المجهول»، الذي شارك وخطّط ورسم فيها جميع الانتصارات على المشروع الأمريكيّ الصهيونيّ التقسيميّ للمنطقة.

أوّلاً: العراق

كان الحاج قاسم سليماني ينتقل من جبهة إلى أخرى في سبيل تحرير المناطق التي سيطر عليها تنظيم داعش الإرهابي بالعراق، وكان لبَصّمته العسكريّة الدور الفعّال في تحرير مناطق، من بينها آمرلي، بابل، تكريت، الفلّوجة، تلّعفر، الموصل والحدود العراقيّة السوريّة

- معركة آمرلي بمحافظة صلاح الدين.
- معركة جُرْف الصخر العراقية.
- معركة «لبّيك يا رسول الله» لتحرير تكريت.
- معركة تحرير مدينة الفلّوجة.
- تحرير قضاء تلّعفر غربيّ الموصل.
- معركة تحرير الحدود العراقيّة - السوريّة كاملة، وتحقيق التمّاس والاتّصال مع القوّات الحليفة في سوريا.

ثانياً: سوريا

وكما في العراق، كان للحاج قاسم سليماني دورٌ بارزٌ في معارك كبيرة في سوريا ك:

- الدفاع عن دمشق الصغرى والكبرى (العاصمة والمحافظة).
- تحرير الغوطتين الشرقيّة والغربيّة.
- تحرير ريف دمشق الغربيّ.

- تحرير أرياف حمص.
- تحرير مدينة حلب وأقسام من أريافها الجنوبيّة والشماليّة والغربيّة.
- فكّ الحصار عن بلدتي نُبُّل والزهراء في ريف حلب الشماليّ.
- تحرير البادية السوريّة.
- تحرير ريف وبادية محافظة السويداء.
- تحرير درعا والقنيطرة وأريافهما.
- الدفاع عن مدينة ومحافظة حماه.
- فك الحصارعن الجزء المحرَّر من دير الزور، وتحرير القسم الأكبر من المدينة.
- قيادة معركة تحرير مدينة البوكمال الحدوديّة.

الوعد ال«سليماني»

في ٢١ أيلول ٢٠١٧م، القى اللواء قاسم سليماني كلمة في مدينة لَنْغَرُود في إيران، وقال فيها «نحن سننتقم، ويجب أن نكون صادقين في وعدنا، وذلك الانتقام سيكون في الإعلان عن نهاية داعش ودولتها في هذه الكرة الأرضيّة في أقلّ من ثلاثة أشهر، نحن سنواصل ضرباتنا بقوّة، ودونَ توقّفٍ لِنُحَوّلَ الشهور الثلاثة إلى اثنين، ونجتثّ هذه الشجرة الخبيثة وهذه الغدّة السرطانيّة المصنوعة على يد أمريكا والكيان الصهيونيّ، وسنحتفل في إيران والمنطقة بهذا النصر».

يمكن اعتبار لَقَب «قائد الانتصارين» أفضل عبارةٍ تليق برَجُلٍ من طراز قائد «فيلق قدس» الفريق قاسم سليمانيٍ، الذي وفى بالوعد الذي قطعه في ٢١ ايلول، والتزم بتحقيقه واقعاً في المرحلة الزمنيّة المقرّرة.

أتى الوفاء بالعهد من قائد الانتصارين في سوريا والعراق إثر استعادة قضاء راوة، آخر معاقل «داعش» في العراق، ليُنجز الحاج قاسم وعده في مدينة البوكمال السوريّة التي خطّط لها وقاد بنفسه معاركها عملياتيّاً وميدانيّاً، عبر التواجد في خطوطها الأماميّة، تلك المعركة التي أطلقت عليها غرفة عمليّات حلفاء الجيش السوريّ بمحور المقاومة بقيادة اللواء سليماني اسم عمليات «والفجر» في الشرق السوريّ.

لم يكن وفاء اللواء سليماني بوعده في إزالة داعش من الوجود في أقلّ من ٣ أشهر طارئاً، بل جاء تكريساً لسنوات المواجهة الشرسة ضد داعش، والتي حضر اللواء سليماني في خطوطها الأماميّة، منذ اليوم «العلني» الأوّل في آمرلي، ولاحقاً جُرْفِ الصخر (النصر)، إلى أهم المعارك الأخيرة في الموصل العراقيّة والبوكمال السوريّ.

الرجل الذي يُوصف أمريكيّاً بأنَّه «أقوى رجل في منطقة الشرق الأوسط برمّتها»، ظهرت بصماته في كافّة المعارك التي شهدت تواجداً لقوّات الحشد الشعبيّ في العراق وحلفاء محور المقاومة في سوريا، وقد بدا لافتاً ظهور «اللواء» في عشرات المعارك كجُرْفِ الصخر وتكريت وبيجي والفلوجة والرمادي والموصل وإدلب وتدمر وحلب ودير الزور والبوكمال، رغم أنّه رجل الظلّ في كافّة المعارك، إلّا أنَّ ظهوره علناً في آمرلي حاملاً سلاحه الفرديّ ومحتفلاً بطرد داعش من محيطها، بثّ الرُّعب في نفوس الأعداء، وزرع أمل الانتصار في نفوس الحلفاء.

اللافت أنّ الحاج قاسم، ورغم كلّ الانتصارات التي حقّقها، بدءاً من الحرب المفروضة، مروراً بالمواجهة مع الكيان الصهيونيّ في فلسطين ولبنان، وانتهاءً بالقضاء على داعش، إلّا أنّه كان يتحسّر أنّه لم يصِلّ إلى مبتغاه بعد.

فالرجل الذي حضر اسمه ضمن قائمة الـ ١٠٠ شخصيّة الأكثر تأثيراً في العالم، للعام ٢٠١٧م، قال لِمُعْظَم الذين واكبوه في سوريا والعراق، ومنهم مراسلون حربيّون مقرّبون بأنّ الشهادة هي نصره الشخصيّ الأعظم، وأمنيته الخاصة التي لم تتحقق بعد، وأسَرّ لأحدهم بأسىً: «إنّي قضيت عمري أقطع السهول والجبال من أجل تحقيق هذه الأمنية».

يوم الاثنين ٢١-١١-٢٠١٧م، نشر موقع الإمام الخامنئيّ الالكترونيّ نصّ الرسالة التي زفّ فيها اللواء الحاج قاسم سليماني للإمام الخامنئي بشرى القضاء على داعش، ونشر ردّ القائد الخامنئيّ عليها. وفيما يلي نصّ الرسالتين:

نصّ رسالة اللواء قاسم سليماني إلى الإمام الخامنئي

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنّا فتحنا لك فتحاً مبينا»

قائد، الثورة الإسلامية العزيز والشجاع، سماحة آية الله العظمى الإمام الخامنئي (دام ظلّه)

سلام عليكم

منذ ستّة أعوام، نَشَبَتْ فتنةٌ خطيرٌة شبيهةٌ بفِتَنِ عصر أمير المؤمنين، (عليه السلام)، سَلَبَتْ المسلمين فرصةً وحلاوةَ الفهمِ الحقيقيّ للإسلام المحمّدي الأصيل، وكانت ملفوفةً ومغمّسةً بسموم الصهيونيّة والاستكبار، وطافت في أرجاء العالم الإسلاميّ مثل إعصارٍ مدمّر.

أَحْدَثَ أعداءُ الإسلام هذه الفتنة المسمومة والخطيرة، بغية إشعال النيران بشكلٍ واسع في العالم الإسلامي، ودفع المسلمين للتّصارع فيما بينهم، نجَح تيّارٌ خبيثٌ يُدعى «الحكومة الإسلاميّة في العراق والشّام»، خلال الأشهر الأولى، في استغلال عشرات الآلاف من الشباب المسلم في هذين البلدين، ودفع العالم الإسلاميّ والعراق وسوريا بشكلٍ مؤثّرٍ ومصيريّ نحو أزمة بالغة الخطورة، وسيطر على مئات آلاف الكيلومترات المربّعة من أراضي هذه الدول، إضافة إلى

آلاف القرى والمدن ومراكز المحافظات الهامّة، ودمّر آلاف المصانع والبنى التحتيّة في هذه البلاد، من ضمنها الطُرق والجسور، مصافي النفط، الآبار وخطوط النفط والغاز ومصانع الطاقة الكهربائية، وقد فخّخوا مُدناً هامّة بما تحتويه من آثارٍ ثمينةٍ وهامّةٍ وحضارةٍ وطنيّةٍ وأبادوها أو أحرقوها.

مع تعذّر إحصاء حجم الخسائر، لكنّ التحقيقاتِ الأوليّة، تحكي عن خمسمائة مليار دولار.

في هذه الحادثة، تمّ ارتكاب جرائم مؤلمة جدّاً يتعذّر عرضها ونشرها، من ضمنها: قطع رؤوس الأطفال أو سلخ جلود الرجال الأحياء أمام عوائلهم، أسر البنات والنساء البريئات واغتصابهنّ، حرق الأشخاص وهم أحياء وذبح مئات الشباب بصورة جماعيّة.

مسلمو هذه البلاد المذهولون من هذا الإعصار المسموم، تعرّض بعضهم للذبح بالخناجر الحادّة على يد المجرمين التكفيريّين، وشُرّد ملايين الأشخاص الآخرين من بيوتهم ورُحّلوا إلى مدن وبلاد أخرى.

في هذه الفتنة السوداء، تمّ هدم وتدمير آلاف المساجد ومراكز المسلمين المقدّسة، وفي بعض المواقع قاموا بتفجير المسجد مع إمام جماعته ومصلّيه.

ما يفوق الستّة آلاف شاب مخدوع باسم الدفاع عن الإسلام قاموا بتفجير أنفسهم بصورة انتحاريّة، مستخدمين السيارات المليئة بالمواد التفجيريّة في الساحات، المساجد، المدارس، حتّى المستشفيات ومراكز المسلمين العامّة، وكانت نتيجة هذه الأعمال الإجراميّة استشهاد آلاف الأبرياء من رجالٍ نساءٍ وأطفال.

لقد تمّ التخطيط لكافّة هذه الجرائم وتنفيذها بواسطة قادة أمريكا والمؤسسات التابعة لها، باعتراف أعلى منصبٍ رسمي، في أمريكا، الذي يتقلّد اليوم منصب رئاسة الجمهورية في هذا البلد، كما أنّ هذا الأسلوب في التخطيط والتنفيذ لا يزال متّبعاً من قبل قادة أمريكا الحاليّين حتّى اليوم.

ما كان كفيلاً بإلحاق الهزيمة بهذه المؤامرة السوداء والخطيرة، بعد لطف الله والعناية الخاصّة لرسول الإسلام العظيم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الكرام، هو القيادة الحكيمة لجناب الموقّر والمرجع العظيم آية الله العظمى السيّد علي السيستاني، التي أدّت إلى حشد كافّة القدرات لمقابلة هذا الإعصار المسموم.

لا يوجد أدنى شكّ في أنّ عوامل، كَصمود حكومتَي العراق وسوريا وثبات جيش هذين البلدين وشبابهما، خاصّةً الحشد الشعبي المقدّس وسائر الشباب المسلمين من سائر البلاد، مع مشاركة حزب الله القويّة والشجاعة بقيادة سيّدهم المفتخر سماحة السيّد حسن نصرالله (حفظه الله تعالى)، كان لها دور مصيريّ في هزيمة هذه الحادثة الخطيرة.

من الحتميّ أنّ الدور القيّم الذي لعبه شعب وحكومة الجمهوريّة الإسلاميّة، خاصّة رئاسة الجمهوريّة الإسلاميّة المحترمة، مجلس الشورى الإسلاميّ، وزارة الدفاع والمؤسسات العسكرية والقوى الأمنية، في بلدنا في دعم وحماية حكومات وشعوب الدول المذكورة أعلاه تفوق الذكرغير، قابلة للشكر والتقدير.

إنني، أنا الحقير، بصفتي جنديّاً مكلّفاً من قبلكم في هذا الميدان، ومع إنجاز عمليات تحرير ال «أبوكمال» آخر قلاع داعش، وإنزال

علم هذه الجماعات الأمريكية – الصهيونية ورفع العلم السوريّ، أعلنُ إنهاء سيطرة هذه الشجرة الخبيثة الملعونة، نيابةً عن جميع القادة والمجاهدين المجهولين في هذه الساحة وآلاف الشهداء والجرحى الإيرانيّين، العراقيّين، السوريّين ،اللبنانيّين، الأفغانيين والباكستانيين المدافعين عن المقدّسات، الذين هبّوا للدّفاع عن أعراض وأرواح المسلمين ومقدّساتهم، ونثروا الأرواح في سبيلها، وأهنّئ وأبارك لجنابكم وشعب إيران الإسلاميّة العظيم والشعوب المظلومة في العراق وسوريا وسائر المسلمين هذا النصر العظيم والمصيري، كما أمرّغ جبهتي بالتراب في حضرة الله القادر المتعال، شكراً لهذا النصر الكبير.

وما النّصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم.

إبنكم وجنديّكم قاسم سليماني

نصّ جواب الإمام السيد علي الخامنئي على رسالة اللواء قاسم سليماني

بسم الله الرحمن الرحيم

القائدُ الإسلاميُّ المفتَخَر والمجاهد في سبيل الله اللواء الحاج قاسم سليماني، دام توفيقه،

أحمد الله العظيم بكلّ وجودي أنْ أضفى البركة على مجاهداتكم ومجاهدات عددٍ كبيرٍ من زملائكم، في مختلف المستويات المليئة بالتضحيات، واقتلع بأيديكم، أنتم أيها العباد الصالحون، جذورَ الشجرة الخبيثة التي قام طواغيت العالم بغرسها في سوريا والعراق.

لم تكن هذه مجرّد ضربة موجّهة لجماعة داعش الظالمة والمَخزيّة، كانت ضربةً أشدّ للسياسة الخبيثة التي كانت ترمي إلى إشعال حرب أهليّة في المنطقة، وزوال المقاومة ضدّ الصّهيونيّة، وإضعاف الحكومات المستقلّة بواسطة رؤساء هذه الجماعة الضالّة الأشقياء، كانت ضربةً موجّهةً لحكومات أمريكا السابقة والحاليّة والأنظمة التابعة لها في هذه المنطقة، التي أسّست هذه الجماعة وقدّموا مختلف أنواع الدعم لأجل بَسْطِ وتوسيع سلطتهم المشؤومة في منطقة غرب آسيا، وتمكين الكيان الصهيوني الغاصب من التسلّط عليها. أنتم، بقضائكم على هذه الغدّة السرطانيّة والمميتة، لم تقدّموا خدمةً عظيمةً لبلدان المنطقة وللعالم الإسلاميّ فقط، بل لجميع الشعوب وللبشرية جمعاً. لقد كانت هذه نصرة إلهية ومصداقاً لقوله تعالى: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» والتي أهداكم إيّاها، جلّ وعلا، بعد جهادكم وجهاد رفاقكم بالسلاح المستمر ليل نهار. إنّني أتقدم إليكم بالتهنئة القلبية الحارّة، وعلى كلّ حال، أؤكّد أنْ لا تتمّ الغفلة عن كيد العدوان ولن يجلس الذين دبّروا من خلال التمويل الهائل هذه المؤامرة المشؤومة مكتوفي الأيدي، وسوف يحاولون إعادة إطلاقها في مكان آخر من هذه المنطقة أو بشكل آخر، ينبغي إبقاء الدافع البقاء على يقظة المحافظة على الوحدة اقتلاع الخلايا الخطيرة المتبقية العمل الثقافي المُنَمّي للبصيرة وبعبارة أخرى يجب أن لا تتم الغفلة عن الاستعداد والتأهب في جميع الميادين أستودعكم أنتم وجميع الأخوة المجاهدين من العراق وسوريا وبقية البلدان الله العظيم وأبعث لكم جميعاً سلامي ودعائي.

والسلام عليكم ورحمة الله

هو الكاريزما بعينها

ورد عن الإمام علي (ع) في عهده لواليه على مصر مالك الأشتر: «إعلمْ أنّه ليس شئ بأدعى إلى حُسْنِ ظنّ راعٍ برعيّته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وتركَ استكراهه إيّاهم على ما ليس قِبَلهم. فليكنِ منك في ذلك أمرٍ يجتمع لك به حُسْنُ الظَنِّ برعيّتك، فإنّ حُسْنَ الظَنّ يقطع عنك نصباً طويلاً، وإنّ أحقّ مَنْ حَسُنَ ظنّك به لَمَنْ حَسُنَ بلاؤك عنده، وإنّ أحقّ مَنْ ساء ظنّك به لَمَنْ ساء بلاؤك عنده».

الكاريزما صفة تنبع من الداخل وليست صفةً خارجية، فَمُميّزات صاحبها داخليّة ممّا يضفي عليه جاذبيّة خاصّة وروعة منفردة، والشيءُ الرائع في الكاريزما أنّها تجعل القائد قويّاً بدون أنْ يُضْعِف الآخرين، لأنّه يستمدّ قوّته من ذاته، من داخله لا بسلب قوّة الآخرين. وفي حالة الحاج قاسم، هذه القوّة مستمدّةٌ من شخصيّته الإيمانيّة وتسليمه المطلق لإرادة الله.

يُعرِّفُ عالمُ الاجتماع «ماكس ويبير» القيادةَ الكاريزماتيّة بأنّها: «خصائصُ شَخصيّةٌ خاصّةٌ تمنح الشخص قدراتٍ فوقَ بشريّة أو استثنائيّة، ولا يملكها سوى القليلين من البشر، وتؤدّي إلى معاملة الشخص على أنه قائد وعلى الرغم من تأكيد «ويبر» على الكاريزما بوصفها صفة للشخصيّة، إلّا أنّه أقرّ، أيضاً، بالدور المهم، الذي يلعبه الأتباع من أجل تحقُّق الكاريزما لدى هؤلاء القادة».

يتميّز الحاج قاسم بمجموعةٍ من الصفات الإيجابيّة التي تجعله قائداً كاريزماتيّاً بامتياز، وهي:

١- الشجاعة.
٢- الذكاء.
٣- الأخلاص للمعتقد.
٤- التضحية للوطن.
٥- التواضع الدهاء.
٦- الكياسة.
٧- الكتمان.
٨- الإقدام.
٩- الثبات الانفعاليّ.
١٠- التحكّم بالسلوك.
١١- دَمَاثةُ الأخلاق.
١٢- الحنكة.
١٣- التمتُّع بمهارة التواصل مع الآخرين.
١٤- النضج الدالُّ على قوّة الشخصيّة.
١٥- التعاطُف.
١٦- الثقة.
١٧- نقاء الجوهر الشخصي.
١٨- لغة الجسد الايجابيّة.
١٩- حُسْنُ الإصغاء.

٢٠- مراقبة الذات.

٢١- تحسينُ الذات.

إنّ سيرة الحاج قاسم العسكريّةَ تُثْبِتُ بشكلٍ جازم لا يتطرّق إليه الشكّ أنّ انتصاراتِه كانت بسببِ شجاعته الشخصيّة ورباطة جأشِه في أحلك المواقف، ولقراراته السريعة الحاسمة في أخطر الظروف، ولِعَزْمِه الأكيد في التشبُّث بأسباب النصر واستحواذه على محبّة قوّاته من المؤمنين، ليسود التعاون بينهم ويكونَ الجميع يداً واحدة، وحثّ رجاله على السمع والطاعة «الانضباط»، والثبات في المواقف، والاعتصام بالله وباليقين، وغرس العقيدة الراسخة فيهم، والثقة بالنفس، والمحافظة على معنويّات قوّاته، وتطبيق كلّ مبادئ الحرب المعروفة.

تلك العوامل والسّمات الشخصيّة هي التي جعلته يتفوّق على أعدائه، ولو لم تكن تلك الصفات الشخصيّة مدعومةً بقوّة الإيمان بالله لَمَا كُتب بها ولها النصر.

وباستعراض السمات المثاليّة للقائد وتطبيقها على شخصيّة الحاج قاسم، يمكن تلخيصها فيما يلي:

(١) القدرة على اتّخاذ القرار الصحيح في الوقت المناسب.

(٢) الشجاعة الشخصيّة.

(٣) الإرادة القوّية الثابتة والحماس.

(٤) قوة الشخصيّة.

(٥) رباطة الجأش وثبات الأعصاب.

(٦) القدرة على تحمُّل المسؤوليّة.

(٧) المعرفةُ التامّةُ بمبادئ الحرب وفنونها.

(٨) بُعْدُ النظر والذكاءُ.

(٩) المعرفة التامّة بقرارات مرؤوسيه وحالتِهم النفسيّة والمعنويّة.

(١٠) الثقةُ المتبادلة بين القائد ومرؤوسيه.

(١١) المحبّة والودُّ المتبادل بينه وبين قوّاته.

(١٢) اللياقة البدنيّة.

(١٣) الاستقامةُ والسمعةُ الطيّبةُ والإيمان.

إنّ انتصارات الحاج قاسم، كقائد، ترجع إلى عاملين:

العامل الأوّل: تأييدُ الله، سبحانه وتعالى، له بنصره المُبين.

العامل الثاني: توفُّر عناصر القيادة العسكريّة والمتمثّلة في:

(أ) قيادةٍ عبقريّةٍ تملك قوّة التأثير.

(ب) قوّاتٍ ممتازةٍ هم (أفراد فرقة ثار الله - أفراد المقاومة في العراق وسوريا وفلسطين ولبنان).

(ج) حرْبٍ عادلةٍ هي حربُ المسلمين ضدّ أعدائهم للدفاع عن الدين والقِيَم وتحقيق العدالة.

ويعتمد اتّخاذ القرار المناسب على الاستعداد الذهنيّ للقائد وتوفُّر المعلومات والبيانات، فمن ناحية الاستعداد الذهنيّ فليس هناك من يُنْكِرُ القدرة العقليّة للحاج قاسم. أما عن توفّر المعلومات، فكان يحصل عليها غالباً وبشكل مخالف لكل الاعراف العسكرية عن طريق الاستطلاع الشخصيّ، ودوريّات الاستطلاع، ودفع مجموعات

الاستطلاع بالقوّة، وباستجواب الأسرى والسكّان المحليّين، وكافة المصادر الأخرى.

ولقد برزتْ شجاعة الحاج في كلّ معاركه التي خاضها وفي غير المعارك، على حدٍّ سواء، وهناك عشراتُ الأمثلة على ذلك، منذ بداياته في الحرب المفروضة مروراً بكلّ المعارك التي خاضها.

إن صمود وثبات الحاج قاسم تجاه التيّار الجارف من الأعداء، طوال ٤٠ عاماً، لأقوى دليل على إرادته القويّة الثابتة.

لم يهتزّ الحاج قاسم في حالَتَي النصر والإخفاق، وكان يتمتّع بمقدرةٍ خارقةٍ في السيطرة على أعصابه في أحلك الظروف وأشدّ المواقف حرجاً، فلم يكن هناك من يشارك الحاج قاسم، في بعض الأحيان، بتحمّل المسؤوليّة الضخمة الملقاة على عاتقه في كافّة نشاطاته العسكرية وغير العسكرية، ورغم أنّ أصحابه كانوا يعاونونه في كلّ شيء، ولكنّه كان يتحمّل مسؤوليّة كلّ شيء حتّى استشهاده دون مصادرة قرارات الآخرين .

وتميَّزَ ببُعد النظر والذكاء، فكان يتحلّى بمخيّلة قويّة والنظرة الاستشرافيّة في كلّ أعماله العسكريّة وغير العسكريّة، وكان يفكّر في كافّة الاحتمالات القريبة والبعيدة ويدخلها في حسابه عند إعداد الخطط لكلّ موقف محتمل، ومن أمثلة ذلك:

تفكيرُه في كلّ كبيرة وصغيرة، والإعدادُ لكل أمر عُدّتَه، واتّخاذ كافّة احتياطات الحذر والحيطة. لذلك، لم يستطع أعداؤه مباغتته في أيّ موقف، واستطاع أن يباغت أعداءه في أغلب معاركه.

معرفةُ قدرات مرؤوسيه وحالتهم النفسيّة والمعنويّة، فكان منذ

العام ١٩٨٢م، يكلّف كلّ مرؤوس بواجب يتّفق مع قدراته البدنية والعقلية، ولذلك، نجح معظم جنوده في إنجاز مهامهم بكفاءةٍ وإتقانٍ، وكانت ثقة المجاهدين بقائدهم عظيمةً للغاية، كما كانت ثقته بمجاهديه بالدرجة نفسها من العظمة، كما كان يساوي نفسه مع أصحابه.

معرفةُ مبادئ الحرب وتطبيقُها: فقد كان الحاج قاسم يعرف مبادئ الحرب بالفطرة التي تدلّ على استعداده الفطريّ الممتاز للقيادة، وقد طبّق هذه المبادئ، في معاركه كلّها، مما كان له أثرٌ حاسمٌ في انتصاراته، ومن أمثلة ذلك:

(١) اختيار هدف المعركة والمحافظةُ عليه.
(٢) الأعمال التعرضيّة.
(٣) المفاجأةُ.
(٤) الحشدُ.
(٥) الاقتصادُ في القوى.
(٦) التأمينُ الشاملُ.
(٧) خِفّةُ الحركةِ والقدرةُ على المناورة.
(٨) التعاون.
(٩) الحفاظُ على الروح المعنويّة.
(١٠) التأمينُ الإداريّ.

ميثاق مدرسة الحاج قاسم

في ١٣ شباط ٢٠٢٠م، بذكرى مرور ٤٠ يوماً على استشهاده، نَشَرَ حرسُ الثورة الاسلامية نصّ الوصيّة الالهيّة والسياسيّة للشهيد الفريق الحاج قاسم سليماني، والتي قرأها قائد قوات فيلق القدس «العميد اسماعيل قاأني»، خلال مراسم اربعينيّة الشهيد بمصلّى الامام الخمينيّ (رض) في طهران.

وفيما يلي نصّ الوصيّة الالهيّة السياسيّة للفريق الشهيد الحاج قاسم سليماني المعنونة باسم «ميثاق مدرسة الحاج قاسم»:

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد بأصول الدين، أشهد أنْ لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله، وأشهد أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأولادَه المعصومين الإثني عشر أئمّتنا ومعصومينا حججُ الله، أشهد بأنّ القيامة حقّ، والقرآن حقّ، والجنّة وجهنّم حقّ، والسّؤال والجواب حقّ، والمعاد والعدل والإمامة والنبوّة حقّ.

إلهي! أشكرك على نعمك

إلهي! أشكرك على أنْ نَقَلْتَني من صُلبٍ إلى صلب ومن قرنٍ إلى قرن، نَقَلْتَني من صُلبٍ إلى صلبٍ وسمحت لي بالظهور، ومنحتني الوجود، بحيث أتمكّن من إدراك أحد أبرز أوليائك

المقرّبين والمتعلّقين بأوليائك المعصومين، عبدك الصّالح الخمينيّ الكبير، وأنْ أصبح جنديّاً في ركابه، فإنْ لم أحظَ بتوفيق صُحْبَةِ رسولِك الأعظم محمّد المصطفى، (صلى الله عليه وآله)، ولم يكن لي نصيبٌ من فترة مظلوميّة عليّ بن أبي طالب وأبنائه المعصومين والمظلومين، (عليهم السلام)، فقد جَعَلْتَني في نفس المسار الذي بذلوا لأجله أرواحهم التي هي روح العالم والخلقة. اللهمّ إنّي أشكرك على أنْ جَعَلْتَني، بعد عبدِك الصالح الخمينيّ العزيز، سائراً في درب عبدٍ صالح آخر، من عبادك الصالحين، مظلوميّتُه تفوقُ صلاحه، رجلٌ هو حكيمُ الإسلام والتشيّع وإيران وعالم الإسلام السياسيّ اليوم، الخامنئيّ العزيز، روحي لروحه الفداء.

إلهي! لك الشكر على أن جمعتني بأفضل عبادك وتكرّمت عليّ بتقبيل وجوههم الجنائنيّة واستنشاق عطرهم الإلهي ألا وهم مجاهدو وشهداء هذا الدرب

إلهي! أيّها القادرُ العزيزُ والرّحمنُ الرزّاقُ، أمرّغ جبهةَ الشّكر والاستحياء على عَتَبَتِك أنْ جَعَلْتَني أسيرُ على درب فاطمةَ الزكيّة وأبنائها في مذهب اهل البيت (عليهم السلام) - العطر الحقيقي للإسلام -، وَجَعَلْتني أنالُ توفيقَ ذَرْفِ الدّموع على أبناء علي ابن أبي طالب وفاطمةَ الزكيّةِ (عليهما السلام) أيّ نعمةٍ عظيمةٍ هذه التي هي أرفع نعمك وأثمنها وهي نعماك للنّور والمعنويّة وهياجٌ يحمل في طيّاته أرفع درجات السّكنى والطّمأنينة وحُزنٌ يختزن الهدأةُ والرّوحانيّة! إلهي! أشكرك على أن رزقتني والدينِ فقيريُن، إلّا أنّهما كانا متديّنين وعاشقين لأهل البيت وسائرين دائماً في درب الطّهر والنّقاء، أطلب منكَ متضرعاً، أنْ تسكنهما في جنّتك ومع أوليائك، وترزقني لقاءهما في عالم الآخرة.

إلهي! كلّي أمل بعفوك.

يا أيّها الرّب العزيز والخالق الحكيم الأحد الذي لا نظير له! أنا خالي الوفاض وحقيبة سفري فارغة، لقد جئتُك دون زادٍ وكلّي أملٌ بضيافة عفوك وكرمك، لم أتّخذ زاداً لنفسي، فما حاجة الفقير للزّاد في حضرة الكريم ؟!

فمتاعي مليءٌ بالأمل بفضلك وكرمك، وقد جئتُكَ بعينين مُغْلقتين، ثروتهما إلى جانب كلّ ما حملتاه من الوزر هي ذلك الذّخر العظيم المتمثّل بجوهرة الدّموع المسكوبة على الحسين ابن فاطمة (عليه السلام)، جوهرة ذرف الدّموع على أهل البيت (عليهم السلام)، جوهرة ذرف الدّموع عند الدفاع عن المظلوم واليتيم، والدّفاع عن المظلوم المحاصر في قبضة الظّالم.

إلهي! يداي خاويتان فلا شيء لديهما تقدّمانه، ولا طاقة لهما على الدّفاع، لكنّني ادّخرت في يدايَّ شيئًا وأملي معقودٌ على هذا الشّيء، إنّهما كانتا دائماً ممدودتين إليك في تلك الأوقات التي كنت أرفعهما إليك، وعندما كنت أضعهما لأجلك على الأرض وعلى ركبتيّ. وعندما حملت السّلاح بيدي لأجل الدّفاع عن دينك، هذه هي ثروة يداي، وأملي بأن تكون قد تقبّلتها إلهي! قدماي مترنّحتان، لا رمق فيهما، لا جرأة لهما على عبور الصّراط الذي يمرّ فوق جهنّم. فأنا ترتعش قدماي حتّى على الجسر العاديّ، فالويل لي أمام صراطك الذي هو أرفع من الشّعرة وأحدّ من السّيف، لكنّ بصيص أملٍ يُبشّرني بإمكانيّة أن لا أتزعزع، وقد أنجو، لقد تجوّلت بهاتين القدمين في حرمكَ، وطفتُ حول بيتكَ، وركضت حافياً في حرم أوليائك وبين الحرمين بين حرمي حسينكَ

وعبّاسك، كما أنّني ثنيتُ هاتين الرجلين في المتاريس لمدّة طويلة، وركضت وقفزت وزحفتُ وبكيتُ وضحكتُ وأضحكتُ وبكيت وأبكيتُ ووقعت ونهضت لأجل الدّفاع عن دينك، آملُ أن تصفح عنّي لأجل تلك القفزات وذلك الزّحف وبحرمة تلك الحرمات. إلهي! رأسي وعقلي وشفاهي وحاسّة شمّي وأذني وقلبي وكلّ أعضائي وجوارحي غارقةٌ في هذا الأمل، يا أرحم الرّاحمين! إقبلني، إقبلني طاهراً، اقبلني بأن أكون لائقًا للوفود إليك، لا أرغب في شيءٍ سوى لقياك، فجنّتي جوارُك يا الله!

إلهي! لقد تخلّفت عن قافلة رفاقي

إلهي! أيّها العزيز! لقد تخلّفت، لسنوات، عن القافلة، وقد كنتُ، دوماً، أدفع الآخرين إليها، لكنّي بقيت متخلّفًا عنها، وأنت تعلم أنّي لم أستطع أبداً نسيانهم، فذكراهم وأسماؤهم تتجلّى دائماً، لا في ذهني، بل في قلبي وفي عينيّ المغرورقتين بدموع الحسرة. يا عزيزي! جسمي يوشك على أن يعتل ويمرض، كيف يُمكن أنْ لا تقبل من وقف على بابك أربعين سنة؟ يا خالقي، يا محبوبي، يا معشوقي الذي لطالما طلبتُ منه أن يغمر وجودي بعشقه، أحرقني وأمِتْني بفراقك. يا عزيزي! لقد تُهْتُ في الصّحاري نتيجة اضطرابي وفضيحتي وتخلّفي عن هذه القافلة، وأنا أتنقّل من هذه المدينة إلى تلك المدينة، ومن هذه الصّحراء إلى تلك الصّحراء في الصّيف والشّتاء، بدافع أملٍ [يخالج قلبي]. أيّها الحبيب والكريم، لَقَدْ عقدتُ الأملَ على كرمكَ، وأنت تعلم أنّي أحبّك، وتعلم جيّدًا أني لا أريد سواكَ، فدعني أتّصل بك. إلهي، الخوف يَغْمُرُ كلّ وجودي، أنا عاجزٌ على لجم نفسي فلا تفضحني، أقسم عليك بِحُرْمَةِ أولئك الذين أَوْجَبْتَ حُرْمَتهم على ذاتك، ألحقني بالقافلة التي سارت إليك قبل أن أكسر الحرمة التي تخدش حرمتهم.

يا معبودي ويا عشقي ومعشوقي، أحبّك، لقد رأيتُكَ وشعرتُ بك مرّات عديدة، ولا أقدر على البقاء بعيدًا عنك، إذن اقبلني، لكن بالنّحو الذي أكون فيه لائقًا للإتصال بك.

كلام موجّه لإخوتي وأخواتي المجاهدين

إخوتي وأخواتي المجاهدين في هذا العالم، يا من أعرتم الله جماجمَكم وحملتم الأرواح على الأكفّ ووفدتم إلى سوق العشق من أجل البيع، فَلْتَلْتَفِتوا: إنّ الجمهوريّة الإسلاميّة قطبُ الإسلام والتشيّع، مقرّ الحسين بن علي اليوم هو إيران، فَلْتَعْلَموا أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة هي الحرم، وسوف تبقى سائرُ الحُرَم إنْ بقي هذا الحرم، إذا قضى العدوّ على هذا الحرم فلن يبقى هنالكَ من حرم لا الحرم الإبراهيمي ولا الحرم المحمّدي!

إخوتي وأخواتي، العالم الإسلامي بحاجة، دائماً، إلى قائد متّصل بالمعصوم ومنصّب بصورة شرعيّة وفقهيّة، تعلمون جيّداً أنّ أَنْزَهَ عالم دين، والذي هزّ أركان العالم وأحيى الإسلام، أعني إمامَنا الخمينيَ العظيم الجليل، جعل ولاية الفقيه الوصفةَ المنقذةَ الوحيدةَ لهذه الأمّة، لذلك، عليكم أنتم، الشّيعة الذين تعتقدون بها اعتقاداً دينياً، وأنتم، السنّة الذين تعتقدون بها اعتقاداً عقليّاً، أنْ لا تتخلّوا عن خيمة الولاية، وأن تتمسّكوا بها من أجل إنقاذ الإسلام، بعيداً عن أيّ نوع من أنواع الخلاف، الخيمة هذه هي خيمة رسول الله (ص)، أساس معاداة العالم للجمهوريّة الإسلاميّة يهدف إلى إحراق وتدمير هذه الخيمة، فلتطوفوا حولها.

والله، ثم والله، ثم والله، لو أصاب هذه الخيمة أيّ مكروه،

فلن يبقى، لا بيت الله الحرام، ولا المدينة، ولا حرم رسول الله، ولا النّجف، ولا كربلاء، ولا الكاظمان، ولا سامرّاء، ولا مشهد، وسوف يلحق الضّرر بالقرآن.

خطابي لإخوتي وأخواتي الإيرانيّين

إخواني وأخواتي الإيرانيّين الأعزّاء، أيّها الشّعب الشّامخ والمشرّف، الذي ترخص روحي وأرواح أمثالي، آلاف المرّات لكم، كما أنّكم قدّمتم مئات آلاف الأرواح لأجل إيران والإسلام، فلتحافظوا على المبادئ، المبادئ تعني الولي الفقيه، خاصّة هذا الحكيم المظلوم الورع في الدّين والفقه والعرفان والمعرفة، فلتجعلوا الخامنئيّ العزيز عزيز أرواحكم، ولتنظروا إلى حرمته كحرمة المقدّسات.

أيها الإخوة والأخوات، أيها الآباء والأمها، يا أعزائي!

الجمهوريّة الإسلاميّة تطوي اليوم أكثر مراحلها شموخًا، فلتعلموا أنّ نظرة العدوّ إليكم ليست مهمّة، أيّ نظرة كانت للعدوّ تجاه نبيّكم؟! وكيف عامل]الأعداء[رسول الله وأبناءه!؟ وأيّ تهم وجّهوها إليه!؟ وكيف عاملوا أبناءه الأزكياء؟ إلا يؤدّينّ ذمّ العدوّ وشماتته وضغوطاته إلى تفرّقكم.

اعلموا، وأنتم تعلمون، أنّ أهمّ إنجاز مميّز للإمام الخميني العزيز، كان أنّه جعل، في بادئ الأمر، الإسلام ركيزة لإيران، ومن ثمّ، جعل إيران في خدمة الإسلام. لو لم يكن الإسلام، ولو لم تكن تلك الروح الإسلاميّة سائدة في هذا الشّعب، لَنَهَشَ صدّام هذا البلد كذئب مفترس، ولقامت أمريكا بالأمر نفسه ككلب مسعور، لكنّ ميزة الإمام الخميني أنه جعل الإسلام ركيزة ورصيداً، وجعل

عاشوراء ومحرّم وصفر والأيام الفاطميّة سنداً لهذا الشّعب. لقد أشعل الثورات داخل هذه الثّورة. ولهذا، جعل الآلافُ من المضحّين، في كلّ مرحلة، من أنفسهم دروعًا تحميكم وتحمي الشعب الإيرانيّ وتراب الأراضي الإيرانيّ والإسلام، وجعلوا أعتى القوى الماديّة ترضخ ذليلة أمامهم.

أعزّائي، إياكم أن تختلفوا في المبادئ.

الشهداء محور عزّتنا وكرامتنا جميعًا، وهذا الأمر لا ينحصر بيومنا هذا فقط، بل إنّ هؤلاء اتّصلوا، منذ الأزل، ببحار الله، جلّ وعلا، الشاسعة. فلتنظروا إليهم بأعينكم وقلوبكم وألسنتكم بإكبار وإجلال كما هم حقاً، عرّفوا أبناءكم على أسمائهم وصورهم، وانظروا إلى أبناء الشهداء، الذين هم أيتامكم جميعاً، بعين الأدب والاحترام. فلتنظروا بعين الاحترام إلى زوجات الشهداء وآبائهم وأمّهاتهم. وكما تعاملون أبناءكم بالصّفح والتغاضي، عاملوا هؤلاء بعناية واهتمام خاصَّيْن في غياب آبائهم وأمّهاتهم وأزواجهم وأبنائهم. عليكم باحترام قوّاتكم المسلّحة التي يقودها الوليّ الفقيه اليوم، وذلك من أجل الدفاع عن أنفسكم ومذهبكم، وعن الإسلام والبلاد. وعلى القوات المسلّحة أن تدافع عن الشّعب والأعراض والأرض كدفاعها عن منازلها، وأن تُعامل الشعب بأدب واحترام، وأن تكون بالنسبة للشعب، كما قال أمير المؤمنين ومولى المتّقين، مصدر عزّة، وقلعة، وملجأ، للمستضعفين والناس، وزينة للبلاد.

خطابي لأهالي كرمان الأعزّاء

أخاطب أهالي كرمان الأعزّاء أيضاً بنقطة، الأهالي المحبوبين الذين قدّموا، خلال الأعوام الثمانية من الدفاع المقدس، أسمى التضحيات،

وبذلوا للإسلام قادة ومجاهدين رفيعي المنزلة أنا خجلٌ منهم دائماً، لقد وثقوا بي، لثمانية أعوام، من أجل الإسلام وأرسلوا أبناءهم إلى المقاتل والحروب القاسية، مثل عمليات كربلاء ٥ ووالفجر ٨ وطريق القدس والفتح المبين وبيت المقدس و...، وأسّسوا فرقة كبيرة قيّمة، أسموها «ثار الله»، محبّةً بالإمام المظلوم الحسين بن عليّ (عليه السلام)، ولطالما كانت هذه الفرقة كالسّيف الصّارم، أدخلتْ الفرحَ والسّرورَ على قلوب شعبنا والمسلمين مرّات عديدة، ومسحت عن وجوههم الحزن والآلام.

أعزّائي! لقد رحلت عنكم، اليوم، حسب ما اقتضته المقادير الإلهيّة. أنا أحبّكم أكثر من أبي وأمّي وأبنائي وإخوتي وأخواتي، لأنّي قضيتُ معكم أوقاتاً أكثر منهم. وبالرغم من أنّي كنت فلذة كبدهم، وكانوا هم قطعةً من وجودي، إلّا أنّهم أذعنوا بأنْ أنذرَ وجودي لأجل وجودكم ولأجل الشعب الإيرانيّ.

أتمنّى أن تبقى كرمان، دائماً وحتّى النهاية، مع الولاية، هذه الولاية هي ولاية عليّ بن أبي طالب، وخيمتها خيمة الحسين بن فاطمة، فطوفوا حولها. إنّني أخاطبكم جميعاً، تعلمون أنّني كنت أهتمّ في حياتي بالإنسانيّة والعواطف والفطرة أكثر من الأطياف السياسيّة، وهذا خطابي لكم جميعاً، حيث إنّكم تعتبرونني فرداً منكم وأخاً لكم وواحداً من أبنائكم، أوصيكم بأن لا تتركوا الإسلام وحيداً في هذه البرهة من الزمن، وهو مُتَجَلٍّ في الثورة الإسلاميّة والجمهوريّة الإسلاميّة. الدفاع عن الإسلام يحتاج ذكاءً واهتماماً خاصَّين، وأينما طُرحتْ في القضايا السياسيّة نقاشاتٌ حول الإسلام والجمهوريّة الإسلاميّة والمقدّسات وولاية الفقيه [فلتعلموا]، أنّ هذه هي صِبْغَةُ الله، فلتقدّموا صِبْغَةَ الله على أيّ صِبْغَةٍ أخرى. خطابي

لعوائل الشهداء

أبنائي وبناتي، يا أبناء الشهداء، يا آباء وأمّهات الشهداء، أيّتها الأنوار المشعّة في بلادنا، يا إخوانَ وأخواتِ وزوجاتِ الشهداء الوفيّات المتديّنات!، الصوت الذي كنت أسمعه في هذا العالم، بشكل يوميّ، وأستأنس به فيغمرني بالسّكينة كصوت القرآن، وكنتُ أعتبره أعظم سندٍ معنويٍّ لنفسي هو صوت أبناء الشّهداء، الذي كنتُ أستأنس به، يوميّاً، في بعض الأحيان، وصوت آباء وأمّهات الشّهداء، الذين كنت أَلْمَسُ في وجودهم وجودَ والدي ووالدتي.

أعزّائي! فَلْتُدْرِكوا قيمةَ أنفسكم ما دُمْتُمْ روّاد هذا الشّعب اجعلوا شهيدكم يتجلّى في ذواتكم، بحيث يشعر كلّ مَنْ يراكم بوجود الشهيد في أنفسكم، ويشعر بنفس الروحانيّة والصلابة وكافّة الخصائص.

أَلْتَمِسُ منكم الصّفح عنّي وبراءة الذمّة، لقد عجزتُ عن أداء حقّ الكثيرين منكم، ولم أوفِ، أيضاً، حقّ أبنائكم الشهداء، فأَسْتَغْفِرُ الله وأطلبُ العفوَ منكم. وأرغب أن يحمل أبناء الشهداء جثماني على أكتافهم، علّ الله، عزّ وجلّ، يشملُني بلطفه، ببركة ملامسة أيديهم الطاهرة لجسدي.

خطابي للسياسيّين في البلاد

أرغبُ في مخاطبة السياسيّين في البلاد بملاحظة مقتضبة، سواء كانوا من الذين يطلقون على أنفسهم اسم الإصلاحيّين أو الذين يسمّون أنفسهم بالأصوليّين، ما كنت أتألّم لأجله دائمًا هو أنّنا،

بشكل عامّ، ننسى الله والقرآن والقيم في مرحلتين، بل نضحّي بكلّ هذه الأمور. أعزّائي، مهما تنافستم وتجادلتم فَلْتَعْلَموا أنّه عندما تؤدّي تصرّفاتكم وتصريحاتكم أو مناظراتكم إلى إضعاف الدين والثورة، بنحو من الأنحاء، فسوف تكونون من المغضوب عليهم من قبل نبيّ الإسلام العظيم (ص) وشهداء هذا النهج. ميِّزوا الحدود ولا تخلطوها، إذا كنتم ترغبون في أن تكونوا مع بعضكم. فشرط ذلك هو الاتفاق حول المبادئ والتصريح الواضح بها، المبادئ ليست طويلة وتفصيليّة، المبادئ عبارة عن بضعة أصولٍ هامّة:

١- أوّل هذه الأصول هو الاعتقاد العمليّ بولاية الفقيه، أي أنْ تُنْصِتوا إلى نصائحه وتطبّقوا، من أعماق القلب، توصياته وملاحظاته، بوصفه طبيباً حقيقيّاً من الناحيتين الشرعيّة والعلميّة. إنّ الشّرط الأساسيّ لكلّ من يسعى في الجمهوريّة الإسلاميّة لاستلام مسؤوليّة معيّنة، أن يكون لديه اعتقادٌ حقيقيٌّ وعمليٌّ بولاية الفقيه. أنا لا أقول بالولاية التنوّريّة ولا بالولاية القانونيّة، فلا تحلّ أيّ من هاتين مشكلة الوحدة، الولاية القانونيّة خاصّةٌ بعامّة النّاس، من مسلمين وغير مسلمين، إلّا أنّ الولاية العمليّة خاصّة بالمسؤولين الذين يريدون حمل أعباء البلد الجسيمة على عاتقهم، خصوصاً وأنه بلدٌ إسلاميٌّ قدّم كلّ هؤلاء الشهداء.

٢- الاعتقاد الحقيقيُّ بالجمهوريّة الإسلاميّة وركيزتها الأساسية، من أخلاق وقيم، وصولاً إلى المسؤوليّات، سواء المسؤوليّة قِبَالَ الشعب أو قِبَال الإسلام.

٣- توظيفُ أفرادٍ أنقياءَ وأصحابِ عقيدةٍ يخدمون الشعب، لا أولئك الذين، إنْ استلموا مكتباً في إحدى القرى، يجدّدون ذكريات الإقطاعيّين السابقين.

٤- فَلْيَجْعَلوا التصدّي للفساد والابتعاد عن الفساد والبهارج مسلكًا ومنهجاً لهم.

٥- أن يعتبروا احترام النّاس وخدمتهم، خلال فترة حكمهم وتولّيهم لأيّ مسؤوليّة، نوعاً من أنواع العبادة، وأن يعتبروا أنفسهم خَدَماً حقيقيين ومطوّرين للقيم، لا أن يطمسوا القيم بحجج واهية. المسؤولون آباء المجتمع، وعليهم أن يعتنوا بمسؤوليّاتهم فيما يخصّ تربية المجتمع والسهر عليه، لا أن يقوموا بسببِ عدم اكتراثهم، ولأجل بعض العواطف واستقطاب بعض الأصواتَ العاطفيّة العابرة، بدعم أخلاق تروّج للطلاق والفساد في المجتمع، وينتج عنها انهيار العوائل. الحكومات هي العامل الرئيس في تماسك العائلة، وتشكّل، من ناحية أخرى، عاملاً هامّاً من عوامل تلاشيها، عندما يتمّ العمل بالمبادئ، فسوف يكون الجميع، حينها، على خُطى القائد والثورة والجمهوريّة الإسلاميّة، وسوف تنتج عن ذلك منافسةٌ سليمةٌ ترتكز على هذه المبادئ من أجل اختيار الأصلح.

خطابي لإخواني في الحرس الثوريّ والجيش

أخاطب إخواني الأعزّاء في الحرس الثوري والمنتسبين للجيش من الحرس: إجعلوا الشجاعة والقدرة على إدارة الأزمات معيارَ مَنْح المسؤوليات. عند اختيار القادة، من الطبيعي أن لا أشير إلى الولاية، لأنّ الولاية ليست جزءاً بالنسبة للقوّات المسلّحة بل هي أساسُ بقائها، وهي شرط لا يقبل الخلل.

والنّقطة الأخرى هي معرفة العدوّ في الوقت المناسب، والإحاطة بأهدافه وسياساته، واتخاذ القرارات، والتصرف في الوقت

المناسب، كلّ واحدة من هذه الأمور، عندما لا تتمّ في وقتها، سوف تترك أثراً عميقاً على انتصاركم.

خطابي للعلماء والمراجع العظام

لديّ كلمة مقتضبة، من جنديّ قضى ٤٠ عاماً في الساحات، للعلماء عظماء الشّأن والمراجع الكبار، الذين ينشرون النّور في المجتمع ويمحقون الظّلمات، خاصّة مراجع التّقليد العظام.

لقد رأى جنديّكم، من برج المراقبة، بأنّه لو تضرّر هذا النّظام فسوف يزول الدّين وما بذلتم لأجل قيمه ومبادئه الغالي والنّفيس، في الحوزات العلمية. هذه العصور تختلف عن كلّ العصور فلن يبقى من الإسلام شيء إذا أحكموا سيطرتهم، هذه المرّة.

النّهج الصّحيح يتمثّل في دعم الثّورة والجمهوريّة الإسلاميّة وولاية الفقيه دون أي تردّد

يجب أن لا يتمكّن الآخرون، خلال هذه الأحداث، بأن يوقعوكم في الشّك والترديد، يا مَنْ يتجلّى فيكم أمل الإسلام.

جميعكم كنتم تكنّون الحبّ للإمام الخميني، وتعتقدون بمساره، نهج الإمام الخميني هو مواجهة أمريكا والدفاع عن الجمهورية الإسلاميّة والمسلمين الواقعين تحت ظلم الاستكبار، في ظلّ راية الوليّ الفقيه.

لقد كنتُ أرى، بعقلي المتواضع، كيف أنّ بعض الخنّاسين حاولوا ولا زالوا بكلماتهم وتقمّصِهم مواقف الحقّ، أن يدفعوا المراجع والعلماء المؤثّرين في المجتمع إلى التزام الصّمت والوقوع في الشك

والترديد، الحقّ واضحٌ، الجمهورية الإسلاميّة والمبادئ وولاية الفقيه تراث الإمام الخميني (ره)، وينبغي أن يحظى بدعمٍ حقيقيّ.

إنني أرى سماحة آية الله العظمى الخامنئي وحيداً، وفي منتهى المظلوميّة، هو بحاجة إلى دعمكم ومساعدتكم، وعليكم، أيّها الأجلّاء والعظام، أن توجّهوا المجتمع نحو دعمه عبر خطاباتكم ولقاءاتكم وتأييدكم.

فإذا نال هذه الثورة سوء، فلن يعود، حتى، زمن الشّاه الملعون، بل سيعمل الاستكبار على ترويج الإلحاد البحت والانحراف العميق الذي لا عودة عنه.

ختاماً

أُقبّلُ أياديكم المباركة وأعتذر لهذا الكلام، فقد كنتُ أودّ أن أذكر ذلك خلال تشرّفي بلقاءاتكم المباشرة، لكن التوفيق لم يحالفني.

أطلبُ العفو من الجميع.

أطلبُ العفو والصفح من جيراني وأصدقائي وزملائي.

أطلب العفو والصفح من مجاهدي فرقة ثار الله، وقوّة القدس العظيمة التي هي شوكة في عين العدوّ، وعائق يسدّ الطريق أمامه، خاصّةً من أولئك الذين ساعدوني بمنتهى الأخوّة، لا أستطيع أن لا أذكر اسم حسين بّورجعفري، الذي كان يساعدني بنوايا طيّبة وأخويّة ويعينني كابن له، وكنت أحبّه كما أحبّ إخوتي.

أعتذر من عائلته وجميع إخواني المقاتلين والمجاهدين، الذين أتعبتُهم وأجهدتُهم؛ وبالطبع فإنّ جميع الإخوة في قوّة القدس

شملوني بمحبّتهم الأخويّة وساعدوني ، وكذلك صديقي العزيز القائد قاآني الذي تحمّلني بصبرٍ وحلم.

جنديُّكم ومُقَبِّلُ أياديكم

هَاكُم قاسم سليماني

أما وقد شارفنا على نهاية هذه الرحلة، فلا بدَّ من التأكيد، في المقام الأوّل، أنّه يبدو من عدم المبالغة القول إنّ «الفريق الشهيد الحاج قاسم سليماني كان واحداً من أعظم القادة العسكريين في تاريخ إيران»، فهو الذي قاد معركة هزيمة وتدميَر أقوى عدوٍّ في تاريخ المسلمين، وهو تنظيم داعش، صاحب نظرية «صناعة التوحُّش» وحقيقة هذا الادّعاء بعظمة هذا القائد، يمكن العثور عليها في كلام كلّ مَنْ عاصروه، من قادة ومرؤوسين ومراقبين، الذين أكدوا محتوى الخطاب الذي ألقاه الحاج قاسم في إحدى المناسبات الثوريّة، صيف العام ٢٠١٨م، حيث أقسم الفريق سليماني أنّه:

«لم يشهد التاريخ في أي مرحلة من مراحله، لا في زمن البرابرة والتتار، ولا حتّى في الغزو المغولي، مثل هذا الكمّ الهائل من العنف والبربريّة والمصاعب، لقد قيَّدوا أيدي ٢٢٠٠ شاب من قاعدة «سبّايكر» العراقيّة، وأطلقوا النار عليهم، وعّرضوا الآلاف من النساء والفتيات الايزيديّات للبيع بالمزاد العلنيّ، وانتزعوا الطفل من ذراعيّ والدته وأحرقوه أمام عينيّ أمّه. لم يكن لدينا مثل هذا التوحُّش في التاريخ، كانت هذه فتنةً كبيرةً، وقد خرجنا منها مرفوعي الرأس، ويجب ألا نخلط هذه الفتن الكبيرة بالسياسة، لا ينبغي التصريح بكلمات غير مناسبة خوفاً، نحن راحلون، ولكن التاريخ هو الذي سوف يشرح هذه المرحلة للآتين في المستقبل».

وهناك نقطةٌ أخرى مثيرةٌ للاهتمام في حياة القائد الفريق سليماني المباركة، ينبغي النظر فيها أيضاً، وخاصةً أثناء قيادته لقوّة القدس، وهي إشارات وتأكيدات هذا القائد المسلم على «حماية أهل السنّة»، حين قال في اجتماع لتكريم الشهداء في مدينة كرمان: «كانت حياتنا دائمًا درعًا لأهل السنّة»، وهذا تأكيدٌ يمكن أن نجد ترجمته في كلّ لحظة من لحظات حياة الشهيد سليماني. بمعنى أنّه، بالإضافة إلى مقاومة الأعداء الأكثر عنفاً وشراسة في التاريخ الإسلاميّ، كان الحاج قاسم سليماني، أيضًا، رمزًا للتقريب بين المذاهب، ورفع لواء الوحدة الإسلاميّة في أعلى وأسمى تطبيقاته، من خلال التضحية بحياته لحماية الإخوة والأخوات السنّة، في جنوب شرق إيران وفي فلسطين وأفغانستان وسوريا والعراق والبوسنة وغيرها.

والحقيقة التي يثبتها التاريخ أنّ الحاج قاسم كان أوّل من انتقل إلى إقليم كردستان العراق، لمنع سقوط إربيل بيد داعش، بعد المجازر التي نفّذها هذا التنظيم في الإقليم الكرديّ.

لقد أصبح واضحاً، اليوم، أنّ أهمّ دور لَعِبَه الحاج قاسم بعد حرب تموز ٢٠٠٦ هو قيادته الاستراتيجية لمعركة القضاء على أهداف العدوّ الامريكيّ وتوابعه الأساسيّة، بعد انسحاب هذا العدو مذموماً من العراق.

كان دور وهدف الحاج قاسم سليماني الأبرز هو منع إسقاط سوريا وتفتيت العراق وقطع طريق التواصل بين إيران وقوى المقاومة في لبنان وفلسطين، وظهر ذلك بوضوح بعد هزيمة داعش، والدور القياديّ والاستشاريّ الفعّال لقوّة القدس، والمساهمات الكبرى التي قدّمتها القوى الرديفة لقوّة القدس في سوريا والعراق، وتحقّق حلم الحاج قاسم بإنشاء محورٍ قويّ حمل اسم «محور المقاومة»، يربط

بين إيران والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين، وينتظر فكّ الحصار عن اليمن العزيز ليكون أحد أركانه الرئيسة.

لا شكّ بأنّ محور المقاومة الذي كان موجوداً، بدون إشهار، منذ ثمانينيات القرن العشرين، وفرض إعلانه، كنتيجة طبيعيّة للانتصار على الإرهاب وداعميه في سوريا والعراق.

وميزة إشهار هذا المحور للملأ أنّه تمّ غَصْباً عن الارادة الامريكية والصّهيونية، وتحت قيادة الحاج قاسم سليماني المتأثّر، بروحيّة الحرس منذ أيّام الحرب المفروضة، والذي نَقَل هذه الروحيّة الى كلّ الجبهات في المنطقة، وعزّز من انتشارها بين المقاومين في دول محور المقاومة، وبالتالي، عزز الوحدة بين هذه الجبهات نحو هدفهم في تحرير القدس الشّريف.

وقد شرح الحاج قاسم مكوّنات «روحية الحرس الثوريّ الاسلاميّ» خلال حوار من ٩٠ دقيقة، حينما استذكر أهمّ ما تميّزت به الجبهات أيّام الحرب المفروضة، وهو» أنّ من يُقاتل في الحروب هي الروحيّة والعزم والايمان وليس الإمكانات فقط».

وعلى أيّ حال، فإنّ خطّ الأسطر عن رجلٍ قضى أكثر من أربعين سنة من عمره في خدمة الجهاد والمقاومة، لًا يمكن أن يوفيَه بعض حقّه، إلّا أنني أعيد وأذكر بما أكدت عليه في مقدمة الكتاب :» أنّ أسطر هذا الكتاب ليست لِمَنْح الحاج قاسم حقّه، بل لمنح الشّعوب حقّها في التّعرُّف إلى هذا الرّجل الفريد» ، الذي سيصعُب إيجاد مثيل له، لكن لن يصعُب نقل افكاره المقاومَةِ إلى شعوب المنطقة والعالم ، بعدما نال هو الشهادة وهي غاية المنى التي لاحقها من ساتر إلى خندق، ومن بلد إلى بلد.

من أجل الشهادة، جاب حقول القتل في سوسنجرد ومهران والهويزة وسهل عباس وجزيرة مجنون والفاو، ففاز أحبّاؤه، وبقي هو في الانتظار ٣٢ عاماً.

ومن أجلها، ساح في صحاري وجرود إيران الشرقيّة حتّى حدود باكستان وأفغانستان، ليلاحق قتلة المجتمع، من الإرهابيين وعصابات تجّار السمّ الأبيض المنظّمة.

ومن أجلها، دخل، بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣م، إلى فم التنّين، لينتزع أنيابه ويطرده بعد ثماني سنوات.

ومن أجلها أيضاً، سبح في لُجَج الجمر إلى لبنان، في حرب تموز ٢٠٠٦م، ليساهم في إدارة المعرَكة الأولى، التي أذلّت إسرائيل وكسرت شوكة جيشها.

ومن أجلها، قَدِمَ إلى دمشق، في تموز ٢٠١٢م، بعدما كادت تسقط بيد الجحافل التكفيريّة، فساهم، أيضاً، في إدارة وتنظيم الدفاع عن سوريا، حتى أغلق باب الشرّ عن ديارٍ تحوي ضريح أميرة الشام السيّدة زينب (ع).

ومن أجلها، كَسَرَ شيطانَ داعش في آمرلي وأربيل وسامراء، صيف العام ٢٠١٤م، وساعد في القضاء على ذلك الوحش المتمدّد إلى قلب الشرق بلافتة الإسلام.

ومن أجلها، فاز، الساعة ١:٢٠ فجر يوم الجمعة ٣-١-٢٠٢٠م، مع شريك روحه الحاج أبو مهدي المهندس، فتناثرا عطراً حسينيّاً بين شام زينب (ع) وعراق العباس (ع)، وطار سَرْبٌ من ذرّاتهما إلى مرسى الانتظار، حيث سَتُنْصَبُ إلى إيلياء رايات تزفّ المنصور القادم الموعود (عج) إلى الأقصى، حيث ستقام صلاةٌ، وأيُّ صلاةٍ!

المصادر والمراجع:

١- روايت زندكى و كارنامه سردار قاسم سليمانى.
٢- سردار سليمانى را چكونه براى فرزندانمان توصيف كنيم؟/ كنرال بى‌سايه‌اى كه ديوها را به بند كشيد.
٣- الشهيد حجة الإسلام والمسلمين محمد جواد باهنر - دار الولاية.
٤- أولئك الثلاثة والعشرون فتىً: سادة القافلة - ١٨ - تأليف: أحمد يوسف زاده - نشر: دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة.
٥- نسائم الذكريات النديّة - إعداد: الشيخ علي شيرازي - ترجمة: مركز المعارف للترجمة - نشر: دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة.
٦- همّت فاتح القلوب - ترجمة: مركز المعارف للترجمة - إعداد ونشر: دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة.
٧- ذكريات السيّدة زهراء حسيني - الجزء الثاني: سادة القافلة - ٢١ - تدوين: السيدة أعظم حسيني - ترجمة: مركز المعارف للترجمة - إصدار: دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة.
٨- وداع الشهداء - إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة - نشر: جمعية المعارف الإسلاميّة الثقافيّة.
٩- قاسم سليماني ذكريات وخواطر - اعداد: على اكبر مزدآبادي - ترجمة: (عزّت فرحات) مركز المعارف للترجمة - نشر: دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة.
١١- https://arabic.tebyan.net/index.aspx?pid=122735
١٢- http://ar.imam-khomeini.ir/ar/NewsPrint.aspx-?ID=7842
١٣- السلسلة الوثائقيّة «دفاع مقدس» - مؤسّسة بقيّة الله الثقافيّة - الحلقات (١-١٥) رابط: / https://www.youtube.com watch?v=h3o1ZqweNzA&list=PLiYC9n8sMIuxcqP-GRSGBRSxAovMJx-xyH

١٤- https://almanar.com.lb/2939264 نصّ رسالة الجنرال سليماني إلى الإمام الخامنئيّ التي أعلن فيها نهاية داعش في ٢١-١١-٢٠١٧.
١٥- https://almanar.com.lb/2939264 ردّ سماحة الإمام الخامنئيّ على رسالة الجنرال سليماني إليه والتي أعلن فيها نهاية داعش في ٢١-١١-٢٠١٧.
١٦- قائد الانتصارين وعدٌ ووفاء : http://alwaght.com/ar/
https://almanar.com.lb/5778555 النصُّ الكامل لمقابلة اللواء قاسم سليماني التي روى فيها بعضاً من أحداث حرب تموز، والتي بثّتها قناة المنار في ٢-١٠-٢٠١٩.